لبني تيغرين والوالي عليهم يوسف بن عمر منهم كما قلناه.

ونظم أبو حمو أولاد سلامة في جنده وأثبتهم في ديوانه وأقطعهم القصبات من نواحي تلمسان في عطائهم وهم على ذلك لهذا العهد.

و لله الخلق والأمر، لا رب سواه ولا معبود إلا إياه، له الحكم، إليه ترجعون، وهو نعم المولى ونعم النصير، وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

## الخبر عن بني يرناتن إحدى بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم من التغلب والإمارة وذكر أوليتهم ومصائرهم

كان بنو يرناتن هؤلاء من أوفر قبائل بني توجين وأعزهم جانباً وأكبرهم صيتاً.

ولما دخل بنو توجين إلى تلول المغرب الأوسط، أقاموا بمواطنهم الأولى ما بين وماحنون وورينة.

ثم يعودون من القبلة يجولون جانبي نهر واصل من أعلى وادي شلف.

وكانت رياستهم في نصر بن علي بن تميم بن يوسف بن بو نوال، وكان شيخهم مهيب بن نصر منهم، وكان عبد القوي بن العباس وابنه محمد أُمراء بني توجين يختصونهم بالإثرة والتجلة لمكانهم من قومهم، وما يؤنسون من عظيم عنائهم.

وكان محمد بن عبد القوي في سلطانه يولي عليهم من الحشم أولاد عزيز، وكان واليهم لعهده وعهد بنيه عبو بن حسن بن عزيز.

وقد كان أصهر مهيب بن نصر إلى عبد القوي في ابنته، فأنكحه إياها وولدت له نصر بن مهيب، فشرفت خولته بمحمد بن عبد القوي وعلا كعبه في أمارته.

ثم ولي بعده ابنه علي بن نصر، وكان له من الولد نصر وعنتر وآخرون يعرفون بأمهم، واسمها تاسرغينت.

وولي بعده ابنه نصر بن علي فطال أمد إمارته في قومه.

واختلف بنو عبد القوي وغلبهم بنو عبد الواد على ما بأيديهم، فصرفت ملوك زناتة وجه العناية إليه فبعد صيته وعرف بنوه من بعده بشهرته، وكان ولوداً فيقال: إنه خلف ثلاثة عشر من البنين، ما منهم إلا صاحب حرب أو مقنب.

ومن مشاهيرهم عمر الذي قتله السلطان أبو الحسن بمرات حين سعى به أنه داخل في اغتياله، ففر وأدرك فقتل بمرات.

ومنهم منديل الذي قتله بنو تيغرين أيام ولوا علي بن الناصر وقتلوا معه عبو بن حسن بن عزيز، ومنهم عنان ومات قتيلاً في حصار تلمسان أيام أبي تاشفين،، ومنهم مسعود ومهيب وسعد وداود وموسى ويعقوب والعباس ويوسف في آخرين معروفين عندهم.

هذا شأن أولاد نصر بن علي بن نصر بن مهيب.

وأما ولد عنتر أخيه فكان منهم أبو الفتوح بن عنتر.

ثم من ولده عيسى بن أبي الفتوح، فكان رئيساً على بني أبيه، وكانت إحدى وصائفهم سقطت بدار عثمان بن يغمراسن، وادعت الحمل من سيدها أبي الفتوح، وجاءت بأخ لعيسى سمّي معروفاً، ربي بدارهم.

واستوزره أبو حمو وابنه من بعده، وبلغ المبالغ في دولتهم وكان يدعى معرف الكبير.

ولحق به أيام رياسته في دولة أبي حمو الأول أخوه عيسى بن أبي الفتوح مغاضباً لقومه، فسعى له في الولاية على بني راشد وجباية أوطانهم، وأنزله بلد سعيدة، فكانت له بها إمارة، وكان له من الولد أبو بكر وعبو وطاهر وونزمار، وعندما غلب بني مرين على بني عبد الواد ولاهم السلطان أبو الحسن على بني يرناتن متداولين وأما ولد تاسرغينت من بني علي بن نصر بن مهيب، فلم يكن لهم ذكر في رياسة قومهم، إلا أن بعض وصائفهم سقطت أيضاً إلى دار أبي تاشفين فولدت غلاماً يعرف بعطية بن موسى نشأ في دارهم فنسب إلى بني تاسرغينت فولاه.

وتناولته النجابة في خدمتهم، فولوه الأعمال النبيهة، وهو لهذا العهد عامل أبي حمو الأخير على شلف وما إليه.

وقد غلب العرب لهذا العهد على وطن بني يرناتن، وملكوا عليهم يعود وماحنون وبقيت صبابتهم بجبل ورينة.

وعليهم لهذا العهد أمير من ولد نصر بن علي بن نصر بن مهيب، يعطون المغرم للسلطان ويصانعون العرب بالأتاوة.

وبيد اللّه تصاريف الأمور سبحانه لا رب غيره.

## الخبر عن بني مرين وأنسابهم وشعوبهم وما تأثلوا بالمغرب من السلطان والدولة التي استتبعت سائر زناتة وانتظمت كراسي الملك بالعدوتين وأولية ذلك ومصائره

قد ذكرنا أن بني مرين هؤلاء من شعوب بني واسين، وذكرنا نسب واسين في زناتة، وذكرنا أنهم بنو مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد اللّه بن ورتنيص بن المعز بن إبراهيم بن سحيك بن واسين، وأنهم إخوة بني يلومي ومديونة.

وربما يشهد بذلك جوار مواطنهم قبل الملك ما بين صا وملوية.

وذكرنا كيف اقتسموا الضاحية والقفر مع أخوانهم بني بادين بن محمد، وكيف اتصلت فتنتهم معهم سائر أيامهم.

وكان الغلب أولاً لبني بادين بن محمد لكثرة عددهم فإنهم كما ذكرنا خمسة بطون: بنو عبد الواد وتوجين ومصاب، وبنو زردال وإخوانهم بنو راشد بن محمد.

وكانوا أهل تلول الغرب الأوسط دونهم.

وبقي هذا الحي من بني مرين بمجالات القفر من فيكيك إلى سجلماسة إلى ملوية وربما يخطون في ظعنهم إلى بلاد الزاب.

ويذكر نسابتهم أن الرياسة فيهم قبل تلك العصور كانت لمحمد بن ورزين بن فكوس بن كوماط بن مرين، وأنه كان لمحمد إخوة آخرون يعرفون بأمهم تنالفت وكان بنو عمه ونكاسن بن فكوس.

وكان لمحمد من الولد سبعة: شقيقان وهما: حمامة وعسكر.

وأبناء علات أمهات أولاد: وهم سنكمان وسكميان وسكم ووراغ وقزونت وتسمى هذه الخمسة في لسانهم تيريعين، ومعناه عندهم الجماعة.

يزعمون أن محمداً لما هلك قام بأمره في قومه ابنه حمامة، وكان الأكبر ثم من بعده أخوه عسكر، وكان له من الولد ثلاثة: نكوم وأبو يكنى، ويلقب المخضب، وعلي ويلقب لاعدر.

ولما هلك قام برياسته فيهم ابنه المخضب فلم يزل أميراً عليهم إلى أن كان أمر الموحدين.

وزحف عبد المؤمن إلى تاشفين بن علي بن يوسف فحاصره بتلمسان.

وسرح الشيخ أبا حفص في العساكر لحرب زناتة بالمغرب الأوسط، وجمع له بنو بادين كلهم وبنو يلومي وبنو مرين ومغراوة ففض الموحدون جموعهم واستلحموا أكثرهم.

ثم راجع بنو يلومي وبنو بادين طاعتهم، وأخلص بنو عبد الواد في خدمتهم ولنصيحتهم.

ولحق بنو مرين بالقفر، فلما غلب عبد المؤمن على وهران واستولى على أموال لمتونة وبعث ذخيرتهم بتلك الغنائم إلى جبل تينملل حيث داره، ومن أين كان منبعث الدعوة.

وبلغ الخبر إلى بني مرين بمكانهم من الزاب، وشيخهم يومئذ المخضب بن عسكر، فأجمع اعتراضها بقومه ولحق العير بوادي تلاغ، فاحتازها من أيدي الموحدين.

واستنفر عبد المؤمن لاستنقاذها أولياءه من زناتة، وسرحهم مع الموحدين لذلك، فأبلى بنو عبد الواد فيها بلاء حسناً.

وكان اللقاء في فحص مسون، وانكشف بنو مرين، وقتل المخضب بن عسكر، واكتسح بنو عبد الواد حللهم، وذلك سنة أربعين وخمسماية فلحق بنو مرين بعدها بصحرائهم، ومجالات قفرهم، وقام بأمرهم من بعد المخضب أبو بكر ابن عمه حمامة ابن محمد إلى أن هلك، فقام بأمره ابنه محيو، ولم يزل مطاعاً فيهم إلى أن استنفرهم المنصور لغزاة الأركة، فشهدوها وأبلوا البلاء الحسن وأصابت محيو يومئذ جراحة انتقضت عليه مرجعه منها، فهلك بصحراء الزاب سنة إحدى وتسعين وخمسماية.

وكان من رياسة عبد الحق ابنه من بعده، وبقائها في عقبه ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن أمارة عبد الحق بن محيو المستقرة في بنيه وإمارة ابنه عثمان من بعده ثم أخيه محمد بن عبد الحق بعدهما وما كان فيها من الأحداث

لما هلك محيو بن أبي بكر بن حمامة من جراحته كما قلناه، وكان له من الولد عبد الحق ووسناف ويحياتن.

وكان عبد الحق أكبرهم، فقام بأمر بني مرين، وكان خير أمير عليهم قياماً بمصالحهم وتعففاً عما في أيديهم، وتقويماً لهم على الجادة ونظراً في العواقب، واستمرت أيامهم.

ولما هلك الناصر رابع خلفاء الموحدين بالمغرب سنة عشر وستماية مرجعه من غزاة العقاب، وقام بأمر الموحدين من بعده ابنه يوسف المستنصر، نصبه الموحدون للأمر غلاماً لم يبلغ الحلم.

وشغلته أحوال الصبا وجنونه عن القيام بالسياسة وتدبير الملك، فأضاع الحزم وأغفل الأمور وتواكل الموحدون بما أرخى لهم من طيل الدالة عليه ونفس عن مختقهم من قبضة الاستبداد والقهر، فضاعت الثغور وضعفت الحامية وتهاونوا بأمرهم، وفشلت ريحهم.

وكان هذا الحي لذلك العهد بمجالات القفار، من فيكيك إلى صا وملوية كما قدمناه من شأنهم.

وكانوا يطرقون في صعودهم إلى التلول والأرياف منذ أول دولة الموحدين وما قبلها جهات كرسيف إلى وطاط، ويأنسون بمن هنالك من بقايا زناتة الأولى: مثل مكناسة بجبال تازى، وبني يرنيان من مغراوة الموطنين قصور وطاط من أعالي ملوية فيتقلبون بتلك الجهات عام المربع والمصيف، وينحدرون إلى مشاتيهم بما امتاروه من الحبوب لأقواتهم.

فلما رأوا من اختلال بلاد المغرب ما رأوا انتهزوا فيها الفرصة، وتخطوا إليها القفر، ودخلوا ثناياه، وتفرقوا في جهاته وأرجفوا بخيلهم وركابهم على ساكنه، واكتسحوا بالغارة والنهب عامة بسائطه ولجأت الرعايا إلى معتصماتهم ومعاقلهم، وكثر شاكيهم وأظلم الجو بينهم وبين السلطان والدولة، فآذنوهم بالحرب وأجمعوا لغزوهم وقطع دابرهم.

وأغرى الخليفة المستنصر عظيم الموحدين أبا علي بن وانودين بجميع العساكر والحشود من مراكش، وسرحه إلى السيد أبي إبراهيم ابن أمير الموحدين يوسف بن عبد المؤمن بمكانه من إمارة فارس وأوعز إليه أن يخرج لغزو بني مرين، وأمره أن يثخن ولا يستبقي.

واتصل الخبر ببني مرين وهم في جهات الريف وبلاد بطوية، فتركوا أثقالهم بحصن تازوطا، وصمدوا إليهم.

والتقى الجمعان بوادي نكور، فكان الظهور لبني مرين والدبرة على الموحدين وامتلأت الأيدي من أسلابهم وأمتعتهم، ورجعوا إلى تازى وفاس عراة يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشغلة يوارون به سوآتهم لكثرة الخصب عامئذ، واعتمار الفدن بالزرع وأصناف الباقلا حتى لقد سميت الواقعة يومئذ بعام المشغلة.

وصمد بنو مرين بعدها إلى تازى، ففلوا حاميتها أخرى. ثم اختلفت بنو محمد ورؤساؤهم وانتبذ عنهم من عشائرهم بنو عسكر بن محمد، لمنافسة وجدوها في أنفسهم من استقلال بني عمهم حمامة بن محمد بالرياسة دونهم، بعد أن كان أومض عندهم منها في عسكر، وابنه المخضب إيماض من أخلف بارقه.

فحالفوا عبد الحق أميرهم وقومه إلى مظاهرة أولياء الموحدين، وحامية المغرب من قبائل رياح الموطنين بالهبط وأزغار لحديث عهدهم بالتوحش والعز منذ إنزال المنصور إياهم بذلك القطر من إفريقية، فتحيزوا إليهم وكاثروهم على قومهم وصمدوا جميعاً للقاء بني مرين سنة أربع عشرة وستمائة، ودارت بينهم حرب تولى الصبر مقامها وهلك فيها أميرهم عبد الحق وكبير بنيه إدريس وتذامر لهلكها بنو مرين وجلى تلك الحومة حمامة بن يصليتن من بني عسكر، والأمير ابن محيو السكمي فانكشفت رياح آخراً، وقتل منهم أبطال.

وولى بنو مرين عليهم بعد مهلك عبد الحق ابنه عثمان تلو إدريس، وشهرته بينهم أدرغال، ومعناه برطانتهم الأعور.

وكان لعبد الحق من الولد عشرة، تسعة ذكور وأختهم ورتطليم: فإدريس وعبد الله ورحو لامرأة من بني علي اسمها سوط النساء، وعثمان ومحمد لامرأة من بني ونكاسن اسمها النوار بنت تصاليت، وأبو بكر لامرأة من بني تنالفت وهي تاغزونت بنت أبي بكر بن حفص، وزيان لامرأة من بني ورتاجن، وأبو عياد لامرأة من بني دللو إحدى بطون عبد الواد واسمها أم الفرج، ويعقوب لأم اليمن بنت محلى من بطوية.

وكان أكبرهم إدريس الهالك مع أبيه عبد الحق، فقام بأمر بني مرين من بعد عبد الحق ابنه عثمان، بايعه لوقته حمامة بن يصليتن ولمير بن محيو ومن إليهما من مشيخة قومها واتبعوا منهزمة رياح وأثخنوا فيهم.

وثار عثمان بأبيه وأخيه حتى شفا نفسه منهم ولاذوا بالسلم، فسالمهم على أتاوة يؤدونها إليه وإلى قومه كل سنة.

ثم استشرى من بعد ذلك داء بني مرين وأعضل خطبهم، وكثر الثوار بالمغرب، وامتنع عامة الرعايا عن المغرم، وفسدت السابلة.

واعتصم الأمراء والعمال من السلطان فيمن دونه بالأمصار والمدن، وغلبوا أولئك على الضاحية وتقلص ظل الحكام عن البدو جملة.

وافتقد بنو مرين الحامية دون الوطن والدفاع، فمدوا إلى البلاد يداً.

وسار بهم أميرهم أبو سعيد عثمان بن عبد الحق في نواحي المغرب يتقرى مسالكه وشعوبه، ويضع المغارم على أهله حتى دخل أكثرهم في أمره، فبايعه من الظواعن الشاوية والقبائل الآهلة: هوارة وزكارة، ثم تسول ومكناسة، ثم بطوية وقشتالة، ثم سدراتة، وبهلولة ومديونة ففرض عليهم الخراج وألزمهم المغارم، وفرق فيهم العمال ثم فرض على أمصار المغرب مثل فاس وتازى ومكناسة وقصر كتامة ضريبة معلومة يؤدونها إليه على رأس كل حول، على أن يكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم.

ثم غزا ظواعن زناتة سنة عشرين وستمائة، وأثخن فيهم حتى أذعنوا، وقبض أيديهم عما امتدت إليه من الفساد والنهب.

وعطف بعدها على رياح أهل أزغار والهبط وأثار به بأبيه، فأثخن فيهم وأبادهم ولم يزل دأبه ذلك إلى أن هلك باغتيال علجة سنة سبع وثلاثين وستمائة.

وقام بأمر بني مرين من بعده أخوه محمد بن عبد الحق، فتقبل سنن أخيه في تدويخ بلاد المغرب وأخذ الضريبة من أمصاره وجباية المغارم والوضائع من ظواعنه وبدوه وسائر رعاياه وبعث الرشيد أبا محمد بن وانودين لحربهم وعقد له على مكناسة، فدخلها وأجحف بأهلها في المغارم.

ثم نزل بنو مرين بتبجد وغير من ضواحيها، فنادى في عساكره وخرج إليهم، فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من الجانبين.

وبارز محمد بن إدريس بن عبد الحق قائداً من الروم، واختلفا ضربتين هلك العلج بإحداهما، وانجرح محمد في وجهه بالأخرى واندمل جرحه، فصار أثر في وجهه لقب من أجله أبا ضربة.

ثم شد بنو مرين على الموحدين، فانكشفوا ورجع ابن وانودين إلى مكناسة مفلولاً وبقي بنو عبد المؤمن أثناء ذلك في مرض من الأيام، وتثاقل عن الحماية ثم أومضت دولتهم آخراً إيماض الخمود.

وذلك أنه لما هلك الرشيد بن المأمون سنة أربعين وستماية، وولي أخوه علي وتلقب بالسعيد، وبايعه أهل المغرب، انصرفت عزائمه إلى غزو بني مرين، وقطع أطماعهم عما سمت إليه من تملك الوطن، فأغزى عسكر الموحدين لقتالهم، ومعهم قبائل العرب والمصامدة وجموع الروم.

فنهضوا سنة اثنتين وأربعين وستمائة في جيش كثيف يناهز عشرين ألفاً فيما زعموا.

وزحف إليهم بنو مرين بوادي ياباش، وصبر الفريقان، وهلك الأمير محمد بن عبد الحق في الجولة بيد زعيم من زعماء الروم.

وانكشفت بنو مرين واتبعهم الموحدون، ودخلوا تحت الليل، فلحقوا بجبال غياثة من نواحي تازى واعتصموا بها أياماً.

ثم خرجوا إلى بلاد الصحراء، وولوا عليهم أبا يحيى بن عبد الحق، فقام بأمرهم على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن دولة الأمير أبي يحيى بن عبد الحق مديل الأمر لقومه بني مرين وفاتح الأمصار ومقيم الرسوم الملوكية من الآلة وغيرها لمن بعده من أمرائهم

لما ولي أبو يحيى بن عبد الحق أمر بني مرين سنة اثنتين وأربعين وستمائة، كان من أول ما ذهب إليه ورآه من النظر لقومه، أن قسم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين عشائر بني مرين وأنزل كلاً منهم في ناحية تسوغها سائر الأيام طعمة فاستركبوا الرجل أتباعهم، واستلحقوا من غاشيتهم، وتوفرت عساكرهم.

ثم نبضت نار المنافسة بين أحيائهم، وخالف بنو عسكر جماعتهم، وصاروا إلى الموحدين، فحرضوهم على أبي يحيى بن عبد الحق وبني حمامة وأغروهم بهم وبعثوا الصريخ إلى يغمراسن بن زيان، فوصل في قومه إلى فاس واجتمعوا جميعاً إلى قائد الموحدين، وأعطوا الرهن على صدق البلاء في الأمير أبي يحيى وأتباعه، وصمدوا إليه حتى انتهوا إلى ورغة، ثم إلى كرت، وأعجزهم فانكفؤوا راجعين إلى فاس.

ونذر يغمراسن بغدر الموحدين، فخرج في قومه مع أوليائه بني عسكر، وعارضهم الأمير أبو يحيى بوادي سبو، فلم يطق حربهم، ورجع عنهم عسكر الموحدين بما صرخ في معسكرهم من موت الخليفة السعيد.

ثم بعثوا إليه لملاطفتهم في الفيئة إلى الطاعة ومذاهب الخدمة، القائد عنبر الخصي مولى الخليفة في حصة من الروم والناشبة، فتقبض عليهم بنو عسكر وتمسكوا بهم في رهنهم، وقتلوا كافة النصارى، فأطلق أبناءهم ولحق يغمراسن وقومه بتلمسان، ثم رجع بنو عسكر إلى ولاية أميرهم أبي يحيى، واجتمع بنو مرين لشأنهم وتملكوا الأعمال.

ثم مدوا عينهم إلى تملك الأمصار، فنزل أبو يحيى بجملته جبل زرهون، ودعا أهل مكناسة إلى بيعة الأمير أبي زكرياء بن أبي حفص صاحب إفريقية، لما كان يومئذ على دعوته وفي ولايته، فحاصرها وضيق عليها بقطع المرافق وترديد الغارات ومعاودة الحرب، إلى أن أذعنوا لطاعته، فافتتحها صلحاً بمداخلة أخيه يعقوب بن عبد الحق لزعيمها أبي الحسن بن أبي العافية.

وبعثوا بيعتهم إلى الأمير أبي زكرياء، وكانت من إنشاء أبي المطرف بن عميرة، وكان قاضياً فيهم يومئذ، فأقطع السلطان ليعقوب ثلث جبايتها، ثم أحس الأمير أبو يحيى بن عبد الحق من نفسه الاستبداد، ومن قبيله الاستيلاء فاتخذ الآلة.

وبلغ الخبر إلى السعيد بتغلبه على مكناسة وصرفها إلى دعوة ابن أبي حفص، فوجم لها وفاوض الملأ من أهل دولته في أمره، وأراهم كيف اقتطع الأمر عنهم شيئاً فشيئاً: فابن أبي حفص اقتطع إفريقية، ثم يغمراسن بن زيان وبنو عبد الواد اقتطعوا تلمسان والمغرب الأوسط، وأقاموا فيها دعوة ابن أبي حفص، وأطمعوه في الحركة إلى مراكش بمظاهرتهم.

وابن هود اقتطع عدوة الأندلس، وأقام فيها دعوة بني العباس، وابن الأحمر في الجانب الآخر مقيم لدعوة ابن أبي حفص.

وهؤلاء بنو مرين تغلبوا على ضواحي المغرب، ثم سموا إلى تملك الأمصار، ثم افتتح أميرهم أبو يحيى مكناسة وأظهر فيها دعوة ابن أبي حفص، وجاهر بالاستبداد، ويوشك إن رضينا هذه الدنية، وأغضينا عن هذه الواقعات أن يختل الأمر أو تنقرض الدعوة، فتدامروا وامتعضوا وتداعوا للصمود إليه.

فجهز السعيد عساكره، واحتشد عرب المغرب وقبائله، واستنفر الموحدين والمصامدة، ونهض من مراكش سنة خمس وأربعين وستمائة يريد مكناسة: وبني مرين أولاً، ثم تلمسان ويغمراسن ثانياً، ثم إفريقية وابن أبي حفص آخراً، واعترض العساكر والحشود بوادي بهت.

ووصل الأمير أبو يحيى إلى معسكره متوارياً عنهم عيناً لقومه، حتى صدقهم كنه الخبر، وعلم أن لا طاقة له بهم، فأفرج عن البلاد، وتناذر بنو مرين بذلك من أماكنهم، فتلاحقوا به واجتمعوا إليه بتازوطا من بلاد الريف.

ونزل سعيد مكناسة، ولاذ أهلها بالطاعة، وسألوا العفو عن الجريرة، واستشفعوا بالمصاحف، برز بها الأولاد على رؤوسهم، وانتظموا مع النساء في صعيد حاسرات منكسرات الطرف من الخشوع ووجوم الذنب والتوسل، فعفا عنهم وتقبل فيئهم، وارتحل إلى تازى في اتباع بني مرين.

وأجمع بنو أوطاس الفتك بأبي يحيى بن عبد الحق غيرة ومنافسة، ودس إليه بذلك مهيب من مشيختهم، فترحل عنهم إلى بلاد بني يزناسن، ونزل بعين الصفا.

ثم راجع نظره في مسالمة الموحدين والفيئة إلى أمرهم ومظاهرتهم على عدوهم يغمراسن وقومه من بني عبد الواد، ليكون فيها شفاء نفسه منهم، فأوفد مشيخة قومه عليه بتازى، فأدوا طاعته وفيئته، فتقبلها وصفح لهم عن الجرائر التي أتوها، وسألوه أن يستكفي بالأمير أبي يحيى في أمر تلمسان ويغمراسن، على أن يمده بالعساكر رامحة وناشبة.

فاتهمهم الموحدون وحذروا منهم غائلة العصبية، فأمرهم السعيد بالعسكرة معه فأمده الأمير أبو يحيى بخمسماية من قبائل بني مرين.

وعقد عليهم لابن عمه أبي عياد بن يحيى بن أبي بكر بن حمامة، وخرجوا تحت رايات السلطان، ونهض من تازى يريد تلمسان وما وراءها، وكان من خبر مهلكه على جبل تامزيزدكت بيد بني عبد الواد ما ذكرناه في أخبارهم.

ولما هلك وانفضت عساكره متسابقين إلى مراكش، وجمهورهم مجتمعون إلى عبد الله بن الخليفة السعيد ولي عهده، وتحت رايات أبيه، وطار الخبر بذلك إلى الأمير أبي يحيى بن عبد الحق، وهو بجهات بني يزناسن، وقد خلص إليه هنالك ابن عمه أبو عياد.

وبعث بني مرين من تيار تلك الصدمة، فانتهز الفرصة وأرصد لعسكر الموحدين وفلهم بكرسيف، فأوقع بهم وامتلأت أيدي بني مرين من أسلابهم، وانتزعوا الآلة من أيديهم.

وأصار إلى كتيبة الروم والناشبة من الغزو، واتخذ الموكب الملوكي، وهلك الأمير عبد الله بن السعيد في جوانب تلك الملحمة، ويئسوا للموحدين بعدها من الكرة.

ونهض الأمير أبو يحيى وقومه إلى بلاد المغرب مسابقين إليه يغمراسن بن زيان بما كان ملوك الموحدين أوجدوهم السبيل إلى ذلك باستجاشة على بني مرين أيام فتنتهم معهم، فكانوا يبيحونه حرم المغرب ويوطئونه عساكر قومه ما بين تازى إلى فاس، إلى القصر مع عساكر الموحدين، فكان ليغمراسن وقومه بذلك طمع فيها لولا ما كبحهم فأس بني مرين وجدع من أنوفهم.

وكان أول ما بدأ به أبو يحيى بن عبد الحق أعمال وطاط،

فافتتح حصونهم بملوية ودوخ جبلهم.

ثم رحل إلى فاس، وقد أجمع أمره على انتزاعها من ملكة بني عبد المؤمن، وإقامه الدعوة لابن أبي حفص بها وبسائر نواحيها، والعامل بها يومئذ السيد أبو العباس، فأناخ عليها بركابه، وتلطف في مداخلة أهلها، وضمن لهم جميل النظر وحميد السياسة، وكف الأيدي عنهم، والحماية لهم بحسن المغبة، وصالح العائدة، فأجابوه ووثقوا بعهده وعنائه، وآووا إلى ظله وركنوا إلى طاعته، وانتحال الدعوة الحفصية بأمره، ونبذوا طاعة بني عبد المؤمن يأساً من صريخهم وكثرتهم.

وحضر أبو محمد القشتالي، وأشهده الله على الوفاء بما اشترط على نفسه من النظر لهم والذب عنهم، وحسن الملكة والكفالة، وتقبل مذاهب العدل فيهم، فكان حضوره ملاك تلك العقدة والبركة التي يعرف أثرها خلفهم في تلك البيعة، وكانت البيعة بالرابطة خارج باب الفتوح.

ودخل إلى قصبة فاس لشهرين اثنين من مهلك السعيد، فاتح ست وأربعين وستماية، وأخرج السيد أبا العباس من القصبة، وبعث معه خمسين فارساً أجازوه أم ربيع ورجعوا، ثم نهض إلى منازلة تازى، وبها السيد أبو علي، فنازلها أربعة أشهر، ثم نزلوا على حكمه، فقتلهم ومن على آخرين منهم، وسد ثغرها، وثقف أطرافها، وأقطع رباط تازى وحصون ملوية لأخيه يعقوب بن عبد الحق.

ورجع إلى فاس، فوفد عليه بها مشيخة أهل مكناسة، وجددوا بيعتهم وعاودوا طاعتهم، ولحق بهم على أثرهم أهل سلا ورباط الفتح، فتملك الأمير أبو يحيى هذه البلاد الأربعة أمهات أمصار المغرب، واستولى على نواحيها إلى وادي أم ربيع، فأقام فيها دعوة ابن أبي حفص، وبعث بها إليه.

واستبد بنو مرين بملك المغرب الأقصى، وبنو عبد الواد بملك المغرب الأوسط، وبنو أبي حفص بإفريقية، وخمد ذبال آل عبد المؤمن، وركدت ريحهم، وآذنت بالانقراض دولتهم، وأشرف على الفناء أمرهم.

وإلى الله عاقبة الأمور.

## الخبر عن انتقاض أهل فاس على أبي يحيى بن عبد الحق وظفره بهم بعد إيقاعه بيغمراسن وقومه بأيسلى

لما ملك الأمر أبو يحيى بن عبد الحق بمدينة فاس سنة ست وأربعين وستماية، استولى على بلاد المغرب بعد مهلك السعيد.

وقام بأمر الموحدين بمراكش أبو حفص عمر لمرتضى بن السيد أبي إبراهيم إسحاق الذي كان قائد عسكر الموحدين في حربهم مع بني مرين عام المشغلة، ابن أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، كان السعيد تركه والياً بقصبة رباط الفتح من سلا، فاستدعاه الموحدون وبايعوه بيعة الخلافة، وقام بأمرهم.

فلما تغلب الأمير أبو يحيى على بلاد المغرب وملك مدينة فاس كما ذكرناه، خرج إلى بلاد فازاز والمعدن لفتح بلاد زناتة وتدويخ نواحيها، واستعمل على فاس مولاه السعود بن خرباش، من جماعة الحشم أخلاف بني مرين وصنائعهم.

وكان الأمير أبي يحيى استبقى بها من كان فيها من عسكر الموحدين من غير عيصهم في السبيل التي كانوا عليها من الخدمة.

وكان فيهم طائفة من الروم، استخدمهم إلى نظر قائدهم شأنه، وكانوا من حصة السعود هنالك.

ووقعت بينهم وبين شيع الموحدين من أهل البلد مداخلة، وفتكوا بالسعود عاملهم وقلبوا الدعوة للمرتضى الخليفة بمراكش سكيت الحلبة ومخلف المضمار.

وكان المتولي لكبر تلك الثورة ابن حشار المشرف وأخوه وابن أبي طاطو وابنه، اجتمعوا إلى القاضي أبي عبد الرحمن المغيلي، زعيم فئة الشورى بينهم يومئذ وتوامروا فيها، وأغروا قائد الروم بقتل السعود، وعدوا عليه بمقعد حكمه من القصبة، وهاجوه ببعض المحاورات فغضبت ووثب عليه الرومي، فقتله وطاف برأسه الهاتف بسكك المدينة في شوال سنة سبع وأربعين وستماية، وانتهبت داره، واستبيحت حرمه، ونصبوا قائد الروم لضبط البلد، وبعثوا ببيعتهم إلى المرتضى.

واتصل الخبر بالأمير أبي يحيى، وهو منازل بلد فازاز، فأفرج عنها، وأغذ السير إلى فاس، فأناخ بعساكره عليها، وشمر لحصارها، وقطع السابلة عنها.

وبعثوا إلى المرتضى بالصريخ، فلم يرجع إليهم قولاً، ولا ملك لهم ضراً ولا نفعاً، ولا وجه لما نزل بهم وجهاً، حاشا إنه

استجاش بالأمير أبي يحيى يغمراسن بن زيان على أمره، وأغراه بعدوه، وأمله لكشف هذه النازلة عمن انحاش إلى طاعته.

وتعلقت أطماع يغمراسن بطروق بلاد المغرب، فاحتشد لحركته، ونهض من تلمسان للأخذ بحجزة الأمير أبي يحيى عن فاس، وإجابة صريخ الخليفة لذلك.

وبلغ الأمير أبا يحيى خبر نهوضه إليه لتسعة أشهر من منازلته البلد، فجمر الكتائب عليها، صمد إليه قبل وصوله من تخوم بلاده، والتقى الجمعان بايسلى من بسائط وجدة، فتزاحف القوم وأبلوا، وكانوا ملحمة عظيمة، هلك فيها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بيد إبراهيم بن هشام من بني عبد الواد.

ثم انكشف بنو عبد الواد، وهلك يغمراسن بن تاشفين من أكابر مشيختهم، ونجا يغمراسن بن زيان إلى تلمسان.

وانكفأ الأمير أبو يحيى إلى معسكره للأخذ بمخنق فاس، فسقط في أيدي أهلها، ولم يجدوا وليجة من دون طاعته، فسألوا الأمان، وبذله لهم على غرم ما تلف له من المال بداره يوم الثورة، وقدره ماية ألف دينار، فتحملوها وأمكنوه من قياد البلد، فدخلها في جمادى من سنة ثمان وأربعين وستماية.

وطالبهم بالمال، فعجزوا ونقضوا شرطه، فحق عليهم القول.

وتقبض على القاضي أبي عبد الرحمن وابن أبي طاطو وابنه، وابن حشار وأخيه المتولين كبر الفعلة فقتلهم، ورفع على الشرفات رؤوسهم، وأخذ الباقين بغرم المال طوعاً أو كرهاً، فكان ذلك مما عبد رعية فاس وقادهم لأحكام بني مرين، وضرب الرهب على قلوبهم لهذا العهد، فخشعت منهم الأصوات وانقادت الهمم، ولم يحدثوا بعدها أنفسهم بغمس يد في فتنة.

والله مالك الأرض ومن عليها.

## الخبر عن تغلب الأمير أبي يحيى على مدينة سلا وارتجاعها من يده وهزيمة المرتضى بعدها

لما كمل للأمير أبي يحيى فتح مدينة فاس، واستوسق أمر بني مرين بها، رجع إلى ما كان فيه من منازلة بلاد فازاز فافتتحها.

ودوخ أوطان زناتة، واقتضى مغارمهم وحسم علل الثائرين فيها.

ثم تخطى إلى مدينة سلا ورباط الفتح سنة تسع وأربعين وستماية، فملكها وتاخم الموحدين بثغرها.

واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله ابن عبد الحق، وعقد له على ذلك الثغر، وضم إليه الأعمال.

وبلغ الخبر بذلك إلى المرتضى، فأهمه الشأن.

وأحضر الملأ من الموحدين وفاوضهم، واعتزم على حرب بني مرين.

وسرح العساكر سنة خمسين وستماية، فأحاطت بسلا، فافتتحوها وعادت إلى طاعة المرتضى.

وعقد عليها لأبي عبد الله بن أبي يعلو من مشيخة الموحدين.

وكان المرتضى قد صمد بنفسه سنة تسع وأربعين وستماية إلى محاربة بني مرين في جموع الموحدين وعساكر الدولة، صمد بنو مرين للقائه.

والتقى الجمعان بإيملولين، ففضوا جموعه، وكانت الدبرة عليه والظهور لهم.

ثم كان بعدها فتح سلا، وغلب الموحدين عليها.

وأجمع المرتضى بعدها على احتشاد أهل سلطانه، ومعاودة الخروج بنفسه إلى غزوهم لما خشي من امتداد أمرهم.

وتقلص ملك الموحدين، فعسكر خارج حضرته سنة ثلاث وخمسين وستمائة وبعث الحاشرين في الجهات، فاجتمع إليه أمم الموحدين والعرب والمصامدة.

وأغذ السير تلقاءهم، حتى إذا انتهى إلى جبال بهلولة من نواحي فاس، وصمد إليه الأمير أبو يحيى في عساكر بني مرين، ومن اجتمع إليهم من دونهم، والتقى الجمعان هنالك.

وصدقهم بنو مرين القتال، فاختل مصاف السلطان، وانهزمت عساكره وأسلمه قومه، ورجع إلى مراكش مفلولاً.

واستولى القوم على معسكره واستاحوا سرادقه وفساطيطه، وانتهبوا جميع ما وجدوا بها من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهر، وامتلأت أيديهم من الغنائم، واعتز أمرهم وانبسط سلطانهم، وكان يوماً له ما بعده.

وأغرى أثر هذه الحركة عساكر بني مرين تادلا واستباح بني جابر حاميتها من جشم ببلد أبي نفيس، واستلحم أبطالهم، وألان من حدهم، وخضد من شوكتهم.

وفي أثناء هذه الحروب كان مقتل علي بن عثمان بن عبد الحق، وهو ابن أخي الأمير أبي يحيى، شعر منه بفساد الدخلة والاجتماع للتوثب به، فدس لابنه أبي حديد مفتاح بقتله، بجهات مكناسة سنة إحدى وخمسين وستمائة والله تعالى أعلم.

والله تعالى أعلم.

## الخبر عن فتح سجلماسة وبلاد القبلة وما كان في ذلك من الأحداث

لما يئس بنو عبد المؤمن من غلبهم بني مرين على ما صار في أيديهم من بلاد المغرب وعادوا إلى مدافعتهم عن صبابة الدولة التي تحلبت إياها شفاههم لو أطاقوا المدافعة عنها وملك بنو مرين عامة بلاد التلول، اعتزم الأمير أبو يحيى بعدها على الحركة إلى بلاد القبلة ففتح سجلماسة ودرعة وما إليها سنة ثلاث وخمسين وستمائة فافتتحها بمداخلة من ابن القطراني، غدر بعامل الموحدين فتقبض عليه، وأمكن منها الأمير أبا يحيى فملكها، وما إليها من درعة سائر بلاد القبلة، وعقد عليها لابنه أبي حديد.

وبلغ الخبر إلى المرتضى فسرح العساكر سنة أربع وخمسين وستمائة لاستنقاذها، وعقد عليهم لابن عطوش من مشيخة الموحدين، فأغذ الأمير أبو يحيى السير إليها وابنه أبو حديد مفتاح.وأحس به ابن عطوش.ففر راجعاً إلى مراكش، ثم نهض سنة خمس وخمسين وستمائة إلى محاربة يغمراسن ولقيه بأبي سليط، فأوقع به واعتزم على اتباعه، فثناه عن رأيه في ذلك أخوه يعقوب بن عبد الحق لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن فرجع.

ولما انتهى إلى المقرمدة هذه، بلغه أن يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة لمداخلة من بعض أهلها أطمعته في ملكها، فأغذ السير إليها بجموعه، ودخلها. ولصبيحة دخوله وصل يغمراسن لشأنه، فلما علم بمكان أبي يحيى من البلد سقط في يده ويئس من غلابه، ودارت بينهم حرب تكافيا فيها وهلك سليمان بن عثمان بن عبد الحق ابن أخي الأمير أبي يحيى، وانقلب يغمراسن إلى بلده، وعقد الأمير أبو يحيى على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن، واستعمل على الجباية عبد السلام الأوربي وداود بن يوسف، وانكفأ راجعاً إلى فاس.

والله تعالى أعلم.

## الخبر عن مهلك الأمير أبي يحيى وما كان أثر ذلك من الأحداث التي تمخضت عن استبداد أخيه يعقوب بن عبد الحق بالأمر

لما رجع الأمير أبو يحيى من حرب يغمراسن بسجلماسة، أقام أياماً بفاس.

ثم نهض إلى سجلماسة متفقداً لثغورها، فانقلب منها عليلاً، وهلك حتف أنفه على سرير ملكه في رجب سنة ست وخمسين وستمائة أمضى ما كان عزماً، وأطول إلى تناول الملك يداً.

اختطفته يد المنون عن شأنه ودفن بمقبرة باب الفتوح من فاس، ضجيعاً للمولى أبي محمد القشتالي كما عهد لأهل بيته.

وتصدى للقيام بأمره ابنه عمر واشتمل عليه عامة قومه.

ومالت المشيخة وأهل الحل والعقد إلى عمه يعقوب بن عبد الحق، وكان غائباً عن مهلك أخيه بتازى، فلما بلغه الخبر أسرع اللحاق بفاس وتوجهت إليه وجوه الأكابر.

وأحس عمر بصاغية الناس إليه، وحرضه أتباعه على الفتك بعمه، فاعتصم بالقصبة، وسعى الناس في الإصلاح بينهما، فتفادى يعقوب عن الأمر، ودفعه إلى ابن أخيه، على أن يكون له بلاد تازى وبطوية وملوية، ولما لحق بتازى واجتمع إليه كافة بني مرين، عذلوه فيما كان منه فاستلام، وحملوه على العودة في الأمر، ووعدوه من أنفسهم المظاهرة والمؤازرة فأجاب، وبايعوه وصمد إلى فاس، وبرز عمر للقائه فانتهى إلى المسجدين، ولما تراءى الجمعان خذله جنوده وأسلموه، فرجع إلى فاس مفلولاً، وجه الرغبة إلى عمه أن يقطعه مكناسة ونزل له عن الأمر، فأجابه إلى ذلك، ودخل السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق مدينة فاس فملكها سنة سبع وخمسين وستمائة وتمشت طاعته في بلاد المغرب ما بين ملوية وأم الربيع وسجلماسة وقصر كتامة.

واقتصر عمر على إمارة مكناسة فتملكها أياماً ثم اغتاله من عشيره عمر وإبراهيم ابنا عمه عثمان بن عبد الحق والعباس ابن عمه محمد بن عبد الحق فقتلوه وثاروا منه بدم كانوا يعتدونه عليه.

وهلك لعام وبعض عام من إمارته، فكفى يعقوب شأنه واستقام سلطانه، وذهب المنازع والمشاق عن أمره.

وكان يغمراسن بعد مهلك قرنه الأمير أبي يحيى سما له الأمل في الأجلاب على المغرب، فجمع لذلك قومه واستجاش بني توجين ومغراوة وأطمعهم في غيل الأسود ونهضوا إلى المغرب

حتى انتهوا إلى كلدامان وصمد السلطان يعقوب بن عبد الحق إلى لقائهم فغلبهم ورجعوا على تعبية، ومر يغمراسن ببلاد بطوية فأحرق وانتسف واستباح وأعظم فيها النكاية.

ورجع السلطان إلى فاس وتقبل مذهب أخيه الأمير أبي يحيى في فتح أمصارالمغرب وتدويخ أقطاره.

وكان مما أكرمه اللّه به أن فتح أمره باستنقاذ مدينة سلا من أيدي النصارى، فكان له بها أثر جميل وذكر خالد، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن فجاءة العدو مدينة سلا واستنقاذها من أيديهم

كان يعقوب بن عبد اللّه قد استعمله عمه الأمير أبو يحيى على مدينة سلا لما ملكها كما ذكرناه.

فلما استرجعها الموحدون من يده أقام يتقلب في جهاتها مرصداً لأهلها وحاميتها.

ولما بويع عمه يعقوب بن عبد الحق أسفته بعض الأحوال، فذهب مغاضباً حتى نزل غبولة، وألطف الحيلة في تملك رباط الفتح وسلا ليعتدها ذريعة لما أسر في نفسه، فتمت له الحيلة، وركب عاملها ابن يعلو البحر فاراً إلى أزمور وخلف أمواله وحرمه فتملك يعقوب بن عبد اللّه البلد وجاهر بالخلعان، وصرف إلى منازعة عمه السلطان أبي يوسف وجوه العزم، وداخل تجار الحرب في الإمداد بالسلاح.

فتحاوروا في ذلك وكثرت سفر المترددين بينهم، حتى كثروا أهلها واهتبلوا يوم الفطر من سنة ثمان وخمسين وستمائة عند شغل الناس بعيدهم.

وثاروا بسلا، وسبوا الحرم وانتهبوا الأموال، وضبطوا البلد وامتنع يعقوب بن عبد اللّه برباط الفتح، وطار الصريخ إلى السلطان أبي يوسف، وكان بتازى متشرفاً لأحوال يغمراسن، فنادى في قومه، وطاروا بأجنحة الخيول ووصلها ليوم وليلة، وتلاحقت به أمداد المسلمين من أهل الديوان والمطوعة.

ونازلها أربع عشرة ليلة، ثم اقتحمها عليهم عنوة، وأثخن فيهم بالقتل، ثم رم بالبناء ما كان متثلماً من سورها الغربي حيث أمكنت منه الفرصة في البلد وتناول البناء فيه بيده واللّه لا يضيع عمل عامل.

وخشي يعقوب بن عبد اللّه بادرة السلطان، فخرج من رباط الفتح وأسلمه فضبطه السلطان وثقفه.

ثم نهض إلى بلاد تامسنا وأنفى، فملكها وضبطها ولحق يعقوب بن عبد اللّه بحصن علودان من جبال غمارة، فامتنع به وسرح السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلي بن زيان لمنازلته.

وسار إلى لقاء يغمراسن لقاء المهادنة، فلقيه بوادي محرمان وافترقا على السلم ووضع أوزار الحرب، ورجع السلطان إلى المغرب فخرج عليه بنو أخيه أولاد إدريس، ولحقوا بقصر كتامة، شايعوا يعقوب ابن عمهم عبد اللّه على راية.

واجتمعوا إلى كبيرهم محمد بن إدريس فيمن إليهم من العشير والصنائع، فنهض إليهم واعتصموا بجبال غمارة، ثم استنزلهم واسترضاهم وعقد لعامر بن ادريس سنة ستين وستمائة على عسكر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من المطوعة من بني مرين، وأغراهم إلى العدوة لجهاد العدو وحملهم، وفرض لهم وشفع بها عمله في واقعة سلا وهو أول جيش أجاز من بني مرين، فكان لهم في الجهاد والمرابطة مقامات محمودة وذكر خالد تقبل سبيلهم فيها خلفهم من بعدهم حسبما نذكره.

وأقام يعقوب بن عبد اللّه خارجاً بالنواحي متنقلاً في الجهات إلى أن قتله طلحة بن محلّى بساقيه غبولة من ناحية سلا سنة ثمان وستين وستمائة فكفى السلطان شأنه.

وكان المرتضى من توالت عليهم الوقائع واستمر الظهور لبني مرين المحجز في جدرانه وتوارى بالأسوار عن عدوه، فلم يسم إلى لقاء زحف ولا حدث نفسه إلى شهود حرب، واستأسد بنو مرين على الدولة وشرهوا إلى التهام البقية، وأسفوا إلى منازلة مراكش دار الخلافة، كما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن منازلة السلطان أبي يوسف حضرة مراكش دار الخلافة وعنصر الدولة وما كان أثر ذلك من نزوع أبي دبوس إليه وكيف نهبه للأمر وكان مهلك المرتضى على يده ثم انتقض عليه

لما فرغ السلطان من شأن الخوارج عليه من عشيره، استجمع لمنازلة المرتضى والموحدين في دارهم، ورأى أنه أوهن لدولتهم وأقوى لأمره عليهم.

وبعث قومه واحتشد أهل ممالكه، واستكمل تعبيته وسار

حتى انتهى إلى إيكليز فأعتزم على ذلك سنة ستين وستمائة وشارف دار الخلافة، ثم نزل بقعرها وأخذ بمخنقها.

وعقد المرتضى على حربهم للسيد أبي العلاء إدريس المكنى بأبي دبوس ابن السيد أبي عبد اللّه بن أبي حفص بن عبد المؤمن، فعبأ كتائبه ورتب مصافه، وبرز لمدافعتهم ظاهر الحضرة، فكانت بينهم حروب بعد العهد بمثلها، استشهد فيها الأمير عبد اللّه بن يعقوب بن عبد الحق، وكانوا يسمونه برطانتهم أيعجوب ففت مهلكه في عضدهم، وارتحلوا عنها إلى عملهم، واعترضتهم عساكر الموحدين بوادي أم ربيع، وعليهم يحيى بن عبد اللّه بن وانودين، فاقتتلوا في بطن الوادي وانهزمت عساكر الموحدين.

وكان في مسيل الوادي كدى تحسر عنها غمر الماء وتبدو كأنها أرجل، فسميت الواقعة بها أم الرجلين.

ثم سعى بعض سماسرة الفتن عند الخليفة المرتضى في ابن عمه وقائد حربه السيد أبي دبوس بطلبه الأمر لنفسه، وشعر بالسعاية فخشي بادرة المرتضى ولحق بالسلطان أبي يوسف مدخله إلى فاس من منازلته آخر سنة إحدى وستين وستمائة نازعاً إليه، فأقام عنده ملياً.

ثم سأل منه الإعانة على أمره بعسكر يمده وآلة يتخذها لملكه، ومال يصرفه في ضروراته على أن يشركه في الغنيمة والفتح والسلطان، فأمده بخمسة آلاف من بني مرين، وبالكفاية من المال والمستجاد من الآلة وأهاب له بالعرب والقبائل من أهل ممالكه ومن سواهم أن يكونوا يداً معه.

وسار في الكتائب حتى شارف الحضرة، ودس إلى أشياعه ومن يداخله من الموحدين في أمره، فثاروا بالمرتضى واجهضوه عنها، فلحق بأزمور مستجيشاً بصهره ابن عطوش.

ودخل أبو دبوس الحضرة في المحرم فاتح خمس وستين وستمائة وتقبض ابن عطوش عامل أزمور على المرتضى واقتاده أسيراً إلى أبي دبوس، فبعث مولاه مزاحماً احتز رأسه في طريقه، واستقل بالخلافة وصبابة آل عبد المؤمن.

ثم بعث إليه السلطان في الوفاء بالمشارطة، فعتا واستنكف، ونقض العهد وأساء الخطاب، فنهض إليه في جموع بني مرين وعساكر المغرب، فخام عن اللقاء وانحجز بمراكش، ونازله السلطان أياماً تباعاً ثم سار في الجهات والنواحي يحطم الزرع وينسف الأقوات.

وعجز أبو دبوس عن دفاعه، فاستجاش عليه بيغمراسن بن زيان ليفت في عضده ويشغله من ورائه، ويأخذ بحجزته عن التهامه على ما نذكر لو أمهلته الأيام، وانفسح له الأجل.

## الخبر عن وقيعة تلاغ بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان بإغراء أبي دبوس وتضريبه

لما نازل السلطان أبو يوسف حضرة مراكش وقعد على براثنه للتوثب علمه، لم يجد أبو دبوس وليجة من دون قصده إلا استجاشته بيغمراسن وقومه عليه، ليأخذوا بحجزته عنه، ويشغلوه من ورائه.

فبعث إليه الصريخ في كشف بلواه ومدافعة عدوه، وأكد العهد وأسنى الهدية، فشمر يغمراسن لاستنقاذه وجذب عدوه من ورائه، وشن الغارات على ثغور المغرب وأضرمها ناراً فأهاج عليه وعلى قومه من السلطان يعقوب ليثاً عاديثاً، وأرهف منه عزماً ماضياً، وأفرج يعقوب على مراكش بعزم النهوض إلى تلمسان، ونزل بفاس، وتلوم بها أياماً حتى أخذ أهبة الحرب، وأكمل استعدادها ورحل فاتح ست وستين وستمائة وسلك على كرسيف، ثم على تافرطا، وتزاحف الفريقان بوادي تلاغ، وعبأ كل منهم كتائبه ورتب مصافه، وبرز النساء سافرات الوجوه في سبيل التحريض يحيّن ويعدّين ويرغبن ولما فاء الفيء ومال النهار، وكثر حشود المغرب جموع بني عبد الواد ومن إليهم، انكشفوا ومنحوا العدو أكتافهم.

وهلك أبو حفص عمر كبير والد يغمراسن وولي عهده في جماعة من عشيره، ذكرناهم في أخباره.

وأخذ يغمراسن بأعقاب قومه، فكان لهم رداً إلى أن خلصوا من المعترك ووصلوا إلى بلادهم في جمادى من سنتهم، وعاد السلطان أبو يوسف إلى مكانه من حصار مراكش واللّه أعلم.

## الخبر عن السفارة والمهاداة التي وقعت بين السلطان يعقوب ابن عبد الحق وبين المستنصر الخليفة بتونس من آل أبي حفص

كان الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص منذ دعا لنفسه بتونس سنة خمس وعشرين وستمائة طموحاً إلى ملك مراكش مقر الدعوة ومنبعث الدولة وأصل الخلافة.

وكان يؤمل لذلك زناتة، وإلا فلما دونة من خضد شوكة آل عبد المؤمن، وتقليم أظافر بأسهم، وردهم على أعقابهم أن يخلصوا إليه، وتغلب على تلمسان سنة أربعين وستمائة ودخل يغمراسن بن زيان في دعوته وصار فئة له وشيعته على عدوه كما ذكرناه، فوصل به جناحه للمدافعة.

وناغاه بنو مرين في مراسلة ابن أبي حفص ومخاطبته، وتخفيض عليه فيما يهمه من شأن عدوه، وحمل ما يفتحون من بلاد المغرب على البيعة له والطاعة مثل: فاس ومكناسة والقصر.

وكان هويلاطفهم بالتحف والهدايا، ويريهم البر في الكتاب والخطاب والمعاملة وتكريم الوفد غير سبيل آل عبد المؤمن، فكانوا يجنحون بذلك إلى تجديد مراسلته، وإيفاد قرابتهم عليه.

وولى ابنه المستنصر من بعده سنة سبع وأربعين وستمائة فتقبل مذاهب أبيه وأوفى عليه بالإيعاز إليهم بمنازلة مراكش، وضمان الإنفاق عليهم فيها، فكان يبعث لذلك أحمالاً، من المال والسلاح وأعداد وافرة من الخيل بمراكبها للحملان، ولم يزل دأبه ذلك معهم.

ولما فعل ابن أبي دبوس فعلته في نقض العهد واستجمع السلطان لمنازلته، قدم بين يدي عمله مراسلة الخليفة المستنصر يخبره الخبر ويتلطف له في استنزال المدد، فأوفد عليه ابن أخيه عامر بن إدريس بن عبد الحق، وأصحبه عبد الله بن كندوز لعبد الوادي كبير بني كمي، وقريع بني يغمراسن الذي ثار يغمراسن من أبيه كندوز بأبيه زيان كما ذكرناه في أخبارهم.

وكان خلص إليه من حضرة المستنصر فلقاه مبرة وتكريماً، وأوفد معهما الكاتب أبا عبد الله محمد بن محمد الكناني من صنائع دولة آل عبد المؤمن، كان نزع إلى أخيه الأمير أبي يحيى لما رأى من اختلال الدولة، وأنزله مكناسة وآثره بالصحبة والخلة، فجمع له يعقوب بن عبد الحق في هذا الوفد من الأشراف من يحسن الرياسة، ويعرب عما في الضمائر، ويدل على شرف مرسله.

فوفدوا على المستنصر سنة خمس وستين وستمائة وأدوا رسالتهم وحركوا له جوار المظاهرة على صاحب مراكش وكبح عنانه، فحسن واهتز سروراً من أعواده، ولقاهم مبرة التكريم وأحسن النزل، ورد الأمير عامر بن إدريس، وعبد الله بن كندوز لوقتهما.

وتمسك بالكناني من بينهم لمصاحبة وفده، فطال مقامه عنده إلى أن كان من فتح مراكش ما نذكره.

ثم أوفد المستنصر على السلطان يعقوب بن عبد الحق آخر سنة تسع وستين وستمائة بعدها شيخ الجماعة من الموحدين لعهده أبا زكريا يحيى بن صالح الهنتاتي مع جماعة من مشيخة الموحدين في مرافقة محمد الكناني، وبعث معهم إلى السلطان هدية سنية يلاطفه بها ويتاحفه، انتخب فيها من الجياد والسلاح وأصناف الثياب الغريبة العمل ما انتقاه.

ووقف رضاه وهمته على الاستكثار منه، فحسن موقعها وتحدث بها وانقلب وفده أحسن منقلب بعد أن تلطف محمد الكناني في ذكر الخليفة المستنصر على منبر مراكش، فتم له، وشهده وفد الموحدين فعظم سرورهم وانقلبوا محبورين مسرورين، واتصلت بعد ذلك مهاداة المستنصر ليعقوب بن عبد الحق إلى أن هلك، وجرى ابنه الواثق من بعده على سننه، فبعث إليهم سنة سبع وسبعين وستمائة هدية حافلة، بعث بها القاضي أبا العباس الغماري قاضي بجاية فعظم موقعها، وكان لأبي العباس الغماري بالمغرب ذكر تحدث به الناس والله أعلم.

## الخبر عن فتح مراكش ومهلك أبي دبوس وانقراض دولة الموحدين من المغرب

لما رجع السلطان أبو يوسف من حرب يغمراسن ورأى أنه قد كف من غربه ورد من كيده وكيد أبي دبوس صريخه، صرف حينئذ عزائمه إلى منازلة مراكش، والعودة إلى مضايقتها كما كان لأول أمره، ونهض لغزاته من فاس في شعبان من سنته.

ولما أجاز أم الربيع، بث السرايا وسرح الغارات، وأطلق الأيدي والأعنة للنهب، فحطموا من زروعها وانتسفوا آثارها، وتقرى نواحيها كذلك بقية عامه.

ثم غزا عرب الخلط من حشم بتادلا، فأثخن فيهم واستباحهم.

ثم نزل وادي العبيد، ثم غزا بلاد صنهاجة، ولم يزل ينتقل ركابه بأنحاء البلاد المراكشية وأحوازها حتى حصرت صدور بني عبد المؤمن وقومه، وأغراهم أولياء الدولة من عرب جشم بنهوض الخليفة لمدافعة عدوه، فجمع لذلك وبرز في جيوش ضخمة وجموع وافرة، واستجره أبو يوسف بالفرار أمامه ليبعد عن مدد الصريخ، فيستمكن منه حتى نزل عفو.

ثم كر إليه والتحم القتال فاختل مصافه وفر عساكره، وانهزم يريد مراكش فأدركوه دون أمله، وأعتاقه أجله، فطعن في

مفره وخر صريعاً لليدين والفم واحتز رأسه، وهلك بمهلكه وزيره عمران وكاتبه علي بن عبد اللّه المغيلي.

وارتحل السلطان أبو يوسف إلى مراكش وفر من كان بها من الموحدين، فلحقوا بجبل تينملل، وبايعوا لإسحاق أخي المرتضى، فبقي ذبالة هنالك سنين.

ثم تقبض عليه سنة أربع وسبعين وستمائة، وسيق إلى السلطان هو وأبو سعيد ابن عمه السيد أبي الربيع والقبائلي وأولاده فقتلوا جميعاً، وانقرض أمر بني عبد المؤمن.

واللّه وارث الأرض ومن عليها.

وخرج الملأ وأهل الشورى من الحضرة إلى السلطان فأمنهم ووصلهم.

ودخل مراكش في بروز فخم فاتح سنة ثمان وستين وستمائة وورث ملك آل عبد المؤمن وتولاه.

واستوسق أمره بالمغرب، وتطامن الناس لبأسه، وسكنوا لظل سلطانه.

وأقام بمراكش إلى رمضان من سنته، وأغزى ابنه الأمير أبا مالك إلى بلاد السوس فافتتحها وأوغل في ديارها ودوخ أقطارها، ثم خرج بنفسه إلى المغرب للبلاد فأوقع بهم الواقعة المشهورة التي خضدت من شوكتهم، ورجع لشهرين من غزاته، ثم أجمع الرحلة إلى داره بفاس فعقد على مراكش وأعمالها لمحمد بن علي من كبار أوليائهم ومن أهل خؤلته، وكان من طبقة الوزراء حسبما يأتي التعريف به وبعشيره، وأنزله بقصبة مراكش، وجعل المصالح أعمالها لنظره، وعهد إليه بتدويخ الأقطار ومحو آثار بني عبد المؤمن، وفصل إلى حضرته وأراح بسلا، فكان من خبر عهده لابنه ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن عهد السلطان لابنه أبي مالك وما كان عقب ذلك من خروج القرابة عليه أولاد أخيه إدريس وإجازتهم إلى الأندلس

لما تلوم السلطان بسلا منصرفه من رباط الفتح وأراح بها ركابه عرض له طائف من المرض ووعك وعكاً شديداً.

فلما أبل جمع قومه وعهد بأمره فيهم لابنه أبي مالك عبد الواحد كبير ولده، بما علم من أهليته لذلك.

وأخذ له البيعة عليهم، وأعطوها طواعية، وأسف القرابة من ولد أخويه عبد اللّه وإدريس لأمهما سوط النساء، ووجدوا في أنفسهم لما يرون أن عبد اللّه وإدريس أكابر ولد عبد الحق، ولهما التقدم على من بعدهما من ولده، وأنهما أحق بالأمر، فعادت هيف إلى أديانها، ونفسوا على ابن السلطان ما أخذ له من البيعة والعهد، ونزعوا عنه إلى جبل علودان من جبال غمارة عش خلافهم، ومدرج فتنتهم، وذلك سنة تسع وستين وستمائة ورياستم يومئذ لمحمد بن إدريس وموسى بن رحو بن عبد اللّه، وخرج معهم ولد أبي عياد بن عبد الحق وأغزاهم السلطان ولده أبا يعقوب يوسف في خمسة آلاف من عسكره، فأحاط بهم وأخذ بمخنقهم، ولحق به أخوه أبو مالك في عسكره، ومعه مسعود بن كانون شيخ سفيان.

ثم خرج في أثرهم السلطان أبو يوسف واجتمع معسكرهم بتافركا ونازلوهم ثلاثاً، وهلك في حروبهم منديل بن ورتطليم.

ولما رأوا أن قد أحيط بهم سألوا الأمان، فبذله وأنزلهم، واستل سخائمهم ومسح ما في صدورهم، ووصل بهم إلى حضرته.

وسألوا منه الأذن في اللحاق بتلمسان حياء من كبر ما ارتكبوه، فأذن لهم، وأجازوا البحر إلى الأندلس، وخالفهم عامر بن إدريس لما أنس من صاغية السلطان إليه، فتخلف عنهم بتلمسان حتى توثق لنفسه بالعهد وعاد إلى قومه بعد منازلة السلطان تلمسان كما نذكره الآن.

واحتل بنو إدريس وعبد اللّه وابن عمهم عياد بالأندلس على حين أقفر من الحامية جوها، واستأسد العدو على ثغرها.

وتحلبت شفاههم للالتهامها فاحتلُوها أسوداً ضارية، وسيوفاً ماضية، معودين لقاء الأبطال وقراع الحتوف والنزال، مستغلظين بخشونة البداوة وصرامة العز وبسالة التوحش فعظمت نكايتهم في العدو واعترضوا شجى في صدره دون الوطن الذي كان طعمة له في ظنه، وارتدوه على عقبه، ونشطوا من همم المسلمين المستضعفين وراء البحر وبسطوا من آمالهم لمدافعة طاغيتهم.

وزاحموا أمير الأندلس في رياستها بمنكب، فتجافى لهم عن خطة الحرب ورياسة الغزاة من أهل العدوة من أعياصهم وقبائلهم ومن سواهم من أمم البرابرة، وتناقلوه وساهموه في الجباية بفرض العطاء والديوان، فبذله لهم واستمروا على ذلك العهد وحسن أثرهم فيها كما سنذكره بعد في أخبار القرابة.

ثم أعمل السلطان نظره في غزو تلمسان على ما نذكره إن

شاء الله تعالى.

## الخبر عن حركة السلطان أبي يوسف إلى تلمسان وواقعته على يغمراسن وقومه بايسلى

لما غلب السلطان أبو يوسف على بني عبد المؤمن وفتح مراكش واستولى على ملكهم سنة ثمان وستين وستمائة وعاد إلى فاس كما ذكرنا، تحرك ما كان في نفسه من ضغائن يغمراسن وبني عبد الواد، وما أسفوا به من تخذيل عزائمه ومجاذبته عن قصده.

ورأى أن واقعة تلاغ لم تشف صدره، ولا أطفأت نار موجدته، فأجمع أمره على غزوهم.

واقتدر بما صار إليه من الملك والسلطان على حشر أهل المغرب لحربهم وقطع دابرهم، فعسكر بظاهر فاس، وسرح ولده وولي عهده أبا مالك إلى مراكش في خواصه ووزرائه حاشرين في مدائنها وضواحيها وقبائل العرب والمصامدة وبني ورا وغمرة وصنهاجة، وبقايا عساكر الموحدين بالحضرة، وحامية الأمصار من جند الروم وناشبة الغزو فاستكثر من أعدادهم واستوفى حشدهم.

واحتفل السلطان بحركته وارتحل إلى فاس سنة سبعين وستمائة وتلوم بملوية إلى أن لحقته الحشود وتوافت إليه أمداد العرب من قبائل جشم أهل تامسنا الذين هم سفيان والخلط والعاصم، وبنو جابر ومن معهم من الأثبج، وقبائل ذوي حسان والشبانات من المعقل أهل السوس الأقصى، وقبائل رياح أهل أزغار والهبط.

فاعترض هنالك عساكره وعبأ مواكبه، فيقال: بلغت ثلاثين ألفاً، وارتحل يريد تلمسان، ولما انتهى إلى أنكاد وافته رسل ابن الأحمر هنالك فد المسلمين بالأندلس صريخاً على العدو ويستجيشون بأخوانهم المسلمين ويسألونهم الإعانة، فتحركت همته للجهاد ونصر المسلمين من عدوهم.

ونظر في صرف الشواغل عن ذلك، وجنح إلى السلم مع يغمراسن، وصوب الملأ في ذلك رأيه لما كانوا عليه من إيثار الجهاد.

وانتدب جماعة من المشيخة إلى السعي في إصلاح بينهما، والكف عن غرب عداوتهما.

وساروا إلى يغمراسن فوافوه بظاهر تلمسان وقد أخذ أهبة الحرب واستعد للقاء.

واحتشد زناتة أهل ممالكه بالشرق من بني عبد الواد وبني راشد ومغراوة وأحلافهم من العرب زغبة، فلج في ذلك واستكبر وصم عن إسعافهم.

وزحف في جموعه، والتقى الجمعان بوادي إيسلى من بسائط وجدة، والسلطان أبو يوسف قد عبّأ كتائبه، ورتب مصافه وجعل ولديه الأميرين أبي مالك وأبي يعقوب في الجناحين، وسار في القلب، فدارت بينهم حرب شديدة انجلت عن مهلك فارس بن يغمراسن، وجماعة من بني عبد الواد.

وكاثرتهم حشود المغرب الأقصى وقبائله، وعسكر الموحدين والبلاد المراكشية فولوا الأدبار، وهلك عامة عسكر الروم لثباتهم بثبات السلطان فطحنتهم رحى الحرب، وتقبض على قائدهم بيرنبس، ونجا يغمراسن بن زيان في فله مدافعاً دون أهله إلى تلمسان، ومر بفماطيطة، فأضرمها ناراً، وانتهب معسكره، واستبيحت حرمه.

وأقام السلطان أبو يوسف على وجدة حتى خربها واضرع بالتراب أسوارها، وألصق بالرغام جدرانها.

ثم نهض إلى تلمسان فحاصرها أياماً وأطلق الأيدي في ساحاتها بالنهب والعيث، وشن الغارات على البسائط، فاكتسحها سبياً ونسفها نسفاً.

وهلك في طريقه إلى تلمسان وزيره عيسى بن ماساي، وكان من علية وزرائه وحماة ميدانه له في ذلك أخبار مذكورة، وكان مهلكه في شوال من هذه السنة، ووصله بمثواه من حصارها محمد بن عبد القوي أمير بني توجين، ومستصرخه على بني عبد الواد لما نال منه يغمراسن من ضيم القهر وذل الغلب والتحيف وصله في كافة قبيله مباهياً بآلته، فأكرم السلطان أبو يوسف وفادته واستركب الناس للقائه وبرور مقدمه.

واتخذوا رتبة السلاح لمباهاته، وأقام محاصراً لتلمسان معه أياماً حتى وقع اليأس وامتنع البلد، واشتدت شوكة حاميته ثم أجمع السلطان أبو يوسف على الإفراج عنها وأشار على الأمير محمد بن عبد القوي وقومه بالفصول قبل قفوله، وأن يغذوا السير إلى بلادهم.

وملاء حقائبهم بإتحافه وجنب لهم من المائة من المقربات بمراكبها، وأراح عليهم ألف ناقة حلوب، وعممهم بالصلات من الخلع والكساء الفاخرة.

واستكثر لهم السلاح والفازات والفساطيط، وحملهم على

الظهر، وارتحلوا وتلوم السلطان أياماً لمنجاتهم إلى مقرهم من جبل وانشريش حذراً من غائلة يغمراسن من انتهاز الفرصة فيهم.

ثم قفل إلى فاس ودخلها مفتتح إحدى وسبعين وستمائة وهلك ولده الأمير أبو مالك ولي عهده لأيام من مقدمه، فأسف لهلكه، ثم تعزى بالصبر الجميل عن فقده، ورجع إلى حاله في افتتاح بلاد المغرب.

وكان في غزوته هذه ملك حصن تاونت، وهو معقل مطغرة، وشحنه بالأقوات لما رآه ثغراً مجاوراً لعدوه، وأسلمه لنظر هارون شيخ مطغرة.

ثم ملك حصن مليلة بساحل الريف مرجعه من غزاته هذه، وأقام هارون بحصن تاونت، ودعا لنفسه.

ولم يزل يغمراسن يردد الغزو إليه حتى فر من الحصن وأسلمه سنة خمس وسبعين وستمائة ولحق بالسلطان أبي يوسف كما ذكرناه في اخباره، عند ذكر قبيلة مطغرة وكان من شأنه ما ذكرناه هنالك.

## الخبر عن افتتاح مدينة طنجة وطاعة أهل سبتة وفرض الأتاوة عليهم وما قارن ذلك من الأحداث

كانت هاتان المدينتان سبتة وطنجة مذ أول دولة الموحدين من أعظم عمالاتهم، وأكبر ممالكهم بما كانت ثغر العدوة ومرفأ الأساطيل، ودار إنشاءة الآلة البحرية، وفرضة الجواز إلى الجهاد.

فكانت ولايتها مختصة بالقرابة من السادة بني عبد المؤمن.

وقد ذكرنا أن الرشيد كان عقد على أعمالها لأبي علي بن خلاس من أهل بلنسية، وأنه بعد استفحال الأمير أبي زكريا بإفريقية ومهلك الرشيد، صرف الدعوة إليه سنة أربعين وستمائة وبعث إليه بالمال والبيعة مع ابنه أبي القاسم.

وولى على طنجة يوسف بن محمد بن عبد الله بن أحمد الهمداني المعروف بابن الأمين قائداً على الرجل الأندلسيين، وضابطاً للقصبة.

وعقد الأمير أبو زكريا على سبتة لأبي يحيى بن أبي زكريا، ابن عمه أبي يحيى الشهيد ابن الشيخ أبي حفص فنزل بها فاستراب أبو علي ابن خلاص من العواقب عند مهلك ابنه الوافد على السلطان غريقاً في البحر، فرحل بجملته إلى تونس في السفن، وأراح ببجاية، فكان فيها هلاكه سنة ست وأربعين وستمائة ويقال: بل هلك في سفينته ودفن ببجاية، ولما هلك الأمير أبو زكريا سنة سبع وأربعين وستمائة بعدها انتقض أهل سبتة على ابنه المستنصر وطردوا ابن الشهيد، وقتلوا العمال الذين كانوا معه، وصرفوا الدعوة إلى المرتضى.

وتولى كبر ذلك حجبون الزنداحي بمداخلة أبي القاسم العزفي كبير المشيخة بسبتة، وأعظمهم تجلة، ونشأ في حجر أبيه الفقيه الصالح أبي العباس أحمد مكفوفاً بالجلالة مغذواً بالعلم والدين، بما كان له فيهما قدم إلى أن هلك، فأوجب أهل البلد لابنه ما عرفوه لحقه وحق أبيه من قبله، فكانوا يفزعون إليه في المهمات ويسلمون له في الشورى، فأغرى الزنداحي بهذه الفعلة ففعلها فعقد المرتضى لأبي القاسم العزفي على سبتة مستقلاً من غير إشراف أحد من السادة، ولا من الموحدين، واكتفى بغنائه في ذلك الثغر وعقد لحجبون الزنداحي على قيادة الأساطيل بالمغرب، فورثها عنه بنوه إلى أن زاحمهم العزفي بمناكب رياسته، فقوضوا عن سبتة فمنهم من نزل بمالقة على ابن الأحمر ومنهم من نزل ببجاية على آل أبي حفص، ولهم في الدولتين آثار تشهد برياستهم.

واستقل الفقيه أبو القاسم العزفي برياسة سبتة، وأورثها بنيه من بعده على ما نذكره بعد.

وكانت طنجة تالية سبتة في سائر الأحوال وتبعاً لها، فاتبع ابن الأمير صاحبها إمارة الفقيه أبي القاسم.

ثم انتقض عليه لسنته واستبد وخطب لابن أبي حفص، ثم للعباسي، ثم لنفسه، وسلك فيها مسلك العزفي في سبتة، ولبثوا كذلك ما شاء الله، حتى إذا ملك بنو مرين المغرب وانبثوا في شعابه، ومدوا اليد إلى ممالكه فتناولوها، ونزلوا معاقله وحصونه فاقتحموها، وهلك الأمير أبو يحيى ابن عبد الحق وابنه عمر من بعده.

وتحيز بنوه في ذويهم وأتباعهم وحشمهم إلى ناحية طنجة وأصيلا، فأوطنوا ضاحيتها وأفسدوا سابلتها وضيقوا على ساكنها، واكتسحوا ما حواليها، وشارطهم ابن الأمين على خراج معلوم على أن يكفوا الأذية ويحموا الحوزة ويصلحوا السابلة، فاتصلت يده بأيديهم، وترددوا إلى البلد لاقتضاء حاجاتهم.

ثم مكروا وأضمروا الغدر ودخلوا في بعض أيامهم متأبطين السلاح، وفتكوا بابن الأمين غيلة، فثارت بهم العامة لحينهم واستلحموا لمصرع واحد سنة واحد وستين وستمائة واجتمعوا إلى ولده وبقيت في ملكته خمسة أشهر.

ثم استولى عليها العزفي فنهض إليه بعساكره من الرجل براً وبحراً، واستولى عليها، وفر ابن الأمين ولحق بتونس ونزل على المستنصر واستقرت طنجة في إيالة العزفي فضبطها وقام بأمرها، وولى عليها من قبله، وأشرك الملأ من أشرافه في الشورى.

ونازلها الأمير أبو مالك سنة ست وستين وستمائة فامتنعت عليه وأقامت على ذلك ستاً، حتى إذا انتظم السلطان أبو يوسف ببلاد المغرب في مملكته، واستولى على حضرة مراكش ومحا دولة بني عبد المؤمن، وفرغ من أمر عدوه يغمراسن، وهم بتلك الناحية واستضافة عملها، فأجمع الحركة إليها ونازل طنجة مفتتح سنة اثنتين وسبعين بما كانت في البسيط من دون سبتة، وأقام عليها أياماً.

ثم اعتزم على الإفراج، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وافترق بينهم، وتنادى بعض الناشية من السور بشعاب بني مرين، فبادر سرعان الناس إلى تسور حيطانها فملكوه عليهم، وقاتلوا أهل البلد ظلام ليلتهم، ثم دخلوا البلد من صبيحتها عنوة، ونادى منادي السلطان في الناس بالأمان والعفو عن أهل البلد، فسكن ومهد وفرغ من شأن طنجة.

ثم بعث ولده الأمير أبا يعقوب في عساكر ضخمة لمنازلة العزفي بسبتة وإرغامه على الطاعة، فنازلها أياماً، ثم لاذ بالطاعة على المنعة.

واشترط على نفسه خراجاً يؤديه كل سنة، فتقبل السلطان منه، وأفرجت عساكره عنهم، وقفل إلى حضرته.

وصرف نظره إلى فتح سجلماسة وإزعاج بني عبد الواد المتغلبين عليها، كما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن فتح سجلماسة الثاني ودخولها عنوة على بني عبد الواد والمنبات من عرب المعقل

قد ذكرنا ما كان من تغلب الأمير أبي يحيى بن عبد الحق مدينة على سجلماسة وبلاد درعة وأنه عقد عليها وعلى سائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن، وأنزل معه ابنه مفتاحاً المكنى بأبي حديد في مشيخة لحياطتها.

وأن المرتضى سرح وزيره ابن عطوش سنة أربع وخمسين وستمائة في العساكر لاسترجاعها، فنهض إليه الأمير أبو يحيى إليه وشرده عنها ورجعه على عقبه.

وأن يغمراسن بن زيان من بعد واقعة أبي سليط سنة خمس وخمسين وستمائة، قصدها لعورة دل عليها، وغرة أمل أصابتها، فسابقه إليها أبو يحيى ومانعه من دونها ورجع عنها خائب المسعى مفلول الحامية.

وكان الأمير أبو يحيى من بعد أن عقد عليها ليوسف بن يزكاسن عقد عليها من بعده لسنة ونصف من ولايته ليحيى بن أبي منديل كبير بني عسكر أقتالهم، ومقاسميهم نسب محمد بن ورصيص ثم عقد عليها لشهرين لمحمد بن عمران ابن عبلة من بني يرنيان صنائع دولتهم.

واستعمل معه على الجباية أبا طالب بن الحبسي وجعل مصلحة الجند بها إلى نظر أبي يحيى القطراني، وملكه قيادتهم، وأقاموا على ذلك سنتين اثنتين.

ولما هلك الأمير أبو يحيى وشغل السلطان أبو يوسف بحرب يغمراسن ومنازلة مراكش، سما للقطراني أمل في الاستبداد بها، وداخل في ذلك بعض أهل الفتن وظاهره يوسف بن فرج العزفي وفتكوا بعمار الورند غزاني شيخ الجماعة بالبلد، وائتمروا بمحمد بن عمران بن عبلة، فخرج ولحق بالسلطان، واستبد القطراني بها، ثم ثار به أهل البلد سنة ثمان وخمسين وستمائة لسنة ونصفها من لدن استبداده وقتلوه، وصرفوا بيعتهم إلى الخليفة المرتضى بمراكش، وتولى كبر ذلك القاضي ابن حجاج وعلي بن عمر، فعقد له المرتضى عليهم وأقام بها أميراً.

ونازلته عساكر بني مرين والسلطان أبو يوسف سنة ستين وستمائة ونصب عليها آلات الحصار فأحرقوها وامتنعوا، فأفرج عنهم، وأقام علي بن عمر في سلطانه ذلك ثلاث سنين، ثم هلك.

وكان الأمير يغمراسن بن زيان منذ غلب الموحدين على تلمسان والمغرب الأوسط، وصار في مملكته، تحيز إليه من عرب المعقل قبيل المنبات من ذوي منصور، بما كانت مجالات المعقل مجاورة لمجالات بني بادين في القفر.

وإنما ارتحلوا عنها من بعد ما جأجأ يغمراسن ببني عامر من مجالاتهم بمصاب بلاد بني يزيد، فزاحموا المعقل بالمناكب عن مجالاتهم ببلاد فيكيك وصا.

ورحلوهم إلى ملوية وما وراءها من بلاد سجلماسة، فملكوا تلك المجالات.

ونبذ يغمراسن العهد إلى ذوي عبيد الله منهم واستخلص المنبات هؤلاء، فكانوا له حلفاً وشيعة ولقومه ودعوته خالصة.

وكانت سجلماسة في مجالاتهم ومنقلب ظعنهم وناجعتهم،

ولهم فيها طاعة معروفة.

فلما هلك علي بن عمر آثروا يغمراسن بملكها، فحملوا أهل البلد على القيام بدعوته، وخاطبوه وجاجاوا به، فغشيهم بعساكره وملكها وضبطها.

وعقد عليها لعبد الملك بن محمد بن علي بن قاسم بن درع من ولد محمد بن زكدان بن تيدوكسن ويعرف بابن حنينة نسبة إلى أم أبيه أخت يغمراسن بن حمامة، وأنزل معهما ولده الأمير يحيى لإقامة الرسم الملوكي، ثم أداله بأخيه من السنة الأخرى، وكذا كان شأنه في كل سنة.

ولما فتح السلطان أبو يوسف بلاد المغرب وانتظم أمصاره ومعاقله في طاعته، وغلب بني عبد المؤمن على دار خلافتهم، ومحا رسمهم، وافتتح طنجة وطوع سبتة مرقى الجواز إلى العدوة، وثغر المغرب، سما أمله إلى بلاد القبلة فوجه عزمه إلى انتزاع سجلماسة من أيدي عبد الواد المتغلبين عليها وإدالة دعوته فيها من دعوتهم، فنهض إليها في العساكر والحشود في رجب من سنة اثنتين وسبعين وستمائة فنازلها وقد حشد إليها أهل المغرب أجمع من زناتة والعرب والبربر وكافة الجنود والعساكر، ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات، وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانه أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة باريها.

فأقام عليها حولاً كريتاً يغاديها القتال ويراوحها، إلى أن سقطت ذات يوم على حين غفلة طائفة من سورها بالحاح الحجارة من المنجنيق عليه، فبادروا إلى اقتحام البلد، فدخلوها عنوة من تلك الفرجة في صفر من سنة ثلاث وسبعين وستمائة فقتلوا المقاتلة والحامية وسبوا الرعية، وقتل القائدان عبد الملك بن حنينة ويغمراسن بن حمامة، ومن كان معهم من بني عبد الواد وأمراء المنبات، وكمل فتح بلاد المغرب للسلطان أبي يوسف، وتمشت طاعته في أقطاره.

فلم يبق فيه معقل يدين بغير دعوته، ولا جماعة تتحيز إلى غير فيئته ولا أمل ينصرف إلى سواه، ولما كملت له نعم الله في استيساق ملكه وتمهيد أمره، انصرف أمله إلى الغزو وإيثار طاعة الله بجهاد أعدائه، واستنقاذ المستضعفين وراء البحر من عباده على ما نذكر.

ولما انكفأ راجعاً من سجلماسة، قصد مراكش من حيث جاء، ثم قفل إلى سلا فأراح بها أياماً ونظر في شؤونها، وسد ثغرها.

وبلغه الخبر بوفادة أبي طالب ابن صاحب سبتة الفقيه أبي القاسم العزفي على فاس، فأغذ السير إلى حضرته، وأكرم وفادته وأحسن منقلبه إلى أبيه مملوء الحقائب ببره، رطب اللسان بشكره.

ثم شرع في إجازة ولده إلى العدو كما نذكر الآن إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن شأن الجهاد وظهور السلطان أبي يوسف على النصارى وقتل زعيمهم دننه وما قارن ذلك

كانت عدوة الأندلس منذ أول الفتح ثغراً للمسلمين، فيه جهادهم ورباطهم ومدارج شهادتهم وسبيل سعادتهم.

وكانت مواطنهم فيه على مثل الرضف، وبين الظفر والناب من أسود الكفر لتوفر أمتهم في جوارها وإحاطتهم بها من جميع جهاتها، وحجز البحر بينهم وبين إخوانهم المسلمين وقد كان عمر بن عبد العزيز رأى أن يخرج المسلمين منها لانقطاعهم عن قومهم وأهل دينهم، وبعدهم عن الصريخ، وشاور في ذلك كبار التابعين وأشراف العرب فرأوه رأياً.

واعتزم عليه لولا ما اعتاقه من المنية وعلى ذلك، فكان للإسلام فيه اعتزاز على من جاورهم من أهل الكفر، بطول دولة العرب من قريش ومضر واليمن.

وكانت نهاية عزهم وسورة غلبهم أيام بني أمية بها، الطائرة الذكر الباسطة جناحها على العدوتين منذ ثلاث مئين من السنين أو ما يقاربها.

حتى انتثر سلكها بعد المائة الرابعة من الهجرة، وافترقت الجماعة طوائف وفشلت ريح المسلمين وراء البحر بفناء دولة العرب.

واعتز البربر بالمغرب واستفحل شأنهم وجاءت دولة المرابطين فجمعت ما كان مفترقاً بالمغرب من كلمة الإسلام، وتمسكوا بالسنة وتشوفوا إلى الجهاد، واستدعاهم إخوانهم من وراء البحر للمدافعة عنهم، فأجازوا إليهم وأبلوا في جهاد العدو أحسن بلاء، وأوقعوا بالطاغية ابن أذفونش يوم الزلاقة وغيرها، وفتحوا حصوناً واسترجعوا أخرى واستنزلوا الثوار ملوك الطوائف، وجمعوا الكلمة بالعدوتين.

وجاء على أثرهم الموحدون سالكين أحسن مذاهبهم،

فكانت لهم في الجهاد آثار على الطاغية وأيام:

منها يوم الأرك ليعقوب المنصور وغيره من الأيام، حتى إذا فشلت ريح الموحدين وافترقت كلمتهم وتنازع الأمر سادة بني عبد المؤمن الأمراء بالأندلس، وتحاربوا على الخلافة واستجاشوا بالطاغية وأمكنوه من كثير من حصون المسلمين طعمة على الاستظهار، فخشي أهل الأندلس على أنفسهم وثاروا بالموحدين وأخرجوهم وتولى ذلك ابن هود بمرسية وشرق الأندلس، وعم بدعوته سائر أقطارها، وأقام فيها الدعوة للعباسيين، وخاطبهم ببغداد كما ذكرناه في أخباره، واستوفينا كلاً مما وصفناه في مكانه.

ثم عجز ابن هود عن الغربية لبعدها عنه، وفقده للعصابة المتناولة لها، وأنه لم تكن صنعته في الملك مستحكمة وتكالب الطاغية على الأندلس من كل جهة، وكثر اختلاف المسلمين بينهم، وشغل بنو عبد المؤمن بما دهم المغرب من شأن بني مرين وزناتة.

فتلافى محمد بن يوسف بن الأحمر أمر الغربية، وثار بحصنه أرجونة وكان شجاعاً قدماً ثبتاً في الحروب، فتلقف الكرة من يد ابن هود خلع الدعوة العباسية، ودعا للأمير أبي زكريا بن أبي حفص سنة تسع وعشرين وستمائة فلم يزل في فتنة ابن هود يجاذبه الحبل ويقارعه على عمالات الأندلس واحدة بعد أخرى إلى أن هلك ابن هود سنة خمس وثلاثين وستمائة.

وتكالب العدو خلال ذلك على جزيرة الأندلس من كل جانب ووفر له ابن هود في الجزية وبلغ بها أربعمائة ألف من الدنانير في كل سنة، ونزل له عن ثلاثين من حصون المسلمين.

وخشي ابن الأحمر أن يستغلظ عليه بالطاغية فجنح هو إليه وتمسك بعروته، ونفر في جملته إلى منازلة إشبيلية نكاية لأهلها.

ولما هلك الأمير أبو زكريا نبذب الدعوة الحفصية، واستبد لنفسه، وتسمى بأمير المسلمين، ونازعه بالشرق أعقاب ابن هود وبني مردنيش، ودعاه الأمر إلى النزول للطاغية من بلاد الفرنتيرة، فنزل عنها بأسرها.

وكانت هذه المدة من سنة اثنتين وعشرين إلى سنة سبعين، فترة ضاعت فيها ثغور المسلمين واستبيح حماهم، والتهم العدو بلادهم وأموالهم نهباً في الحروب، ووضيعة ومداراة في السلم.

واستولى طواغيت الكفر على أمصارها وقواعدها فملك ابن أذفونش قرطبة سنة ست وثلاثين، وجيان سنة أربع وأربعين، وأشبيلية سنة ست وأربعين.

وتملك قمص برشلونة مدينة بلنسية سنة سبع وثلاثين إلى ما بينهما من الحصون والقواعد والمعاقل التي لا تعد ولا تحصى، وانقرض أمر الثوار بالشرق وتفرد ابن الأحمر بغرب الأندلس، وضاق نطاقه عن الممانعة دون البسائط الفيح من أرض الفرنتيرة وما قاربها، ورأى أن التمسك بها مع قلة العدد وضعف الشوكة مما يوهن أمره ويطمع فيه عدوه، فعقد السلم للطاغية على النزول عنها أجمع، ولجأ بالمسلمين إلى سيف البحر معتصمين بأوعاره من عدوهم، واختار لنزله مدينة غرناطة، وابتنى بها لسكناه حصن الحمراء حسبما شرحنا ذلك كله في مواضعه.

وفي أثناء هذا كله لم يزل صريخه ينادي بالمسلمين من وراء البحر والملأ من أهل الأندلس يفدون على أمير المسلمين أبي يوسف للإعانة ونصر الملة، واستنقاذ الحرم والولدان من أنياب العدو فلا يجد مفزعاً إلى ذلك بما كان فيه من مجاذبة الحبل مع الموحدين، ثم مع يغمراسن، ثم تشغله بفتح بلاد المغرب وتدويخ أقطاره إلى أن هلك السلطان أبوعبد اللّه محمد بن يوسف ابن الأحمر المعروف بالشيخ، وأبي دبوس، لقبين كانا له على حين استكمل أمير المسلمين فتح المغرب وفراغه من شأن عدوه سنة إحدى وسبعين وستمائة على أن بني مرين كانوا يؤثرون الجهاد ويسمون إليه وفي نفوسهم جنوح إليه وصاغية.

ولما استوحش بنو إدريس بن عبد الحق وخرجوا سنة إحدى وستين وستمائة على السلطان يعقوب بن عبد الحق واستصلحهم انتدب الكثير منهم للغزو وإجازة البحر لصريخ المسلمين بالأندلس، واجتمع إليهم من مطوعة بني مرين عسكر ضخم من الغزاة ثلاثة آلاف أو يزيدون وعقد السلطان على ذلك العسكر لعامر بن إدريس فوصلوا إلى الأندلس فكان لهم فيها ذكر ونكاية في العدو، وكان الشيخ ابن الأحمر عهد إلى ولده القائم بالأمر بعده محمد، الشهير بالفقيه، لانتحاله طلب العلم أيام أبيه.

وأوصاه بأن يتمسك بعروة أمير المسلمين ويخطب نصره، ويدرأ به وبقومه عن نفسه وعن المسلمين تكالب الطاغية.

فبادر لذلك حين مواراة أبيه وأوفد مشيخة الأندلس كافة عليه، ولقيه وفدهم منصرفاً من فتح سجلماسة خاتم الفتوح بالثغور المغربية ومقاد الملك.

وتنادوا للإسلام بالثأر وألقوا إليه كنه الخبر عن كلب العدو على المسلمين، وثقل وطأته، فحيا وفادتهم وبَرَّ رؤسائهم، وبادر لإجابة داعي اللّه واستنام الجنة.

وكان أمير المسلمين منذ أول أمره مؤثراً عمل الجهاد كلفاً به مختاراً له متى أعطي الخيار من سائر آماله، حتى لقد كان اعتزم

على الغزو إلى الأندلس أيام أخيه الأمير أبي يحيى وطلب إذنه في ذلك عندما ملكوا مكناسة سنة ثلاث وأربعين وستمائة فلم يأذن له وفصل إلى الغزو في حشمه وذويه ومن أطاعه من عشيرته.

وأوعز الأمير أبو يحيى لصاحب الأمر بسبتة لذلك العهد أبي علي بن خلاص بأن يمنعه الإجازة، ويقطع عنه أسبابها.

ولما انتهى إلى قصر الجواز، ثنى عزمه عن ذلك الولي يعقوب بن هارون الخيري، ووعده بالجهاد أميراً مستنصراً للمسلمين ظاهراً على العدو، فكان في نفسه من ذلك شغل وإليه صاغية.

فلما قدم عليه هذا الوفد نبهوا عزائمه وذكوا همته، فأعمل في الاحتشاد وبعث في النفير.

ونهض من فاس في شهر شوال من سنة ثلاث وسبعين وستمائة إلى فرضة المجاز من طنجة.

وجهز خمسة آلاف من قومه أزاح عللهم واستوفى عطاءهم وعقد عليهم لابنه منديل وأعطاه الراية.

واستدعى من العزفي صاحب سبتة السفن لإجازتهم فوافاه بقصر الجواز عشرون من الأساطيل، فأجاز العسكر ونزل بطريف، وأراح ثلاثاً، ودخل دار الحرب وتوغل فيها، وأجلب على ثغورها وبسائطها.

وامتلأت أيديهم من الغنائم وأثخنوا بالقتل والأسر وتخريب العمران ونسف الآثار، حتى نزل بساحة شريش، فخام حاميتها عن اللقاء وانحجزوا في البلد، فقفل عنها إلى الجزيرة وقد امتلأت أيديهم من الأموال وحقائبهم من السبي وركائبهم من الكراع والسلاح.

ورأى أهل الأندلس أن قد ثاروا بعام العقاب حتى جاءت بعدها الطامة الكبرى على أهل الكفر، واتصل الخبر بأمير المسلمين فاعتزم على الغزو بنفسه، وخشي على ثغور بلاده من عادية يغمراسن في الفتنة، فبعث حافده تاشفين بن عبد الواحد في وفد من بني مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق والموادعة.

ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكبر موصله وموصل قومه.

وبادر إلى الإجابة والألفة، وأوفد مشيخة بني عبد الواد على السلطان لعقد السلم.

وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع اللّه كلمة المسلمين، وعظم موقع هذا السلم من أمير المسلمين لما كان في نفسه من الصاغية إلى الجهاد، وإيثاره مبرورات الأعمال، وبث الصدقات بشكر اللّه على ما منحه من التفرغ لذلك.

ثم استنفر الكافة واحتشد القبائل والجموع، ودعا المسلمين إلى الجهاد، وخاطب في ذلك كافة أهل المغرب من زناتة والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل البرابرة وأهل المغرب من المرتزقة والمطوعة.

وأهاب بهم وشرع في إجازة البحر، فأجازه من فرضة طنجة لصفر من سنة أربع وسبعين وستمائة واحتل بساحل طريف.

وكان لما استصرخه السلطان ابن الأحمر وأوفد عليه مشائخ الأندلس اشترط عليه النزول عن بعض الثغور بساحل الفرضة لاحتلال عساكره، فتجافى له عن رندة وطريف.

ولما احتل بطنجة بادر إليه ابن هشام الثائر بالجزيرة الخضراء، أجاز البحر إليه، ولقيه بظاهر طنجة فأدى له طاعته وأمكنه من قياد بلده.

وكان الرئيس أبو محمد بن أشقيلولة وأخوه أبو إسحاق صهر السلطان بن الأحمر تبعاً له في أمره ومؤازراً له على شأنه كله.

وأبوهما أبو الحسن هو الذي تولى له كبر الثورة على ابن هود ومداخلة أهل إشبيلية في الفتك بابن الباجي.

فلما استوت قدمه في ملكه وغلب الثوار بالأندلس واستولى على أمره فسد ما بينهما بعد أن كان ولى أبا محمد على مالقه وأبا إسحاق على وادي آش، فامتنع أبو محمد بن أشقيلولة بمالقة واستأثر بها وبغربيتها دونه.

ومع ذلك كانوا على الطاغية فيئة ولحمة، ولما أحس أبو محمد بن أشقيلولة بإجازة السلطان يعقوب بن عبد الحق، قدم إليه الوفد من أهل مالقة ببيعتهم وصريخهم، وانحاش إلى جانب السلطان وولايته، وأمحضه المخالصة والنصيحة.

فلما احتل السلطان بساحة طريف ملأت كتائبه ساحة الأرض ما بينهما وبين الجزيرة وتسابق السلطان ابن الأحمر، وهو محمد الفقيه بن محمد الشيخ أبي دبوس صاحب غرناطة والرئيس أبو محمد بن أشقيلولة صاحب مالقة والغربية، وأخوه أبو إسحاق صاحب وادي آش إلى لقاء السلطان وتناغوا في برور مقدمه والإذعان له، ففاوضهما في أمور الجهاد، ورجعهما لحينه إلى بلديهما.

وانصرف ابن الأحمر مغضباً لبعض النزعات أحفظته وأغذ السلطان السير إلى الفرنتيرة، وعقد لولده الأمير أبي يعقوب على خمسة آلاف من عسكره، وسرح كتائبه في البسائط وخلال المعاقل ينسف الزرع وتحطم الغروس ويخرب العمران وتنتهب الأموال وتكتسح السرح وتقاتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية، حتى انتهى إلى المدور وبايسة وأبدة واقتحم حصن بلمة عنوة.

وأتى على سائر الحصون في طريقه فطمس معالمها واكتسح أموالها، وقفل والأرض تموج سبياً إلى أن عرس بأستجة من تخوم دار الحرب.

وجاءه النذير باتباع العدو وأثارهم لاستنقاذ أسراهم وارتجاع أموالهم، وأن زعيم الروم وعظيمهم دنه خرج في طلبهم بأمم بلاد النصرانية من المحتلم فما فوقه.

فقدم السلطان الغنائم بين يديه وسرح ألفاً من الفرسان أمامها، وسار يقفيها، حتى إذا أطلّت رايات العدو من ورائهم كان الزحف، ورتب المصاف وحرض وذكر.

وراجعت زناتة بصائرها وعزائمها وتحركت هممها، وأبلت في طاعة ربها والذب عن دينها، وجاءت بما يعرف من بأسها وبلائها في مقاماتها ومواقعها.

ولم يك إلا كلا ولا، حتى هبت ريح النصر وظهر أمر اللّه وانكشفت جموع النصرانية، وقتل الزعيم دنه والكثير من جموع أهل الكفر، ومنح اللّه المسلمين أكتافهم، واحتل القتل فيهم.

وأحصي القتلى في المعركة فكانوا ستة آلاف، واستشهد من المسلمين ما يناهز الثلاثين أكرمهم اللّه بالشهادة وآثرهم بما عنده، ونصر اللّه حزبه وأعز أولياءه وأظهر دينه، وبدا للعدو ما لم يحتسبه بحاماة هذه العصابة عن الملة وقيامها بنصر الكلمة.

وبعث أمير المسلمين برأس الزعيم دنه إلى ابن الأحمر فرده زعموا سراً إلى قومه بعد أن طيبه وأكرمه، ولاية أخلصها لهم، مداراة وانحرافاً عن أمير المسلمين، ظهرت شواهده عليه بعد حين كما نذكره، وقفل أمير المسلمين من غزاته إلى الجزيرة منتصف ربيع من سنته، فقسم في المجاهدين الغنائم وما نفله ا لله من أموال عدوهم وسباياهم وأسراهم وكراعهم، بعد الاستيثار بالخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرفه في مصارفه.

ويقال: كان مبلغ الغنائم في هذه الغزاة من البقر مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً، ومن الأسرى سبعة آلاف وثمان مائة وثلاثين، ومن الكراع أربعة عشر ألفاً وستمائة، وأما الغنم فاتسعت عن الحصر كثرة، حتى لقد زعموا بيعت الشاة في الجزيرة بدرهم واحد، وكذلك السلاح.

وأقام أمير المسلمين بالجزيرة أياماً ثم خرج لجمادى غازياً إلى أشبيلية فجاس خلالها وتقرى نواحيها وأقطارها، وأثخن بالقتل والنهب في جهاتها وعمرانها، وارتحل إلى شريش فأذاقها وبال العيث والاكتساح.

ورجع إلى الجزيرة لشهرين من غزاته، ونظر في اختطاط مدينة بفرضة المجاز من العدوة لنزل عسكره منتبذاً عن الرعية لما يلحقهم من ضرر العسكر وجفائهم، وتخير لها مكاناً لصق الجزيرة، فأوعز ببناء المدينة المشهورة بالبنية وجعل ذلك لنظر من يثق به من دونه.

ثم أجاز البحر إلى المغرب في رجب من سنة أربع وسبعين وستمائة فكان مغيبه وراء البحر ستة أشهر، واحتل بقصر مصمودة وأمر ببناء السور على بادس مرفأ الجواز ببلاد غمارة.

وتولى ذلك إبراهيم بن عيسى كبير بني وسناف بن محيو، ثم رحل إلى فاس فدخلها في شعبان، وصرف النظر إلى أحوال دولته، واختطاط البلد الجديد لنزله ونزل حاشيته، واستنزال الثوار عليه بالمغرب على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن اختطاط البلد الجديد بفاس وما كان على تفيئة ذلك من الأحداث

لما قفل أمير المسلمين من غزاته الجهادية، وتم صنع اللّه لديه في ظهور الإسلام على يده واعتزاز أهل الأندلس بفيئته راح بالمغرب إلى نعمة أخرى من ظهور أوليائه وحسم أدواء الفساد في دولته، شفعت مواهب السعادة، وأكملت عوائد الصنع، وذلك أن صبابة بني عبد المؤمن وفلهم، لما فروا من مراكش عند الفتح لحقوا بجبل تينملل جرثومة أمرهم، ومنبعث دعوتهم، وملاحد خلفائهم، وحضرة سلفهم، ودار إمامهم، ومسجد مهديهم.

كانوا يعكفون عليه متيمنين بطيره، ملتمسين بركة زيارته، ويقدمون ذلك أمام غزولتهم قربة بين يدي أعمالهم يعتدونها من صالح مساعيهم.

فلما خلص الفل إليه اعتصموا بمعقله وآووا إلى وكونه، ونصبوا للقيام بأمرهم عيصاً من أعياص خلفاء بني عبد المؤمن ضعيف المنيه خاسر الصفقة من مواهب الحظ، وهو إسحاق أخو عمر المرتضى.

وبايعوه سنة تسع وستين وستمائة يرجون منه رجع الكرة،

وإدالة الدولة، وكان المتولي لكبر ذلك وزير دولتهم ابن عطوش.

ولما عقد السلطان يعقوب بن عبد الحق لمحمد بن علي بن محلى على أعمال مراكش، لم يقدم عملاً على محاربتهم، وتخذيل الناس عنهم، واستمالة أشياعهم.

وجمعوا له سنة أربع وسبعين وستمائة على غزة ظنوها، فأوقع بهم وفل من غربهم، ثم صمد إلى الجبل لشهر ربيع من سنته فاقتض عذرته وفض ختامه، واقتحمه عليهم عنوة بعد مداولة النزال والحرب.

وهلك الوزير ابن عطوش في جوانب الملحمة، وتقبض على خليفتهم المتستضعف، وابن عمه أبي سعيد ابن السيد أبي الربيع ومن معهما من الأولياء، وجنبوا إلى مصارعهم بباب الشريعة بمراكش، فضربت أعناقهم وصلبت أشلاؤهم.

وكان فيمن قتل منهم كاتبه القبائلي وأولاده، وعاثت العساكر في جبل تينملل واكتسحت أمواله.

وبعثرت قبور خلفاء من بني عبد المؤمن، واستخرج شلو يوسف وابنه يعقوب المنصور، فقطعت رؤوسهم، وتولى كبر ذلك أبو علي المليائي النازع إلى السلطان أبي يوسف من مليانة عش غوايته ومواطن انتزائه كما قدمناه.

وكان السلطان أقطعه بلاد أغمات إكراماً لوفادته، فحضر هذه الغزاة في جملة العساكر ورأى أن قد شفى نفسه بإخراج هؤلاء الخلفاء من أرماسهم، والعيث بأشلائهم لما نقم منه الموحدون، وأزعجوه من قراره، فنكرها السلطان لجلاله.

وتجاوز عنها للمليائي تأنيساً لقربته وجواره، وعدها من هناته.

ولما وصل أمير المسلمين إلى حضرته من غزاة الجهاد، ترادفت عليه أخبار هذه الملحمة، وقطع دابر بني عبد المؤمن، فتظاهر السرور لديه، وارتفعت إلى الله كلمات الشكر طيبة منه.

ولما سكن غرب الثوار، وتمهد أمر المغرب، ورأى أمير المسلمين أن أمره قد استفحل، وملكه قد استوسق، واتسع نطاق دولته، وعظمت غاشيته وكثر وافده، رأى أن يختط بلداً يتميز بسكناه في حاشيته وأهل خدمته وأوليائه الحاملين سرير ملكه.

فأمر ببناء البلد الجديد لصق فاس، بساحة الوادي المخترق وسطها من أعلاه، وشرع في تأسيسها لثالث من شوال في سنة أربع وسبعين وستمائة هذه وجمع الأيدي عليها، وحشد الصناع والفعلة لبنائها.

وأحضر لها الحزى والمعدلين لحركات الكواكب، فاعتاموا في الطوالع النجومية مما يرضون أثره، ورصدوا أوانه.

وكان فيهم الإمامان أبو الحسن بن القطان وأبو عبد الله بن الحباك، المقدمان في الصناعة، فكمل تشييد هذه المدينة على ما رسم وكما رضي، ونزلها بحاشيته، وذويه سنة أربع وسبعين وستمائة كما ذكرناه.

واختطوا بها الدور والمنازل، وأجرى فيها المياه إلى قصوره، وكانت من أعظم آثار هذه الدولة وأبقاها على الأيام.

ثم أوعز بعد ذلك ببناء قصبة مدينة مكناسة، فشرع في بنائها من سنته، وكان لحين إجازته البحر قافلاً من غزاته لحق طلحة بن محلى بجبل أزور نازعاً إلى قبائل زناتة من صنهاجة، فأغذ إليه السلطان بعساكره وأناخ عليه، واستنزله لشهر على ما سأل من الأمان والرتبة، وحسم الداء من خروجه، واستوزر صنيعته فتح الله السدراتي، وأجرى له رزق الوزارة على عوائدهم.

ثم بعث إلى يغمراسن كفاء هديته التي أتحفه بها بين يدي غزاته، وكان شغله عنها أمر الجهاد، فبعث له فسطاطا رائقاً كان صنع له بمراكش، وحكمات مموهة بالذهب والفضة، وثلاثين من البغال الفارهة ذكوراً وإناثاً بمراكبها الفارسية من السروج، والنسوانية من الولايا، وأحمالاً من الأديم المعروف دباغة بالشركسي، إلى غير ذلك مما يباهي به ملوك المغرب وينافسون فيه.

وفي سنة خمس وسبعين وستمائة من بعدها أهدى له محمد بن عبد القوي أمير بني توجين، وصاحب جبل وانشريش أربعة من الجياد انتقاها من خيل المغرب كافة، ورأى أنها على قلة عددها أحفل هدية.

وفي نفسه أثناء هذا كله من الجهاد شغل شاغل يتخطى إليه سائر أعماله حسبما نذكر.

## الخبر عن إجازة أمير المسلمين ثانية وما كان فيها من الغزوات

لما قفل أمير المسلمين من غزاته الأولى، واستنزل الخوارج وثقف الثغور، وهادى الملوك واختط المدينة لنزله كما ذكرنا ذلك كله.

ثم خرج فاتح سنة ست وسبعين وستمائة إلى جهة مراكش لسد ثغوره، وتثقيف أطرافه، وتوغل في أرض السوس، وبعث وزيره فتح الله بالعساكر فجاس خلاله، ثم انكفأ راجعاً.

وخاطب قبائل المغرب كافة بالنفير إلى الجهاد، فتباطؤوا واستمر على تحريضهم، ونهض إلى رباط الفتح وتلوم بها في انتظار الغزاة وثبطوا، فخف هو في خاصته وحاشيته واحتل بالفرضة من قصر المجاز، وتلاحق به الناس فأجاز البحر واحتل بطريف آخر محرم، ثم ارتحل إلى الجزيرة، ثم إلى رندة.

ووافاه هنالك الرئيسان أبو إسحاق بن أشقيلولة صاحب قمارش، وأبو محمد صاحب مالقة للغزو معه.

وارتحلوا إلى منازلة أشبيلية فعرسوا عليها يوم المولد النبوي، وكان بها ملك الجلالقة ابن أدفونش، فخام عن اللقاء وبرز إلى ساحة البلد محامياً عن أهلها.

ورتب أمير المسلمين مصافه وجعل ولده الأمير أبا يعقوب في المقدمة، وزحف في التعبية فأحجزوا العدو البلد، واقتحموا أثرهم الوادي وأثخنوا فيهم، وباتت العساكر ليلتهم بجولان في متون جيادهم وقد أضرموا النيران بساحتها، وارتحل من الغد إلى أرض الشرق، وبث السرايا والغوار في سائر النواحي، وأناخ بجمهور العساكر عليها، فلم يزل يتقرى تلك الجهات حتى أباد عمرانها وطمس معالمها، ودخل حصن قطنيانة وحصن جليانة وحصن القليعة عنوة، وأثخن بالقتل والسبي.

ثم قفل بالغنائم والأنفال إلى الجزيرة لسرار شهره، فأراح وقسم الغنائم في المجاهدين.

ثم خرج غازياً إلى شريش منتصف ربيع الآخر فنازلها وأذاقها نكال الحرب، وأفقر نواحيها، وقطع أشجارها وأباد غضراءها وحرق ديارها، ونسف آثارها، وأثخن فيها بالقتل والأسر.

وبعث ولده الأمير أبا يعقوب في سرية من معسكره للغوار على أشبيلية وحصون الوادي، فبالغ في النكاية واكتسح حصن روطة وشلوقة وملیانه والقناطير.

ثم صبح إشبيلية بغاره فاكتسحها وانكفأ إلى أمير المسلمين، فقفلوا جميعاً إلى الجزيرة، وأراح وقسم في المجاهدين غنائمهم.

ثم ندب إلى غزو قرطبة، ورغبهم في عمرانها وثروة ساكنها، وخصب بلادها، فأهطعوا إلى إجابته، وخاطب ابن الأحمر يستنفره.

وخرج لأول جمادى من الجزيرة، ووافاه ابن الأحمر بناحية أرشدونة، فكرم وصوله وشكر خفوفه إلى الجهاد وبداره.

ونازلوا حصن بني بشير فدخل عنوة، وقتلت المقاتلة وسبيت النساء ونقلت الأموال وخرب الحصن، ثم بث السرايا والغارات في البسائط فاكتسحها وامتلأت الأيدي وأثرى العسكر، وتقروا المنازل والعمران في طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة فنازلوها، وانحجزت حامية العدو من وراء أسوارها وانبثت بعوث المسلمين وسراياهم في نواحيها، فنسفوا آثارها، وخربوا عمرانها واكتسحوا قراها وضياعها، وتردد على جهاتها، فدخل حصن بركونة عنوة، ثم أرجونة كذلك، وقدم بعثاً إلى جيان قاسمها حظها من الخسف والدمار، وخام الطاغية عن اللقاء وأيقن بخراب عمرانه، وتلاف بلاده.

فجنح إلى الصلح وخطبه من أمير المسلمين، فدفعه إلى ابن الأحمر وجعل الأمر في ذلك إليه تكرمة لمشهده ووفاء بحقه، فأجابهم ابن الأحمر إليه بعد عرضه على أمير المسلمين والتماس إذنه فيه وإبداء ما فيه من المصلحة وجنوح أهل الأندلس إليه منذ المدة الطويلة، فانعقد السلم.

وقفل أمير المسلمين من غزاته وجعل طريقه على غرناطة احتفاء بالسلطان ابن الأحمر وخرج له عن الغنائم كلها، فاحتوى عليها.

ودخل أمير المسلمين إلى الجزيرة في أول رجب من عام يومئذ، فأراح ونظر في ترتيب المسالح على الثغور، وتملك مالقة كما نذكره.

## الخبر عن تملك السلطان مدينة مالقة من يد ابن أشقيلولة

كان بنو أشقيلولة هؤلاء من رؤساء الأندلس المؤملين لمدافعة العدو، وكانوا نظراء لابن الأحمر في الرياسة، وهما أبو محمد عبد الله وأبو إسحاق إبراهيم ابنا أبي الحسن بن أشقيلولة.

وكان أبو محمد منهم صهراً له على ابنته فكانوا له بذلك خالصة فأشركهم في أمره واعتضد بعصابتهم وبأبيهم من قبل على مقاومة ابن هود وسائر الثوار حتى إذا استمكن من فرصته واستوى على كرسيه استبد دونهم وأنزلهم إلى مقامات الوزراء.

وعقد لأبي محمد صهره على ابنته على مدينة مالقة والغربية، وعقد لأبي الحسن صهره على أخته على وادي آش وما إليه، وعقد لابنه أبي إسحاق إبراهيم بن علي على قمارش وما إلى ذلك، ووجدوا في أنفسهم، واستمر الحال على ذلك.

ولما هلك الشيخ ابن الأحمر سنة إحدى وسبعين وستمائة

وولى ابنه الفقيه محمد، سموا إلى منازعته.

وأوفد أبو محمد صاحب مالقة ابنه أبا سعيد على السلطان يعقوب بن عبد الحق، وهو منازل طنجة.

ووفد معه أبو عبد اللّه بن منديل فكرم وفادتهما وأحسن وانكفيا راجعين فبعث الرئيس أبو محمد إلى السلطان بطاعته وبيعه أهل مالقة سنة ثلاث وسبعين وستمائة وعقد له عليها، ونزع ابنه أبو سعيد فرج إلى دار الحرب، ثم رجع لسنته فقتل بمالقة.

ولما أجاز السلطان إلى الأندلس إجازته الأولى سنة أربع وسبعين وستمائة تلقاه أبو محمد بالجزيرة مع ابن الأحمر وفاوضهما السلطان في شؤون الجهاد وردهما إلى أعمالهما.

ولما أجاز إجازته الثانية سنة ست وسبعين وستمائة لقيه بالجزيرة الرئيسان ابنا أشقيلولة: أبو محمد صاحب مالقة، وأخوه أبو إسحاق صاحب وادي آش وقمارش، فشهدا معه الغزاة.

ولما قفل اعتل أبو محمد صاحب مالقة، ثم هلك غرة جمادى من سنته فلحق ابنه محمد بالسلطان آخر شهر رمضان، وهو متلوم بالجزيرة، منصرفه من الغزو كما ذكرناه، فنزل له عن البلد ودعاه إلى احتيازها، فعقد عليها لابنه أبي زيان منديل، فسار إليها في بعث، وكان ابن أشقيلولة لحين فصوله إلى لقاء السلطان، أمر ابن عمه محمد الأزرق بن أبي الحجاج يوسف بن الزرقاء بإخلاء منازل للسلطان بالقصبة وإعدادها، فتم ذلك لثلاث ليال، وضرب الأمير أبو زيان معسكره بخارجها، وأنفذ محمد بن عمران بن عبلة في رهط من رجال بني مرين إلى القصبة فنزلها وملك أمر البلد.

وكان السلطان ابن الأحمر لما بلغه وفاة أبي محمد بن أشقيلولة سما أمله إلى الاستيلاء على مالقة وأن ابن أخته شيعة له، وبعث لذلك وزيره أبا سلطان عزيز الداني، فوافى معسكر الأمير أبي زيان بساحتها، ورجا أن يتجافى عنها لسلطانه، فأعرض عن ذلك وتجهم له، ودخل إليها لثلاث بقين من رمضان، وانقلب الداني عنها بخفي حنين.

ولما قضى السلطان بالجزيرة صومه ونسكه، خرج إلى مالقة فوافاها سادس شوال، وبرز إليه أهلها في يوم مشهود، احتفلوا له احتفال أيام الزينة سروراً بمقدم السلطان، ودخولهم في إيالته، وأقام فيهم إلى خاتم سنته.

ثم عقد عليها لعمر بن يحيى بن محلى من صنائع دولتهم.

وأنزل معه المسالح وزيان بن أبي عياد بن عبد الحق في طائفة لنظره من أبطال بني مرين، واستوصاه بمحمد بن أشقيلولة وارتحل إلى الجزيرة.

ثم أجاز إلى المغرب سنة سبع وسبعين وستمائة وقد اهتزت الدنيا لقدومه وامتلأت القلوب بما كنفه اللّه من نصر المسلمين بالعدوة، وعلو راية السلطان على كل راية.

وعظمت لذلك موجدة ابن الأحمر، ونشأت الفتنة كما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن تظاهر ابن الأحمر والطاغية على منع السلطان أبي يوسف من إجازة البحر وإصفاق يغمراسن بن زيان معهم من وراء البحر على الأخذ بحجزته عنهم وواقعة السلطان على يغمراسن بخرزوزة

لما أجاز أمير المسلمين إلى العدوة إجازته الأولى، ولقي العدو بأستجة، وقتل اللّه دنه بأيدي عسكره، وصنع له من الظهور والعز ما لا كفاء له، ارتاب ابن الأحمر بمكانه، فبدا له من ذلك ما لم يحتسب، وظن بأمير المسلمين الظنون، واعترض ذكره شأن يوسف بن تاشفين والمرابطين مع ابن عباد سلطان الأندلس.

وأكد ذلك عنده جنوح الرؤساء من بني أشقيلولة وغيرهم إليه وانقيادهم لأمره، فغص بمكانه وحذر غوائله.

وتكدر الجو بينهما وأجاز إجازته الثانية، فانقبض ابن الأحمر عن لقائه، ودارت بينهما مخاطبات شعرية في معنى العتاب على السنة كتابهما نسردها الآن، فمن ذلك قصيدة كتبها إليه ابن الأحمر سنة أربع وسبعين وستمائة بعد واقعة دنه واعتزامه على الرجوع إلى المغرب، فخاطبه بها ليلة الإقامة بالجزيرة حذراً من غائلة العدو، وينحو فيها منحى الاستعطاف وهي من نظم كاتبه أبي عمر بن المرابط:

هل من معيني في الهوى أو منجدي ... من متهم في الأرض أو من منجد

هذا الهوى داع فهل من مسعف ... بإجابة وإنابة أو مسعد

هذه سبيل الرشد قد وضحت فهل ... بالعدوتين من امرىء مسترشد

يرجو النجاة بجنة الفردوس أو ... يخشى المسير إلى الجحيم الموقد؟

يا آمل النصر العزيز على العدى ... أجب الهدى تسعد به وتؤيد

سر النجاة إلى النجاة مشمراً ... إن الهدى لهو النجاة لمن هدي

يا من يقول غداً أتوب ولا غد ... الديك علم أن تعيش إلى غد

لا تغترر بنسيئة الأجل الذي ... إن لم يحن لك نقده فكان قد

سفر عليك طويلة أيامه ... لم تستعد لطوله فاستعدد

أوما علمت بأنه لا بد من ... زاد لكل مسافر فتزود
هذا الجهاد رئيس أعمال التقى ... خذ منه زادك لارتحالك تسعد
هذا الرباط بأرض أندلس فرح ... منه لما يرضي إلهك واغتدي
سودت وجهك بالمعاصي فالتمس ... وجهاً للقيا اللّه غير مسود
وامح الخطايا بالدموع فربما ... محت الدموع خطيّة المتعمد
من ذا يتوب، لربه من ذنبه ... أو يقتدي بنبيه أو يهتدي
من ذا يطهر نفسه بعزيمة ... مشحوذة في نصر دين محمد
أتعز من أرض العدو مدائن ... واللّه في أقطارها لم يعبد
وتذل أرض المسلمين وتبتلى ... بمثلثين سطواً بكل موحد
كم جامع فيها أعيد كنيسة ... فاهلك عليه أسى فلا تتجلد
القس والناقوس فوق مناره ... والخمر والخنزير وسط المسجد
أسفاً عليها أقفرت صلواتها ... من قانتين وراكعين وسجد
وتعوضت منهم بكل معاند ... مستكبر مذ كان لم يتشهد
كم من أسير عندهم وأسيرة ... فكلاهما يبغي الفداء فما فدي
كم من عقيلة معشر معقولة ... فيهم تود لو أنها في ملحد
كم من وليد بينهم قد ود من ... ولداه وداً أنه لم يولد
كم من تقي في السلاسل موثق ... يبكي لآخر في الكبول مقيد
وشهيد معترك توزعه الردى ... ما بين حدي ذابل ومهند
ضجت ملائكة السماء لحالهم ... ورثى لهم من قلبه كالجلمد
أفلا تذوب قلوبكم إخواننا ... مما دهانا من ردىً أو من ردي
أفلا تراعون الأذمة بيننا ... من حرمة ومحبة وتود
أكذا يعيث الروم في إخوانكم ... وسيوفكم للثأر لم تتقلد
يا حسرة لحمية الإسلام قد ... خمدت وكانت قبل ذا توقد
أين العزائم ما لها لا تنقضي ... هل يقطع الهندي غير مجرد
أبني مريين أنتم جيراننا ... وأحق من في صرخة بهم أبتدي
فالجار كان به يوصي المصطفى ... جبريل حقاً في الصحيح المسند
أبني مريين والقبائل كلها ... في المغرب الأدنى لنا والأبعد
كتب الجهاد عليكم فتبادروا ... منه إلى فرض الأحق الأوكد
وارضوا بإحدى الحسنين وأقرضوا ... حسنا تفوزوا بالحسان الخرد
هذي الجنان تفتحت أبوابها ... والحور قاعدة لكم بالمرصد
هل من بائع من ربه من مشتر ... منه الحصول على النعيم السرمد
لله في نصر الحنيفة موعد ... صدق فثوروا بانتجاز الموعد
هذي الثغور بكم إليكم تشتكي ... شكوى العديم إلى الغني الأوحد
ما بال شمل المسلمين مبدد ... فيها وشمل الكفر غير مبدد
أنتم جيوش اللّه ملء فضائه ... تأسون للدين الغريب المفرد
ماذا اعتذاركم غداً لنبيكم ... وطريق هذا العذر غير ممهد
إن قال لم فرطتم في أمتي؟ ... وتركتموهم للعدو المعتدي
لله لو أن العقوبة لم تخف ... لكفى الحيا من وجه ذاك السيد

إخواننا صلوا عليه وسلموا ... وسلوا الشفاعة منه يوم المشهد
واسعوا لنصرة دينه يسقيكم ... من حوضه في الحشر أعذب مورد

وصدر جوابها من نظم عبد العزيز شاعر السلطان يعقوب بن عبد الحق بما نصه:

لبيك لا تخش اعتداء المعتدي.. إلخ.

وكذلك أجاب عنها أيضاً مالك بن المرحل بقوله:

شهد الإله وأنت يا أرض اشهدي... الخ فأجابهما أبو عمرو بن المرابط كاتب ابن الأحمر بقوله:

قل للبغاة وللعداة الحسد إلخ.

ولما أجاز السلطان يعقوب بن عبد الحق إجازته الثانية سنة ست وسبعين وستمائة كما نذكره، وصار ابن الأحمر إلى الاستعتاب والرضا ولقي يعقوب بن عبد الحق فأنشده كاتبه أبو عمر بن المرابط يوم اجتماعهما بقوله:

بشرى لحرب اللّه والإيمان إلى آخرها.

ولما انقضى المجلس أمر السلطان شاعره عبد العزيز بمساجلة قصيدته، فأنشدها ثاني المجلس بحضرة ابن الأحمر ونصها:

اليوم كن في غبطة وأمان، إلى آخرها.

ثم كان أثناء ذلك ما وقع من استيلاء السلطان يعقوب بن عبد الحق على مدينة مالقة والغربية، جل عمله بعد مهلك صاحبها أبي محمد بن أشقيلولة، فبرم لذلك وخيل عليه، ففزع إلى مداخلة الطاغية في شأنه واتصال يده، وأن يعود إلى مكان أبيه من ولايته ليدفع به السلطان وقومه عن أرضه، ويأمن معه من زوال سلطانه، لما كانت كلمة الإسلام حجزاً دونه.

فاهتبل الطاغية غرتها، وانتكث عهد أمير المسلمين، ونقض السلم، ونبذ إليه العهد، وأغزى أساطيله بالجزيرة الخضراء حيث مسالح السلطان وعساكره، وأرست بالزقاق حيث فراض الجواز، وانقطع المسلمون من جنود السلطان وقومه وراء البحر وينسوا من صريخه.

وانتبذ عمر بن يحيى بن محلى عن قومه بمكان إمارته من مالقة، وكان بنو محلى هؤلاء من كبار قومهم بطوية وكانوا حلفاء بني حمامة بن محمد منذ دخلوهم المغرب.

وأصهر عبد الحق أبو ملاك إلى أبيهم محلى في ابنته أم اليمن، فكان من ولده السلطان يعقوب بن عبد الحق.

وكانت امرأة صالحة خرجت إلى الحج سنة ثلاث وأربعين وستمائة فقضت فريضة اللّه عليها وعادت إلى المغرب لرابعة من

السنين سنة سبع وأربعين وستمائة ثم خرجت ثانية سنة اثنتين وخمسين وستمائة فتطوعت بحجة أخرى وهلكت بمصر منصرفها من تلك السنة سنة ثلاث وخمسين وستمائة فكان لبني محلى أبيها مكان من الدولة ودالة على السلطان لخؤولتهم ووشايج قرابتهم وغنائهم في قومهم. ولما استولى السلطان على حضرة الموحدين مراكش، عقد لمحمد بن علي بن محلى على جميع أعمالها، فكانت له في الاضطلاع بها مقامات محمودة.

واتصلت أيام ولايته عليها من لدن سنة ثمان وستين إلى سنة سبع وثمانين وستمائة ثم كان مهلكه أيام يوسف بن يعقوب كما نذكرة.

ولما نزع محمد بن أشقيلولة إلى السلطان بالجزيرة سنة ست وسبعين وستمائة متجافياً له عن ولاية مالقة بعد وفاة أبيه الرئيس أبي محمد، واستولى السلطان عليها، واعتزم على الإجازة كما قدمناه، عقد على مالقة والغربية وسائر ثغورها وأعمالها لعمر بن يحيى بن محلى.

وكان أخوه طلحة بن يحيى ذا بأس وصرامة وقوة شكيمة، واعتزاز على السلطان بمكان الخؤولة، وهو الذي قتل يعقوب بن عبد الحق بغبولة سنة ثمان وستين وستمائة كما قلناه، وظاهر فتح اللّه السدراتي مولى السلطان ووزيره على قتال أبي العلاء بن أبي طلحة بن أبي قريش، عامل المغرب بكدية العرايش من ظاهر فاس سنة اثنتين وستين وستمائة ونزع سنة أربع وسبعين وستمائة إلى جبل أزور عند مرجع السلطان من إجازته الأولى، فاستزله ورجعه إلى مجلسه من جملته.

ثم نزع من الجزيرة إلى غرناطة سنة ست وسبعين وستمائة عند مرجع السلطان من أمر مالقة، وأجاز البحر إلى بلاد الريف.

ثم رجع إلى القبلة وأقام بين بني توجين.

ثم أجاز البحر إلى الأندلس سنة سبع وسبعين وستمائة عندما أضرم نار هذه الفتنة بين السلطان وبين ابن الأحمر والطاغية، واحتل أسطول النصارى بالزقاق، وانقطعت عساكر السلطان وراء البحر.

وأحس أخوه عمر صاحب مالقة بإظلام الجو بينه وبين السلطان بما كان من أمر أخيه طلحة من قبل فلاطفه ابن الأحمر عند استقراره بغرناطة في مداخلة أخيه عمر في النزول عن مالقة، والاعتياض عنها بشلوبانية والمنكب طعمة.

وخاطبه في ذلك أخوه طلحة فأجاب وخرج ابن الأحمر بعساكره إلى مالقة، وتقبض عمر بن محلى على زيان بن بو عياد قائد بني مرين ومحمد بن أشقيلولة.

وأمكن ابن الأحمر من البلد فداخلها آخر رمضان من سنته.

وأنزل ابن محلى بشلوبانية واحتمل ذخيرته وما كان السلطان ائتمنه عليه من المال والعدة الجهادية.

واتصلت يد ابن الأحمر بيد الطاغية على منع أمير المسلمين من الإجازة، وراسلوا يغمراسن بن زيان من وراء البحر وراسلهم في مشاقة السلطان وإفساد ثغوره وإنزال العوائق به المانعة من حركته، والأخذ بأذياله عن النهوض إلى الجهاد، وأسنوا فيما بينهم بينهما الإتحاف والمهاداة.

وجنب يغمراسن إلى ابن الأحمر ثلاثين من عتاق الخيل مع ثياب من عمل الصوف، وبعث إليه ابن الأحمر صحبة ابن مروان التجاني كفاء ذلك عشرة آلاف دينار، فلم يرض بالمال في هديته ورده.

وأصفقت أيديهم جميعاً على السلطان، ورأوا أن قد بلغوا في إحكام أمرهم وسد مذاهبه إليهم، واتصل الخبر بأمير المسلمين وهو بمراكش.

كان صمد إليها مرجعه من الغزو في شهر المحرم فاتح سبع وسبعين وستمائة لما كان من عيث العرب جشم بتامسنا وإفسادهم السابلة، فثقف أطرافها وحسم أدواءها.

ولما بلغه خبر ابن محلى ومالقة ومنازلة الطاغية للجزيرة، نهض لثالثة من شوال يريد طنجة.

ولما انتهى إلى تامسنا، وافاه الخبر بنزول الطاغية على الجزيرة، وإحاطة عساكره بها سادس شوال، بعد أن كانت أساطيله منازلتها منذ ربيع، وأنه مشرف على التهامها، وبعثوا إليه يستعدونه فاعتزم على الرحيل.

ثم اتصل به الخبر بخروج مسعود بن كانون أمير سفيان من جشم ببلاد نفيس من المصامدة خامس ذي القعدة، وأن الناس اجتمعوا إليه من قومه وغيرهم، فكر إليه راجعاً وقدم بين يديه حافده تاشفين بن بو مالك، ووزيره يحيى بن حازم، وجاء على ساقتهم وفروا أمام جيوشه، وانتهب معسكرهم وحللهم، واستباح عرب الحارث ابن سفيان.

ولحق مسعود بمعقل السكسيوي، ونازله السلطان بعساكره أياماً.

ثم سرح ابنه الأمير أبا بن زيان منديل إلى بلاد السوس لتمهيدها وتدويخ أقطارها، فأوغل في ديارها وقفل إلى أبيه خاتم

سنته.

واتصل بالسلطان ما نال أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة القتال وأعواز الأقوات، وأنهم قتلوا الأصاغر من أولادهم خشية عليهم من معرة الكفر، فأهمه ذلك وأعمل النظر فيه، وعقد لولي عهده ابنه الأمير أبي يعقوب من مراكش على الغزو إليها.

وأغزى الأساطيل في البحر إلى جهاد عدوهم، فوصل إلى طنجة لصفر من سنة ثمان وسبعين وستمائة وأوعز إلى البلاد البحرية لإعداد الأساطيل للغزاة بسبتة وطنجة وسلا، وقسم الأعطيات وتوفرت همم المسلمين على الجهاد، وصدقت عزائمهم على الموت.

وأبلى الفقيه أبو حاتم العزفي صاحب سبتة لما بلغه خطاب أمير المسلمين في ذلك البلاء الحسن، وقام فيه المقام المحمود، واستنفر كافة أهل بلده فركبوا البحر أجمعين من المحتلم فما فوقه.

ورأى ابن الأحمر ما نزل بالمسلمين في الجزيرة، وإشراف الطاغية على أخذها، فندم في ممالأته ونبذ عهده، وأعد أساطيل سواحله من المنكب والمرية ومالقة مدداً للمسلمين.

واجتمعت الأساطيل بمرفأ سبتة تناهز السبعين، قد أخذت بطرفي الزقاق في أحفل زي وأحسن قوة وأكمل عدة وأوفر عديد، وعقد لهم الأمير أبو يعقوب رايته، وأقلعوا عن طنجة ثامن ربيع الأول.

وانتشرت قلوعهم في البحر فأجازوه، وباتوا ليلة المولد الكريم بمرقى الجبل، وصبحوا العدو وأساطيلهم تناهز الأربعمائة، فتظاهروا في دروعهم وأسبغوا من سكتهم، وأخلصوا لله عزائمهم، وصدقوا مع الله نياتهم، وتنادوا بالجنة شعارهم، ووعظ وذكر خطباؤهم، والتحم القتال ونزل الصبر.

ولم يكن إلا كلا ولا حتى نضحوا العدو بالنبل، فانكشفوا وتساقطوا في العباب، فاستلحمهم السيف وغشيهم اليم، وملك المسلمون أساطيلهم ودخلوا مرمى الجزيرة وفرضتها عنوة، فاختل معسكر الطاغية، ودخلهم الرعب من إجازة الأمير أبي يعقوب ومن معه من الحامية، فأفرج لحينه عن البلد، وانتشر النساء والصبيان بساحته، وغلبت المقاتلة كثيراً من المعسكر على مخلفهم، فغنموا من الحنطة والأدم والفواكه ما ملأ أسواق البلد أياماً، حتى وصلتها الميرة من النواحي.

وأجاز الأمير أبو يعقوب لحينه فأرهب العدو في كل ناحية، وصده عن الغزو إلى دار الحرب شأن الفتنة مع ابن الأحمر، فرأى أن يعقد مع الطاغية سلماً، ويصل به لمنازلة غرناطة يداً.

وأجابه إلى ذلك الطاغية رهبة من بأسهم، وموجدة على ابن الأحمر في مدد أهل الجزيرة، وبعث أساقفته لعقد ذلك فأجازهم الأمير أبو يعقوب إلى أبيه أمير المسلمين فغضب لها، ونكرها على ابنه، وزوى عنه وجه رضاه، ورجعهم إلى طاغيتهم مخفقي السعي.

وأجاز أبو يعقوب ابن السلطان إلى أبيه ومعه وفد أهل الجزيرة، فلقوا السلطان بمكانه من بلاد السوس.

وولى عليهم ابنه أبا زيان منديل فنزل بالجزيرة، وأحكم العقدة مع الطاغية، ونازل مربلة من طاعة ابن الأحمر براً وبحراً فامتنعت عليه ورجع إلى الجزيرة، وانضوى إليه أهل الحصون الغربية بطاعتهم حذراً من الطاغية فتقبلهم، ثم جاءه المدد من المغرب، ونازل رندة فامتنعت، والطاغية أثناء ذلك يجوس خلال الأندلس.

ونازل ابن الأحمر بغرناطة مع بني أشقيلولة وابن الدليل.

ثم راجع ابن الأحمر مسالمة بني مرين، وبعث لأبي زيان ابن السلطان بالصلح، واجتمع معه بأحواز مربلة كما نذكر بعد.

ولما ارتحل السلطان من معسكره إلى جبل السكسيوي يريد السوس، ثم أغزى العساكر ورجع من طريقه إلى مراكش حتى إذا انقضت غزاة البربر قفل إلى فاس، وبعث خطابه إلى الآفاق مستنفراً للجهاد.

وفصل في رجب من سنة ثمان وسبعين وستمائة حتى انتهى، إلى طنجة وعاين ما اختل من أحوال المسلمين في تلك الفترة، وما جرت إليه فتنة ابن الأحمر من اعتزار الطاغية، وما حدثته نفسه من التهام الجزيرة الأندلسية ومن فيها.

وظاهره على ابن الأحمر منافسوه في رياسته بنو أشقيلولة، فاستجره الرئيس أبو الحسن بن أبي إسحاق صاحب وادي آش، ونازل معه غرناطة سنة تسع وسبعين وستمائة خمسة عشر يوماً ثم أفرجوا عنها، ولقيتهم عساكر غرناطة من زناتة فعد ذلك من سنتهم، وعليهم طلحة بن محلى وتاشفين بن معطى كبير تيريغين بحصن المسلى، فأظهرهم الله عليهم.

وهلك من النصارى ما يناهز سبعمائة من فرسانهم، واستشهد فيها من أعياص بني مرين عثمان بن محمد بن عبد الحق.

واستجر الطاغية سنة ثمانين وستمائة بعدها الرئيس أبو محمد عبد الله أخو صاحب وادي آش إلى منازلة غرناطة، فنازلها الطاغية وأقام عليها أياماً.

ثم ارتحل وقد اعتز عليهم، وأشفق السلطان على المسلمين وعلى ما نال ابن الأحمر من خسف الطاغية، فراسله في الموادعة واتفاق الكلمة وشرط عليه النزول عن مالقة، وامتنع فرجع السلطان إلى إزالة العوائق المانعة عن شأنه من الجهاد، وكان من أعظمها فتنة يغمراسن.

واستيقن ما دار بينه وبين ابن الأحمر والطاغية ابن أخي أدفونش من الاتصال والإصفاق فبعث إليه في تجديد الصلح والاتفاق، فلج وكشف الوجه في العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العدوة مسلمهم وكافرهم من الوصلة، وأنه معتزم على وصل بلاد المغرب، فصرف أمير المسلمين عزمه إلى غزو يغمراسن.

وقفل إلى فاس لثلاثة أشهر من نزوله طنجة، فدخلها آخر شوال وأعاد الرسل إلى يغمراسن لإقامة الحجة عليه، والتحلي بمسالمة بني توجين والتجافي عنهم لموالاتهم أمير المسلمين، فقام يغمراسن في ركائبه وقعد ولج في طغيانه.

وارتحل أمير المسلمين من فاس خاتمة سنة تسع وسبعين وستمائة وقدم ابنه أبا يعقوب في العساكر وأدركه بتازى.

ولما انتهى إلى ملوية تلوم في انتظارالعساكر ثم ارتحل إلى نامه ثم تافنا وصمد إليه يغمراسن بحشود زناتة والعرب بحللهم وكافة ناجعتهم، والتقت عيون القوم، فكانت بينهم حرب.

وركب على آثارهما العسكران فالتحم القتال، وكان الزحف بخرزوزة من ملعب تيفني، ورتب أمير المسلمين مصافه وجعل كتيبته وكتيبة ابنه الأمير أبي يعقوب جناحين للعسكر.

واشتد القتال سائر النهار، وانكشف بنو عبد الواد عندما أراح القوم، وانتهب جميع مخلفهم وما كان في معسكرهم من المتاع والكراع والسلاح والفساطيط، وبات معسكر أمير المسلمين ليلتهم في صهوات خيلهم، واتبعوا من الغد آثار عدوهم، واكتسحت أموال العرب الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن، وامتلأت أيدي بني مرين من نعمهم وشائهم.

ودخلوا بلاد يغمراسن وزناتة.

ووافاه هنالك محمد بن عبد القوي أمير بني توجين، لقيه بناحية القصبات، وعاثوا جميعاً في بلاده نهباً وتخريباً ثم أذن لبني توجين في اللحاق ببلادهم وأخذ هو بمخنق تلمسان متلوماً لوصول محمد بن عبد القوي وقومه إلى منجاتهم من جبل وانشريش حذراً عليهم من غائلة يغمراسن.

ثم أفرج عنها وقفل إلى المغرب ودخل فاس شهر مضان من سنة ثمانين وستمائة ثم نهض إلى مراكش فاحتل بها فاتح إحدى وثمانين وستمائة بعدها، وسرح ابنه الأمير أبا يعقوب إلى السوس لتدويخ أقطاره، ووافاه بمراكش صريخ الطاغية على ابنه شانجة الخارج عليه، فاغتنم الفرصة في فساد بينهم لقضاء أربه من الجهاد، وارتحل مبادراً بالإجازة إلى الأندلس.

والله تعالى أعلم.

## الخبر عن إجازة السلطان أبي يوسف ثالثة باستدعاء الطاغية لخروج ابنه شانجة عليه وافتراق كلمة النصرانية وما كان في هذه الإجازة من الغزوات

لما رجع السلطان من غزاة تلمسان إلى فاس، وارتحل إلى مراكش وافاه بها وفد الطاغية من بطارقته وزعماء دولته، وقواميص ملته صريخاً على ابنه شانجة.

خرج عليه في طائفة من النصارى وغلبوه على أمره، فاستنصر أمير المسلمين ودعاه لحربهم وأمله لاسترجاع ملكه من أيديهم، فأجاب أمير المسلمين داعية رجاء للكرة بافتراقهم، وارتحل حتى انتهى إلى قصر المجاز، وأوعز إلى الناس بالنفير إلى الجهاد، وأجاز إلى الخضراء فاحتل بها لربيع الثاني من سنة إحدى وثمانين وستمائة واجتمعت عليه مسالح الثغور بالأندلس وسار حتى نزل صخرة عياد، فوافاه بها الطاغية ذليلاً لعز الإسلام مؤملاً صريخ السلطان، فأكبر وفادته وكرّم موصله وعظم قدره، وأمده لنفقاته بمائة ألف من مال المسلمين استرهن فيها التاج الذخيرة عند سلفه، وبقي بدارهم فخراً للأعقاب لهذا العهد.

ودخل معه دار الحرب غازياً حتى نازل قرطبة، وبها شانجة ابن الطاغية الخارج عليه مع طائفة، فقاتلها أياماً ثم أفرج عنها، وتنقل في جهاتها ونواحيها وارتحل إلى طليطلة فعاث في جهاتها، وخرب عمرانها حتى انتهى إلى حصن مجريط من أقصى الثغر، فامتلأت أيدي المسلمين وضاق معسكرهم بالغنائم التي استاقوها.

وقفل إلى الجزيرة فاحتل بها لشعبان من سنته، وكان عمر بن محلى نزع إلى طاعة السلطان فهم به ابن الأحمر، ونبذ إليه عهده.

وارتجع المنكب من يده ونازله بعساكره فاتح هذه السنة، فجهز السلطان إليه لوصوله الجزيرة أسطوله، وأفرج ابن الأحمر

عنه، فبادر إلى السلطان بطاعته، ووصل ببيعة شلوبانية فأبقاه فيها بدعوته.

ثم راجع طاعة ابن الأحمر في شوال من سنته، فتقبل فيئته وأعاضه عنها بالمنكب إلى أن كان ما نذكره إن شاء اللّه تعالى واللّه أعلم.

## الخبر عن شأن السلم مع ابن الأحمر وتجافي السلطان له عن مالقة ثم تجديد الغزو بعد ذلك

لما اتصلت يد السلطان بيد الطاغية، خشي ابن الأحمر غائلته، فجنح إلى موالاة شانجة الخارج عن أبيه، ووصل يده بيده، وأكد له العقد على نفسه واضطرمت له الأندلس ناراً وفتنة.

ولم يغن شانجة عن ابن الأحمر شيئاً ورجع السلطان من غزاته مع الطاغية، وقد ظهر على ابنه فأجمع على منازلة مالقة، ونهض إليها من الجزيرة فاتح اثنتين وثمانين وستمائة فتغلب على الحصون الغربية كلها، ثم أسف إلى مالقة فأناخ عليها بعساكره.

وضاق النطاق على ابن الأحمر وبدا له سوء المغبة في شأن مالقة ومداخلة ابن محلى في الغدر بها، وأعمل نظره في الخلاص من ورطتها.

ولم ير لها إلا ولي عهد السلطان ابنه أبا يوسف، فخاطبه بمكانه من المغرب مستصرخاً لرقع هذا الخرق، وجمع كلمة المسلمين على عدوهم، فأجابه واغتنم المثوبة في مسعاه.

وأجاز لشهر صفر، فوافى أمير المسلمين بمعسكره على مالقة، ورغب منه السلم لابن الأحمر عن شأن مالقة والتجافي له عنها، فأسعف رغبة ابنه لما يؤمل في ذلك من رضى اللّه في جهاد وعدوه إعلاء كلمته.

وانعقد السلم وانبسط أمل ابن الأحمر، وتجددت عزائم المسلمين، وقفل السلطان إلى الجزيرة وبث السرايا في دار الحرب فأوغلوا وأثخنوا.

ثم استأنف الغزو بنفسه إلى طليطلة فخرج غازياً غرة ربيع الثاني من سنة اثنتين وثمانين وستمائة حتى انتهى إلى قرطبة، فأثخن وغنم وخرب العمران وافتتح الحصون ثم ارتحل نحو البيرة وخلف معسكراً بظاهر بياسة وأغذ السير في أرض قفر، ولليلتين انتهى إلى البيرة من نواحي طليطلة، فسرح الخيل في البسائط حتى تقرت جميع ما فيها.

ولم ينته إلى طليطلة لتثاقل الناس بكثرة الغنائم، وأثخن في القتل، وقفل على غير طريقه فأثخن وخرب وانتهى إلى أبدة.

ووقف بساحتها والعدو منحجزون، ثم رجع إلى معسكره ببياسة وأراح ثلاثاً ينسف آثارها ويقتلع شجراءها وقفل إلى الجزيرة فاحتل بها شهر رجب وقسم الغنائم وقفل من الخمس.

وولى على الجزيرة حافده عيسى ابن الأمير أبي مالك ابنه، فهلك شهيداً بالمعترك لشهرين من ولايته، وأجاز السلطان غرة شعبان إلى المغرب، ومعه ابنه أبو زيان مندبل، وأراح بطنجة ثلاثاً وأغذ السير إلى فاس فاحتل بها آخر شعبان، ولما قضى صيامه ونسكه، ارتحل إلى مراكش لتمهيدها، وتفقد أحوالها.

وقسم من نظره لنواحي سلا وأزُّور، فأقام برباط الفتح شهرين اثنين، واحتل مراكش فاتح ثلاث وثمانين وستمائة وبلغه مهلك الطاغية ابن أدفونش واجتماع النصرانية على ابنه شانجة الخارج عليه، فتحركت إلى الجهاد عزائمه وسرح الأمير أبا يعقوب ولي عهده بالعسكر إلى بلاد السوس لغزو العرب، وكف عاديتهم، ومحو آثار الخوارج المنتزين على الدولة، فأجفلوا أمامه، واتبع آثارهم إلى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس، فهلك أكثر العرب في تلك القفار مسغبة وعطشاً، وقفل لما بلغه من اعتلال أمير المسلمين، ووصل إلى مراكش وقد أبل، واعتزم على الجهاد والغزو شكر اللّه، كما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن إجازة السلطان أبي يوسف الرابعة ومحاصرة شريش وما تخلل ذلك من الغزوات

لما اعتزم أمير المسلمين على الإجازة واعترض جنوده وحاشيته، وأزاح عللهم، وبعث في قبائل المغرب بالنفير، ونهض من مراكش في جمادى الآخرة لثلاث وثمانين وستمائة.

واحتل رباط الفتح منتصف شعبان فقضى به صومه ونسكه، ثم ارتحل إلى قصور مصمودة وشرع في إجازة العساكر والحشود من المرتزقة والمطوعة خاتم سنته، ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة أربع وثمانين وستمائة بعدها واحتل بطريف، ثم سار منها إلى الخضراء وأراح أياماً.

ثم خرج غازياً حتى انتهى إلى وادي لك، وسرح الخيول في بلاد العدو وبسائطها تغير وتحرق وتنسف.

فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش، فنزل بساحتها وأناخ عليها، وبث السرايا والغارات في جميع نواحيها، وبعث عن المسالح التي كانت بالثغور، فتوافت لديه.

ولحقه حافده عمر بن أبي مالك بجمع وافر من المجاهدين من أهل المغرب فرساناً ورجالاً، ووافته حصة العزفي من سبتة غزاة ناشبة تناهز خمسمائة من الرجل.

وأوعز إلى ولي عهده الأمير أبي يعقوب باستنفار من بقي بالعدوة من المسلمين إلى الجهاد، وعقد لحافده الآخر منصور بن عبد الواحد على ألف فارس من الغزاة.

وأعطاه الراية وسرحه لغزو إشبيلية لآخر صفر من سنته، فغنموا ومروا بقرمونة في منصرفهم فاستباحوها واثخنوا بالقتل والأسار ورجعوا وقد امتلأت أيديهم من الغنائم.

وبعث وزيره محمد بن وعتو ومحمد بن عمران بن عبلة عيوناً، فوافوا حصن القناطر وروطة، واستكشفوا ضعف الحامية واختلال الثغور، فعقد ثانية لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان لثلاثة من ربيع وأعطاه الراية، وسرحه إلى بسائط وادي لك، فرجعوا من الغنائم بما ملأ العساكر بعد أن أثخنوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار، وأبادوا عمرانها.

ثم سرح ثامن ربيع عسكراً للإغارة على حصن أركش، ووافوه على غرة فاكتسحوا أموالهم، ثم عقد تاسع ربيع لابنه أبي معروف على ألف من الفرسان، وسرحه لغزو إشبيلية فساروا حتى توقف عليها، وانحجزت منه حاميتها، فخرب عمرانها وحرق زروعها وقطع شجرها، وامتلأت أيدي عسكره سبياً وأموالاً، ورجع إلى معسكر السلطان مملؤ الحقائب.

ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع لغزو حصن كان بالقرب من معسكره، وسرح معه الرجل من الناشبة والفعلة بالآلات، وأمده بالرجل من المصامدة، وغزاة سبتة فاقتحموه عنوة على أهله، وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية، واضرعوا خده بالتراب.

ولسبع عشرة من الشهر ركب السلطان إلى حصن سقوط قريباً من معسكره، فخربه وحرقه بالنار، واستباحه، وقتل المقاتلة وسبى أهله.

ولعشرين من شهره وصل ولي عهده، الأمير أبو يعقوب من العدوة بنفير أهل المغرب وكافة القبائل في جيوش ضخمة، وعساكر موفورة، وركب أمير المسلمين للقائهم وبرور مقدمهم.

واعترض العساكر الموافية يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفاً من المصامدة، وثمانية آلاف من برابرة المغرب متطوعون كلهم بالجهاد، فعقد له السلطان على خمسة آلاف من المرتزقة وألفين من المتطوعة وثلاثة عشر ألفاً من الرجل وألفين من الناشبة وسرحه لغزو إشبيلية والإثخان في نواحيها، فعبى كتائبه ونهض لوجهه، وبث الغارات بين يديه، فأثخنوا وسبوا وقتلوا واقتحموا الحصون واكتسحوا الأموال.

وعاج على الشرف والغابة من بسيط إشبيلية فنسف قراها واقتحم من حصونها عدة، وقفل إلى معسكر أمير المسلمين ظاهراً عزيزاً غانماً.

ولسادس ربيع الثاني وصل الأمير أبو زيان منديل بن طريف بعسكر وافر من المسلمين فعقد له غداة وصوله وأمده بعسكر آخر وأغزاه قرمونة والوادي الكبير، فأغار على قرمونة، وطمعت حاميتها في المدافعة فبرزوا له وصدقهم القتال فانكشفوا حتى احجزوهم في البلد، ثم أحاطوا ببرج كان قريباً من البلد، فقاتلوه ساعة من نهار واقتحموه عنوة، ولم يزل يتقرى المنازل والعمران حتى وقف بساحة إشبيلية، فأغار واكتسح واقتحم برجاً كان هنالك عيناً على المسلمين، وأضرمه ناراً، وامتلأت أيدي عساكره، وقفل إلى معسكر أمير المسلمين.

ولثلاث عشرة من ربيع الثاني عقد للأمير أبي يعقوب لمنازلة جزيرة كبوتر، فصمد إليها وقاتلها واقتحمها عنوة.

وفي ثاني جمادى عقد لطلحة بن يحيى بن محلى، وكان بعد مداخلته أخاه عمر في شأن مالقة سنة خمس وسبعين وستمائة خرج إلى الحج، فقضى فرضه ورجع، ومر في طريقه بتونس واتهمه الدعي ابن أبي عمارة كان بها يومئذ فاعتقله سنة اثنتين وثمانين، ثم سرحه ولحق بقومه بالمغرب.

ثم أجاز الأندلس غازياً في ركاب السلطان، فعقد له في هذه الغزاة على مائتين من الفرسان وسرحه إلى إشبيلية ليكون ربيئة للمعسكر وبعث معه لذلك عيوناً من اليهود والمعاهدين من النصارى، يتعرفون له أخبار الطاغية شانجة وأمير المسلمين أثناء ذلك يغادي شريش ويراوحها بالقتال والتخريب، ونسف الآثار، وبث السرايا كل يوم وليلة في بلاد العدو، فلا يخلو يوماً عن تجهيز عسكر أو اغزاء جيش أو عقد راية أو بعث سرية، حتى انتسف العمران في جميع بلاد النصرانية، وخرب بسائط إشبيلية ولبلة وقرمونة وأستجة وجبال الشرف وجميع بسائط الفرنتيرة.

وأبلى في هذه الغزوات عياد العاصي من شيوخ جشم،

وخضر الغزي أمير الأكراد بلاء عظيماً، وكان لهم فيها ذكر، وكذلك غزاة سبتة وسائر المجاهدين والعرب من جشم وغيرهم.

فلما دمرها تدميراً ونسفها تخريباً واكتسحها غارةً ونهباً، وزحم فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن المعسكر، اعتزم على القفول وأفرج عن شريش لآخر رجب، ووافاه مدد غرناطة من عساكر الغزاة وقائدهم يعلى بن أبي عياد بن عبد الحق بوادي بردة، فلقاهم مبرة، وتكريماً وانقلبوا إلى أهلهم.

واتصل به أن العدو أوعز إلى أساطيله باحتلال الزقاق والاعتراض دون الفراض فأوعز أمير المسلمين إلى جميع سواحله من سبتة وطنجة والمنكب وجزيرة وطيف وبلاد الريف ورباط الفتح، واستدعى أساطيله فتوافت منها ستة وثلاثون أسطولاً متكاملة في عدتها وعديدها، فأحجمت أساطيل العدو عنها وارتدت على أعقابها، واحتل بالجزيرة غرة رمضان.

واستيقن الطاغية شانجة وأهل ملته أن بلادهم قد فنيت وأرضهم خربت وتبينوا العجز عن المدافعة والحماية، فجنحوا إلى السلم وضرعوا إلى أمير المسلمين في كف عاديته عنهم على ما يذكر ووصل إلى السلطان بمكانه من منازلة شريش عمر بن أبي يحيى بن محلى نازعاً إلى طاعته، فاتهمه لما سبق من تلاعبه وأمر أخاه طلحة بنكبه.

واحتمل إلى طريف فاعتقل بها، وسار طلحة إلى المنكب فاستصفى أموال أخيه عمر وذخائره وحملها إلى السلطان.

وأقر ثانية أخاه موسى على عمله بالمنكب، وأمده بعسكر من الرجل، ثم أطلق عمر لليال من اعتقاله، وأجاز طلحة وعمر في ركاب السلطان.

ونزع منصور بن أبي مالك حافد السلطان إلى غرناطة، ثم لحق منها بالمنكب وأقام مع موسى بن أبي يحيى بن محلى، فأقره السلطان ورضي بمقامه والله تعالى أعلم.

## الخبر عن وفادة الطاغية شانجة وانعقاد السلم ومهلك السلطان على تفيئة ذلك

لما نزل بأمم النصرانية بلاد ابن أدفونش من أمير المسلمين ما نزل من تدمير قراهم واكتساح أموالهم وسبي نسائهم وإبادة مقاتلتهم وتخريب معاقلهم وانتساف عمرانهم، زاغت منهم الأبصار وبلغت القلوب الحناجر واستيقنوا أن لا عاصم من أمير المسلمين، فاجتمعوا إلى طاغيتهم شانجة، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة، متوجعين مما أذاقهم جنود الله من سوء العذاب وأليم النكال، وحملوه على الضراعة لأمير المسلمين في السلم، وانفاذ الملأ من كبار النصرانية عليه في ذلك، وإلا فلا تزال تصيبهم منه قارعة، وتحل قريباً من دارهم فأجاب إلى ما دعوه إليه من الخسف والهضيمة لدينه.

وأوفد على أمير المسلمين من بطارقتهم وقمامصتهم وأساقفتهم يخطبون السلم ويضرعون في المهادنة والإبقاء ووضع أوزار الحرب، فردهم أمير المسلمين اعتزازاً عليهم.

ثم أعادهم الطاغية بترديد الرغبة على أن يشترط ما شاء من عز دينه وقومه. فأسعفهم أمير المسلمين وجنح إلى السلم لما تيقن صاغيتهم إليه وذلهم لعز الإسلام، وأجابهم إلى ما سألوه واشترط عليهم ما تقبلوه من مسالمة المسلمين كافة من قومه وغير قومه، والوقوف عند مرضاته في ولاية جيرانه من الملوك أو عداوتهم، ورفع الضريبة عن تجار المسلمين بدار الحرب من بلاده، وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في فتنة.

وبعث ثقته عبد الحق ابن الترجمان لاشتراط ذلك وأحكام عقده، فاستبلغ وأكد في الوفاء.

ووفدت رسل ابن الأحمر على الطاغية وهو عنده لعقد السلم معه دون أمير المسلمين وعلى مدافعته عنه، فأحضرهم بمشهد ابن الترجمان وأسمعهم ما عقد لأمير المسلمين على قومه وأهل ملته وقال لهم: إنما أنتم عبيد آبائي فلستم معي في مقام السلم أو الحرب، وهذا ملك المسلمين ولست أطيق مقاومته ولا دفاعه عنكم فانصرفوا.

ولما رأى عبد الحق صاغيته إلى مرضاة السلطان وسوس إليه بالوفادة لتتمكن الألفة وتستحكم العقدة، وأراه مغبة ذلك في سل السخيمة وتسكين الحفيظة وتمكين الألفة، فصغى إلى وفاقه وسأل لقي الأمير أبي يعقوب ولي عهده من قبل ليطمئن عليه، فوصل إليه ولقيه على فراسخ من شريش، وباتا بمعسكر المسلمين هنالك.

ثم ارتحلا من الغد للقاء أمير المسلمين وقد أمر الناس بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه، وإظهار شعار الإسلام وأبهته، فاحتفلوا وتأهبوا وأظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية.

ولقيه أمير المسلمين بأحسن مبرة وأتم كرامة يلقى بها مثله من عظماء الملل وقدم الطاغية بين يديه هدية أتحف بها أمير المسلمين وابنه من طرف بلاده، كان فيها زوج من الحيوان الوحشي المسمى بالفيل، وحمارة من حمر الوحش إلى غير ذلك من الطرف.

تقبّلها السلطان وابنه وقابلوه بكفائها ومضاعفتها، وكمل عقد السلم، وتقبل الطاغية سائر الشروط ورضي بعز الإسلام عليه وانقلب إلى قومه بملء صدره من الرضا والمسرة وسأل منه أمير المسلمين أن يبعث من كتب العلم التي بأيدي النصارى من لدُن استيلائهم على مدايـن الإسلام، فاستكثر من أصنافها في ثلاثة عشر حملاً بعث بها إليه، فوقفها السلطان بالمدرسة التي أسسها بفاس لطلب العلم.

وقفل أمير المسلمين إلى الجزيرة لليلتين بقيتا لرمضان، فقضى صومه ونسكه، وجعل من قيام ليله جزءاً لمحاضرة أهل العلم.

وأعد الشعراء كلمات أنشدوها يوم الفطر بمشهد الملأ في مجلس أمير المسلمين.

وكان من أسبقهم في ذلك الميدان شاعر الدولة عزوز المكانسي، ذكر فيها سير أمير المسلمين وغزواته على نسق.

ثم أعمل أمير المسلمين نظره في الثغور فرتب بها المسالح وعقد عليها لابنه الأمير أبي زيان منديل، وأنزله بزكوان مقربة مالقة، واستوصاه بأن لا يحدث في بلاد ابن الأحمر حدثاً.

وعقد لعياد بن أبي عياض العاصمي على مسلحة أخرى، وأنزله بأصطبونة.

وأجاز ابنه الأمير أبا يعقوب لتفقد أحوال المغرب ومباشرة أموره، فأجاز في أسطول القائد محمد بن أبي القاسم الرنداحي قائد سبتة، وأوعز إليه بالبناء على قبر أبيه الملوك عبد الحق، وابنه إدريس بتافرطست، فاختط هنالك رباطاً وبنى على قبورهم أسمنة من الرخام، ونقشها بالكتابة، ورتب عليها قراء لتلاوة القرآن، ووقف على ذلك ضياعاً وفدناً.

وهلك خلال ذلك وزيره يحيى بن أبي منديل العسكري لمنتصف رمضان.

ثم اعتل بعد ذلك أمير المسلمين لشهر ذي الحجة ومرض واشتد وجعه وهلك لآخر محرم سنة خمس وثمانين وستمائة من الهجرة والله أعلم.

## الخبر عن دولة السلطان أبي يعقوب وما كان فيها من الأحداث وشأن الخوارج عليه لأول دولته

لما اعتل أمير المسلمين أبو يوسف بالجزيرة، مرضه نساؤه، وطير بالخبر إلى ولي العهد الأمير أبي يعقوب وهو بمكانه من المغرب، فأغذ السير، وقضى أمير المسلمين قبل وصوله، فأخذ له البيعة على الناس وزراء أبيه وعظماء قومه، وأجاز إليهم البحر، فجددوا بيعته غرة صفر سنة خمس وثمانين وستمائة وأخذوها على الكافة.

وانعقد أمر السلطان يومئذ ففرق الأموال وأجزل الصلات، وسرح من في السجون في ورفع عن الناس الأخذ بزكاة الفطر، ووكلهم فيها إلى أمانتهم.

وقبض أيدي العمال عن الظلم والاعتداء والجور على الرعايا، ورفع المكوس ومحا رسوم الرتب، وصرف اعتناءه إلى إصلاح السابلة.

وكان أول شيء أحدث من أمره إلى أن بعث إلى ابن الأحمر وضرب موعداً للقائه، فبدر إليه ولقيه بظاهر مربالة، لأول ربيع.

ولقاه مبرّة وتكريماً وتجافى له عن جميع الثغور الأندلسية التي كانت لمملكته ما عدا الجزيرة وطريف.

وتفرقا من مكانهما على أكمل حالات المصافاة والوصلة، ورجع السلطان إلى الجزيرة ووافاه بها وفد الطاغية شانجة مجددين حكم السلم الذي عقد له أمير المسلمين عفا الله عنه فأجابهم.

ولما تمهد أمر الأندلس وفرغ من النظر اليها، عقد لأخيه أبي عطية العباس على الثغور الغربية والإمارة عليها.

وعقد لعلي بن يوسف بن يذكاسن على مسالحها، وأمده بثلاثة آلاف من عساكره.

وأجاز إلى المغرب فاحتل بقصر مصمودة سابع ربيع الثاني.

ثم ارتحل إلى فاس، واحتل بها لاثنتي عشرة خلت من جمادى، ولحين استقراره بدار ملكه، خرج عليه محمد بن إدريس بن عبد الحق في إخوته وبنيه وذويهم، ولحق بجبل درعة، ودعا لنفسه، وسرح إليهم السلطان أخاه أبا معرف، فبدا له في النزوع إليهم، فلحق بهم، فأغزاهم السلطان بعساكره وردد إليهم البعوث والكتائب، وتلطف في استنزال أخيه، فنزل عن الخلاف وعاد إلى حسن طاعته.

وفر أولاد إدريس إلى تلمسان، وتقبض عليهم أثناء طريقهم، وسرح السلطان أخاه أبا زيان إلى تازى، وأوعز إليه بقتلهم بمليلي خارج تازى لرجب من سنة خمس وثمانين وستمائة ورهب الأعياص عند ذلك من بادرة السلطان فتفرقوا ولحق بغرناطة أولاد أبي العلاء إدريس بن عبد الحق، وأولاد ابي يحيى بن عبد الحق، وأولاد عثمان بن يزول.

ورجع أولاد أبي يحيى إلى السلطان بعد القضاء عهده وأمانه.

وهلك أخوه محمد بن اجليلد بن يعقوب بن عبد الحق لشعبان من سنته، وهلك عمر ابن أخيه أبي مالك بطنجة.

ثم خرج على السلطان عمر بن عثمان بن يوسف العسكري بقلعة قندلاوة، ونبذ الطاعة وأذن بالحرب.

وأوعز السلطان إلى بني عسكر ومن إليهم من القبائل المجاورين لها، فاحتشدوا له ونازلوه، ثم نهض بركابه وعساكره إلى منازلته، واحتل بنبدورة، وخافه عمر على نفسه، وأيقن أنه أحيط به، فسأل الأمان وبذله السلطان عل شريطة اللحاق بتلمسان، فبعث من توثّق له من الخيرة فنزل.فوفى له السلطان بعهده، ولحق بتلمسان بأهله وولده.

ثم ارتحل السلطان في رمضان من سنته إلى مراكش لتمهيد أنحائها، وتثقيف أطرافها، واحتل بها في شوال، واعتمل النظر في مصالحها، ونزع خلال ذلك طلحة بن محلى البطوي إلى بني حسان من المعقل، وخرج على السلطان ودعا لنفسه.

وعقد السلطان لمنصور ابن أخيه أبي مالك على العساكر، وعهد له بولاية السوس وسرحه لاستنزال الخوارج، ومحو آثار الفساد.

وارتاب بمكان أخيه عمر فغربه إلى غرناطة، فقتله أولاد أبي العلاء يوم وصوله إليها، فسار الأمير منصور في الجيوش والكتائب، وغزا عرب المعقل وأثخن فيهم.

وقتل طلحة بن محلى في بعض حروبهم لثلاث عشرة من جمادى سنة ست وثمانين وستمائة وبعث برأسه إلى سدة السلطان فعلق بتازى.

ثم نهض السلطان في رمضان لغزو المعقل بصحراء درعة بما أضروا العمران وأفسدوا السابلة.

وسار إليهم في اثني عشر ألفاً من الفرسان، ومر على بلاد هسكورة معترضاً جبل درن، وأدركهم بالقفر نواجع، فأثخن فيهم بالقتل والسبي.

واستكثر من رؤوسهم فعلقت بشرفات مراكش وسجلماسة وفاس.

وعاد من غزوه إلى مراكش آخر شوال، فنكب محمد بن علي بن محلى عاملها القديم الولاية عليها من لدن غلب الموحدين، لما وقع من الارتياب بأولاد محلى بما أتاه كبيره طلحة، فنكب عزة المحرم من سنة سبع وثمانين وستمائة، وهلك في محبسه لشهر صفر بعده.

وهلك على إثر ذلك المزوار قاسم بن عبو.

وعقد السلطان على مراكش وأعمالها لمحمد بن عطو الجاناتي من موالي دولتهم ولاء الحلف، وترك معه ابنه أبا عامر.

ثم ارتحل إلى حضرة فاس، فاحتل بها منتصف ربيع، ووافته بها عروسه ابنة موسى بن رحو بن عبد اللّه بن عبد الحق من غرناطة في وفد من وزراء ابن الأحمر وأهل دولته، فأعرس بها وكان بعث إلى أبيها من قبل في الإصهار بها.

ووافت معها رسل ابن الأحمر يسألونه التجافي عن وادي آش، فأسعفهم بها، كما نذكر إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن دخول وادي آش في طاعة السلطان ثم رجوعها إلى طاعة ابن الأحمر

كان أبو الحسن بن أشقيلولة ظهير السلطان ابن الأحمر على ملكه، ومعينه على شأنه، وكان له في الدولة بذلك مكان.

ولما هلك خلف من الولدان أبا محمد عبد اللّه وأبا إسحاق ابراهيم، فعقد ابن الأحمر لأبي محمد على مالقة ولأبي إسحاق على قمارش ووادي آش.

ولما هلك السلطان ابن الأحمر حدثت مغاضبات ومنافسات بينهما وبينه، وتأدى ذلك إلى الفتنة كما قلناه ودخل أبو محمد في طاعة السلطان أبي يوسف.

ثم هلك فلحق ابنه محمد بالسلطان، ونزل له عن البلد سنة ست وسبعين وستمائة ثم هلك أبو إسحاق سنة اثنتين وثمانين وستمائة وغلب ابن الأحمر على حصن قمارش وصار إليه.

وكان الرئيس أبو إسحاق قد عقد لابنه أبي الحسن على وادي آش وحصونها، واتصلت الفتنة بينه وبين ابن الأحمر، وظاهر أبو الحسن عليه الطاغية وأجلب أخوه أبو محمد على غرناطة هو

وابن الدليل.

وطال أمر الفتنة بينهما وبين ابن الأحمر وأجلب أخوه أبو محمد على غرناطة مع الطاغية.

ثم انعقد السلم بين المسلمين والنصرانية، وخشي أبو الحسن بن أشقيلولة على نفسه عادية ابن الأحمر، فتذمم بطاعة صاحب المغرب، وأقام دعوته بوادي آش سنة ست وثمانين وستمائة فلم يعرض لها ابن الأحمر حتى إذا وقعت المواصلة بينه وبين السلطان أبي يعقوب، وكان شأن هذا الصهر على يده، بعث رسله إلى السلطان يسأله التجافي عن وادي آش، فتجافى له عنها وبعث إلى أبي الحسن بن أشقيلولة بذلك فتركها.

وارتحل إليه سنة سبع وثمانين وستمائة ولقيه بسلا، فأعطاه القصر الكبير وأعمالـه طعمة سوغه إياها، ثم نزل لبنيه آخر دولتهم.

واستمكن ابن الأحمر من وادي آش وحصونها، ولم يبق لـه بالأندلس منازع من قرابته.

والله يؤتي ملكه من يشاء.

## الخبر عن خروج الأمير أبي عامر ونزوعه إلى مراكش ثم فيئته إلى الطاعة

لما احتل السلطان بفاس وأقام بها خرج عليه ابنه أبو عامر، ولحق بمراكش، ودعا لنفسه أخريات شوال من سنة سبع وثمانين وستمائة وساعده على الخلاف والانتزاء عاملها محمد بن عطو.

وخرج السلطان في أثره إلى مراكش، فبرز إلى لقائه، فكانت الدائرة عليهم وحاصرهم السلطان بمراكش أياماً.

ثم خلص أبو عامر إلى بيت المال فاستصفى ما فيه وقتل المشرف ابن أبي البركات، ولحق بحلل المصامدة، ودخل السلطان من غده إلى البلد يوم عرفة، فعفا وسكن ونهض منصور ابن أخيه أبي مالك من السوس إلى حاحة فدوخ أنحاءها.

ثم سرح إليه المدد من مراكش، فأوقعوا بزكنة من برابرة السوس، وقتل منهم ما يناهز أربعين من سرواتهم.

وكان فيمن قتل شيخهم حبون بن إبراهيم.

ثم إن ابنه أبا عامر ضاق ذرعه بسخط أبيه، وإجلابه في الخلاف، فلحق بتلمسان ومعه وزيره ابن عطو فاتح سنة ثمان وثمانين وستمائة فأواهم عثمان بن يغمراسن، ومهد لهم المكان ولبثوا عنده أياماً.

ثم عطف السلطان على ابنه رحم لما عطفت ابنته عليه، فرضي عنه وأعاده إلى مكانه، وطالب عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان أن يسلم إليه ابن عطو الناجم في النفاق مع ابنه، فأبى من إضاعة جواره، وإخفار ذمته، وأغلظ له الرسول في القول فسطا به واعتقله، فثارت من السلطان الحفائظ الكامنة، وتحركت الإحن القديمة، والتراث المتواترة.

واعتزم على غزو تلمسان والله أعلم.

## الخبر عن تجدد الفتنة مع عثمان بن يغمراسن وغزو السلطان مدينة تلمسان ومنازلته إياها

كانت الفتنة بين هذين الحيين قديمة من لدن مجالاتهم بالقفار من صحراء ملوية إلى صا، إلى فيكيك إلى مصاب، ولما انتقلوا إلى التلول وتغلبوا على الضواحي بالمغرب الأقصى والأوسط، لم تزل فتنتهم متصلة وأيام حروبهم فيها مذكورة.

وكانت دولة الموحدين عند اعتلالها والتياثها تستنصر منهم بالتضريب بينهم والفتنة، فتأكدت لذلك أحوالها واتصلت أيامها.

وكان بين يغمراسن بن زيان وأبي يحيى بن عبد الحق فيها وقائع ومشاهد، نقلنا منها بعضاً من كل واستظهر الموحدون بيغمراسن عليه في بعضها.

وكان الغلب أكثر ما يكون لأبي يحيى بن عبد الحق لوفور قبيله إلا أن يغمراسن كان يتصدى لمقاومته في سائر وقائعه.

ولما طمس أثر بني عبد المؤمن واستولى يعقوب ابن عبد الحق على ملكهم، وصارت في جملته عساكرهم، فضاعف عليه، وأسف على ملك يغمراسن ملكه.

وجمع له فأوقع به في تلاغ الواقعة المعروفة، ثم أوقع به ثانية وثالثة.

ولما استولت قدم يعقوب بن عبد الحق في ملكه، واستكمل فتح المغرب وسائر أمصاره، وكبح يغمراسن عن التطاول إلى مقاومته، وأوهن قواه بفل جموعه ومنازلته في داره، ومظاهرة أقتاله من زناتة بني توجين ومغراوة عليه فانصرف بعد ذلك إلى الجهاد، فكان له فيه شغل عما سواه كما نقلناه في أخباره.

ولما ارتاب ابن الأحمر بمكان السلطان يعقوب بن عبد الحق

من الأندلس، وحذره على ملكه، وتظاهر مع الطاغية على منعه من الإجازة إلى عدوتهم، خشوا أن يستقلوا بمدافعته، فراسلوا يغمراسن في الأخذ بحجزته، وأجابهم إليها وجرد عزائمه لها، واتصلت أيديهم في التظاهر عليه.

ثم فسد ما بين ابن الأحمر والطاغية ولم يكن له بد من ولاية يعقوب بن عبد الحق، فتولاه بواسطة ابنه يوسف بن يعقوب كما ذكرناه وأطلعوه على خباء يغمراسن في مظاهرتهم، فأغزاه سنة تسع وسبعين وستمائة وهزمه بخرزوزة.

ونازله بتلمسان وأوطا عدوه من بني توجين ساحته كما ذكرناه.

ثم انصرف إلى شأنه من الجهاد، وهلك يغمراسن بن زيان على تفيئة ذلك سنة إحدى وثمانين وستمائة، وأوصى ابنه عثمان ولي عهده، زعموا أن لا يحدث نفسه بمقاومة بني مرين ومساماتهم في الغلب، وأن لا يبرز إلى لقائهم بالصحراء، وأن يلوذ منهم بالجدران متى سموا إليه.

وألقى إليه، - زعموا - أن بني مرين بعد تغلبهم على مراكش، وإضافة سلطان الموحدين إلى سلطانهم، ازدادت قوتهم وتضاعف غلبهم.

وقال له - زعموا - فيما أوصاه: لا يغرنك أني زحفت بعدها اليهم، وبرزت إلى لقائهم، فإني أنفت أن أرجع عن مقاومتهم بعد اعتيادها، وأترك مبارزتهم وقد عرفها الناس وأنت فلا يضرك العجز عن مبارزتهم والنكول عن لقائهم، فليس لك في ذلك مقام معلوم، ولا عادة سالفة، واجهد جهدك في التغلب على إفريقية وراءك، فإن فعلت كانت المناهضة.

وهذه الوصاة - زعموا - هي التي حملت عثمان وبنيه من بعده على طلب ملك إفريقية، ومنازلة بجاية وحربهم مع الموحدين.

ولما هلك يغمراسن ذهب عثمان ابنه إلى مسالمة بني مرين، فبعث أخاه محمداً إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق، وأجاز البحر إليه بالأندلس.

ووافاه مراكش في إجازته الرابعة سنة أربع وثمانين وستمائة فعقد له ما جاء إليه من السلم والمهادنة، ورجعه إلى أخيه وقومه ممتلياً كرامة وسروراً.

وهلك يعقوب بن عبد الحق أثر ذلك سنة خمس وثمانين وستمائة وقام بالأمر ابنه يوسف بن يعقوب، وانتزى الخوارج عليه بكل جهة، فشمر لهم واستنزلهم وحسم أدواءهم.

ثم خرج ابنه عليه آخراً كما ذكرناه بمسالأة الشيطان محمد بن عطو، ثم فاء إلى طاعة أبيه ورضي عنه، وأعاده إلى مكانه من حضرته.

وطالب عثمان بن يغمراسن كما ذكرناه في ابن عطو المنتزي عليه مع ابنه، فأبى عثمان من إسلامه وتحركت حفيظة السلطان واعتزم على غزوهم، فارتحل من مراكش لصفر من سنة تسع وثمانين وعقد عليها لابنه الأمير أبي عبد الرحمن.

ثم نهض لغزاته من فاس آخر ربيع من سنته في عساكره وجنوده، وحشد القبائل وكافة أهل المغرب، وسار حتى نزل تلمسان فانحجز عثمان وقومه بها، ولاذوا منه بجدرانها.

فسار في نواحيها ينسف الآثار ويخرب العمران ويحطم الزرع، ثم نزل بذراع الصابون من ساحتها.

ثم انتقل منه إلى ثمامه وحاصرها أربعين يوماً، وقطع شجراءها، وأباد غضراءها، ولما امتنعت عليه أفرج عنها وانكفأ راجعاً إلى المغرب، وقضى نسك الفطر بعين الصفا من بلاد بني يزناتن، ونسك الأضحى وقربانه بتازى، وتلبث بها، ومنها كان فصوله للغزو عند انتقاض الطاغية كما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن انتقاض الطاغية وإجازة السلطان لغزوه

لما رجع السلطان من غزو تلمسان وافاه الخبر بأن الطاغية شائجة انتقض ونبذ العهد، وتجاوز التخوم وأغار على الثغور، فأوعز إلى قائد المسالح علي بن يوسف بن يزكاسن بالدخول إلى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الطاغية، فنهض لذلك في ربيع الآخر من سنة تسعين وستمائة وجاس خلالها، وتوغل في أقطارها، وأبلغ في النكاية.

وفصل السلطان من تازى غازياً على أثره في جمادى، واحتل قصر مصمودة، واستنفر أهل المغرب وقبائله.

ونفروا وشرع في إجازتهم البحر.

وبعث الطاغية أساطيله إلى الزقاق حجزاً دون الإجازة، فأوعز السلطان إلى قواد أساطيله بالسواحل وأغزاهم.

والتقت الأساطيل ببحر الزقاق في شعبان فاقتتلوا وانكشف المسلمون ومحصهم الله.

ثم أغزاهم ثانية وخامت أساطيل العدو عن اللقاء،

وصاعدوا عن الزقاق، وملكته أساطيل السلطان فأجاز أخريات رمضان واحتل بطريف.

ثم دخل دار الحرب غازياً، فنازل حصن بجير ثلاثة أشهر، وضيق عليهم.

وبث السرايا في أرض العدو، وردد الغارات على شريش، وإشبيلية ونواحيها إلى أن بلغ في النكاية والإثخان.

وقضى من الجهاد وطراً، وزاحمه فصل الشتاء وانقطاع الميرة عن المعسكر، فأفرج عن الحصن ورجع إلى الجزيرة.

ثم أجاز إلى المغرب فاتح إحدى وتسعين وستمائة فتظاهر ابن الأحمر والطاغية على منعه الإجازة كما نذكره إن شاء الله تعالى والله أعلم.

## الخبر عن انتقاض ابن الأحمر ومظاهرته الطاغية على طريف أعادها الله

لما قفل السلطان من غزاته فاتح إحدى وتسعين وستمائة كما ذكرناه وقد أبلغ في نكاية العدو وأثخن في بلاده، فأهم الطاغية أمره، وثقلت عليه وطأته، والتمس الوليجة من دونه.

وحذر ابن الأحمر غائلته، ورأى أن مغبة حاله الاستيلاء على الأندلس وغلبه على أمره، ففاوض الطاغية وخلصوا نجياً.

وتحدثوا أن استمكانه من الإجازة إليهم إنما هو بقرب مسافة بحر الزقاق، وانتظام ثغور المسلمين حفافيه بتصرف شوانيهم وسفنهم متى أرادوا فضلاً عن الأساطيل وأن أم تلك الثغور طريف، وأنهم إذا استمكنوا منها كانت ربيئة لهم على بحر الزقاق.

وكان أسطولهم من مرقاها بمرصد الأساطيل صاحب المغرب الخائضين لجة ذلك البحر، فاعتزم الطاغية على منازلة طريف.

وزعم له ابن الأحمر بمظاهرته على ذلك، وشرط له المدد والميرة لأقوات العسكر أيام منازلتها، على أن تكون له إن حلصت، وتعاونوا على ذلك وأناخ الطاغية بعساكر النصرانية على طريف.

وألح عليها بالقتال ونصب الآلات وانقطع عنها المدد والميرة.

واحتلت أساطيله ببحر الزقاق، فحالفوا دون الصريخ من السلطان، وإخوانهم المسلمين.

وضرب ابن الأحمر معسكره بمالقة قريباً منه، وسرب إليه المدد من السلاح والرجال والميرة من الأقوات، وبعث عسكراً لمنازلة حصن أصطبونة، وتغلب عليه بعد مدة من الحصار.

واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب أهل طريف الجهد، ونال منهم الحصار، فراسلوا الطاغية في الصلح والنزول عن البلد، فصالحهم واستنزلهم سنة إحدى وتسعين وستمائة ووفى لهم بعهده واستشرف ابن الأحمر إلى تجافي الطاغية عنها لما عهدا عليه، فأعرض عن ذلك واستأثر بها بعد أن كان نزل له عن ستة من الحصون عوضاً منها، ففسد ذات بينهما، ورجع ابن الأحمر إلى تمسكه بالسلطان واستغاثته به لأهل ملته على الطاغية.

وأوفد ابن عمه الرئيس أبا سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف ووزيره أبا سلطان عزيز الداني في وفد من أهل حضرته لتجديد العهد وتأكيد المودة وتقرير المعذرة عن شأن طريف، فوافوه مكانه من منازلة تازوطا كما نذكر بعد.

فأبرموا العقد وأحكموا الصلح وانصرفوا إلى ابن الأحمر سنة اثنتين وتسعين وستمائة بإسعاف غرضه من المواخاة واتصال اليد.

وهلك خلال ذلك قائد المسالح بالأندلس علي بن يزكاسن في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وستمائة وعقد السلطان لابنه ولي عهده، الأمير أبي عامر على ثغور الأندلس التي في طاعته، وعهد له بالنظر في مصالحها.

وأنفذه إلى المجاز بعسكره فوافاه هنالك السلطان ابن الأحمر كما نذكر إن شاء الله تعالى والله أعلم.

## الخبر عن وفادة ابن الأحمر على السلطان والتقائهما بطنجة

لما رجعت الرسل إلى ابن الأحمر، وقد كرمت وفادتهم وقضيت حاجاتهم، وأحكمت في المواخاة مقاصدهم، وقع ذلك من ابن الأحمر أجمل موقع، وطار سروراً من أعواده.

وأجمع الرحلة إلى السلطان لاستحكام العقد والاستبلاغ في العذر عن واقعة طريف وشأنها، واستعدادهم لإغاثة المسلمين ونصرهم من عدوهم، فاعتزم على ذلك وأجاز البحر ذا القعدة سنة اثنتين وتسعين وستمائة واحتل بنيونش من ساحة سبتة.

ثم ارتحل إلى طنجة، وقدم بين يدي نجواه هدية سنية أتحف بها السلطان، كان من أحفلها وأحسنها موقعاً لديه فيما زعموا

المصحف الكبير، أحد مصاحف عثمان بن عفان أحد الأربعة المنبثقة إلى الآفاق، المختص هذا منها بالمغرب، كما نقله السلف.

كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة، فتلقاه الأمير أبو عامر هنالك، وأخوه الأمير أبو عبد الرحمن ابنا السلطان واحتفلا في مبرته.

ثم جاء السلطان على أثرهما من حضرته لتلقيه وبرور مقدمه، ووافاه بطنجة، وأبلغ في تكرمته وبر وفادته ما يكرم به مثله.

وبسط ابن الأحمر العذر عن شأن طريف فتجافى السلطان عن العذل وأعرض عنه وقبل منه وبر واحتفى ووصل وأجزل، ونزل له ابن الأحمر عن الجزيرة ورندة والغربية وعشرين حصناً من ثغور الأندلس كانت من قبل لطاعة صاحب المغرب ونزل عساكره، وعاد ابن الأحمر إلى الأندلس خاتم اثنتين وتسعين وستمائة محبواً محبوراً.

وأجازت عساكر السلطان معه لحصار طريف وعقد على حربها ومنازلتها لوزيره الطائر الذكر عمر بن السعود بن خرباش الجشمي، فنازلها مدة، وامتنعت فأفرج عنها، وصرف السلطان همته إلى غزو تلمسان وحصارها، كما نذكر إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن انتزاء الوزير الوطاس بحصن تازوطا من جهة الريف واستنزال السلطان إياه

كان بنو الوزير هؤلاء رؤساء بني وطاس من قبائل بني مرين، ويرون أن نسبهم دخيل في بني مرين.

وأنهم من أعقاب علي بن يوسف بن تاشفين لحقوا بالبدو ونزلوا على بني وطاس، ورسخت فيهم عروقهم حتى لبسوا جلدتهم.

ولم يزل السرو مترعاً بين أعينهم لذلك، والرياسة شامخة بأنوفهم، وكانوا يرومون الفتك بالأمراء من أولاد عبد الحق، فلم يطيقوه.

ولما احتل السعيد بتازى غازياً إلى تلمسان كما ذكرناه، ولحق ببلدهم الأمير أبو يحيى بن عبد الحق ائتمروا في الفتك به، ونذر بشأنهم فارتحل، ففر إلى غبولة وعين الصفا من بلاد بني يزناسن، وهنالك بلغه خبر مهلك السعيد وكانت بلاد الريف لبني وطاس من لدن دخول بني مرين المغرب واقتسامهم لأعماله فكانت ضواحيها لنزلهم وأمصارها ورعاياها لجبايتهم.

وكان حصن تازوطا بها من أمنع معاقل المغرب وكان الملوك من أولاد عبد الحق يعتنون بشأنه، وينزلون به من أوليائهم من يثقون بغنائه واطلاعه، ليكون آخذاً بناصية هؤلاء الرهط وشجاً في صدورهم عما يسيمون إليه وكان السلطان قد عقد عليه لمنصور ابن أخيه الأمير أبي مالك بعد مهلك ابيه أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق.

وكان عمر بن يحيى ابن الوزير وأخوه عامر رئيسين على بني وطاس لذلك العهد، فاستوهنوا أمر السلطان بعد مهلك أبيه، وحدثوا أنفسهم بالانتزاء بتازوطا والاستبداد بتلك الناحية، فوثب عمر منهم بمنصور ابن أخي السلطان شهر شوال من سنة إحدى وتسعين وستمائة وفتك برجاله وذويه وأزعجه عنه، وغلبه على مال الجباية الذي كان بقصره، فاستصفاه واستأثر به، واستبد وشحن الحصن برجاله وحاشيته ووجوه قومه.

ووصل منصور إلى السلطان وهلك لليال من منجاته أسفاً لما أصابه، وسرح السلطان وزيره الطائر الذكر عمر بن السعود بن خرباش بالعساكر لمنازلته فأناخ عليه، ثم نهض السلطان على أثره ووافاه وضرب معسكره بساحته.

وخالف عامر أخاه عمر إلى السلطان بقومه حذراً من مغبة الأمر، وأشفق عمر لشدة الحصار ويئس من الخلاص، وظن أن قد أحيط به ودس إلى أخيه عامر، فأذن السلطان في مداخلته في النزول على الحصن فأذن له، واحتمل ذخيرته وفر إلى تلمسان.

وبدا لعامر في رأيه عندما خلص إلى الحصن وخلا له من عمر أخيه الجو، وحذر غائلة السلطان وخشي أن يثأر منه بأخيه، فامتنع بالحصن، ثم ندم وسقط في يده.

وفي خلال ذلك كان وصول وفد الأندلس، وأرسوا أساطيلهم بمرقى غساسة، فبعث إليهم عامر أن يشفعوا له عند السلطان لوجاهتهم لديه، فتقبلت شفاعتهم على شريطة إجازته إلى الأندلس، وكره ذلك وقدم بين يديه بعض حاشيته إلى الأسطول مكراً بهم، وخاض الليل إلى تلمسان، فتقبض السلطان على ولده وقتل.

وأسلم أهل الأسطول من كان من حاشيته لديهم، وتجافوا عن إجازتهم على السلطان لما مكر بهم عامر، فاستلحموا مع من كان بالحصن من أتباعهم وقراباتهم وذرياتهم وتملك السلطان حصن تازوطا وأنزل به عماله ومسلحته، وقفل إلى حضرته بفاس

آخر جمادى من سنة اثنتين وتسعين وستمائة والله تعالى أعلم.

## الخبر عن نزوع أبي عامر ابن السلطان إلى بلاد الريف وجبال غمارة

كان الأمير أبو عامر بعد إجازة ابن الأحمر إلى السلطان أبيه ورضاه عنه، وتأكيد مؤاخاته، وإغزاء وزيره عمر بن السعود لمنازلة طريف، واستنزاله أولاد الوزير المتزين بحصن تازوطا رجع من قصر مصمودة إلى بلاد الريف بإيعاز أبيه إليه بذلك لتسكين أحوالها.

وكان أولاد الأمير أبي يحيى بن عبد الحق قد نزعوا إلى تلمسان لسعاية فيهم، وقرت في صدر السلطان، فأقاموا بها أياماً، ثم استعطفوا السلطان واسترضوه، فرضي وأذن لهم في الرجوع الى محلهم من قومهم ودولتهم.

وبلغ الخبر الأمير أبا عامر وهو بمعسكره من الريف، فأجمع على اغتيالهم في طريقهم يظن أنه يرضي بذلك أباه.

واعترضهم بوادي القطف من بلاد ملوية سنة خمس وتسعين وستمائة فاستلحمهم وانتهى الخبر إلى السلطان فقام في ركائبه وقعد، وتبرأ إلى الله من إخفار ذمته، ومن صنيع ابنه، وسخطه وأقصاه، فذهب مغاضباً ولحق ببلاد الريف، ثم صعد إلى جبل غمارة، فلم يزل طريداً بينهم.

ونازلته عساكر أبيه لنظر ميمون بن ودران الجشمي، ثم لنظر زيكن بن المولاة تاميمونت.

وأوقع بهم مراراً آخرها بيرزيكن سنة سبع وتسعين وستماية، وذكر الزليخي مؤرخ دولتهم أن خروجه بجبل غمارة كان سنة أربع وتسعين وستماية وقتله لأولاد الأمير أبي يحيى كان سنة خمس وتسعين وستماية بعدما أغراب بهم من مشوى انتزائه، وقتلهم كما ذكرناه والله أعلم.

ولم يزل هذا دأبه إلى أن هلك ببني سعيد من جبال غمارة سنة ثمان وتسعين وستمائة ونقل شلوه إلى فاس فوري بباب الفتوح بملجد قومهم هنالك.

وأعقب ولدين كفلهما السلطان جدهما، فكانا الخليفتين من بعده على ما نذكر إن شاء الله تعالى والله أعلم.

## الخبر عن ترديد الغزو الى تلمسان ومنازلتهما

كان عثمان بن يغمراسن بعد إفراج السلطان سنة تسع وثمانين وستمائة وانتقاض الطاغية وابن الأحمر عليه كما قلناه، صرف إلى ولايتهما وجه تدبيره وأوفد على الطاغية ابن بريدى من صنائع دولته سنة اثنتين وتسعين وستمائة ورجعه الطاغية مع الريك ريكسن رسول من كبار قومه.

ثم أعاد إليه الحاج المسعود من حاشيته، ووصل يده بيده يظن ذلك دافعاً عنه، واعتدها السلطان عليه وطوى له على النكث.

حتى إذا فرغ من شأن الأندلس وهلك الطاغية شانجة سنة ثلاث وتسعين وستمائة لإحدى عشرة من سني ملكه، وارتحل السلطان إلى طنجة لمشارفة أحوال الأندلس سنة أربع وتسعين وستمائة فأجاز إليه السلطان ابن الأحمر ولقيه بطنجة، وأحكم معه المؤاخاة.

ولما استيقن سكون أحوالها، نزل لابن الأحمر عن جميع الثغور التي بها لطاعته، وأجمع غزو تلمسان، ولحق به بين يدي ذلك ثابت بن منديل المغراوي صريخاً على ابن يغمراسن ومستجيشاً بقومه فتقبله وأجاره.

وكان أصاب الناس أعوام اثنتين وتسعين وستمائة وما بعدها قحط، ونالتهم سنة وهنوا لها.

ثم إن الله رحم خلقه وأدر نعمته، وأعاد الناس إلى ما عهدوه من سبوغ نعمهم وخصب عيشهم.

ووفد عليه سنة أربع وتسعين وستمائة ثابت بن منديل أمير مغراوة مستصرخاً به من عثمان بن يغمراسن، فبعث من كبار قومه موسى بن أبي حمو إلى تلمسان شفيعاً لثابت بن منديل فرده عثمان أقبح رد وأساء في إجابته، فعاود الرسالة إليه في شأنه، فلم تزدهم إلا ضرراً فاعتزم على غزو بلادهم واستعد لذلك، ونهض سنة أربع وتسعين وستمائة حتى انتهى إلى بلاد تاوريرت، وكانت تخماً لعمل بني مرين وبني عبد الواد في جانبها عامل السلطان أبي يعقوب، وفي جانبها الآخر عامل عثمان بن يغمراسن.

فطرد السلطان عامل ابن يغمراسن وتميز بها، واختط الحصن الذي هنالك لهذا العهد تولاه بنفسه يغادي الفعلة ويراوحهم، وأكمل بناءه، في شهر رمضان من سنته.

واتخذه ثغراً لملكه، وأنزل بني عسكر لحياطته وسد فروجه، وعقد عليهم لأخيه أبي يحيى بن يعقوب، وانكفأ راجعاً إلى الحضرة.

ثم خرج من فاس سنة خمس وتسعين وستمائة غازياً إلى تلمسان، ومر بوجدة، فهدم أسوارها وتغلب على مسيفة والزعارة، وانتهى إلى ندرومة، ونازلها أربعين يوماً ورماها بالمجانيق، وضيق عليها فامتنعت عليه فأفرج عنها ثاني الفطر.

ثم غزا تلمسان سنة ست وتسعين وستمائة وبرز لمدافعته عثمان بن يغمراسن، فهزمه وأحجزه بتلمسان، ونزل بساحتها وقتل خلقاً من أهلها، ونازلها أياماً، ثم أقلع عنها وقفل إلى المغرب وقضى منسك الأضحى من سنته بتازى.

فأعرس هنالك بحافدة ثابت بن منديل، كان أصهر فيها إلى جدها قبل مهلكه سنة ست وتسعين وستمائة قتيلاً ببحيرة الزيتون من ظاهر فاس، قتله بعض بني ورتاجن في دم كان لهم في قومه، فثأر السلطان به من قاتله وأعرس بحافدته، وأوعز ببناء القصر بتازى، وقفل إلى فاس فاتح سنة سبع وتسعين وستمائة، ثم ارتحل إلى مكناسة وانكفأ إلى فاس.

ثم نهض في جمادى غازياً تلمسان ومر بوجدة فأوعز ببنائها وتحصين أسوارها، واتخذ فيها قصبة وداراً لسكناه ومسجداً وأغزى إلى تلمسان، ونزل بساحتها، وأحاطت عساكره إحاطة الهالة بها، ونصب عليها القوس البعيدة النزع العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار ازدلف إليه الصناع والمهندسون بعملها، وكانت توقر على أحد عشر بغلاً.

ثم لما امتنعت عليه تلمسان أفرج عنها فاتح سنة ثمان وتسعين وستمائة ومر بوجدة، فأنزل بها الكتائب من بني عسكر لنظر أخيه أبي يحيى بن يعقوب كما كانوا بتاوريرت، وأوعز إليهم فتردد الغارات على أعمال ابن يغمراسن وإفساد سابلتها.

وضاقت أحوالهم ويئسوا من صريخ صاحبهم، فأوفدوا على الأمير أبي يحيى وفداً منهم يسألون الأمان لمن وراءهم من قومهم، على أن يمكنوه من قياد بلدهم، ويدينوا بطاعة السلطان، فبذل لهم من ذلك ما أرضاهم، ودخل البلد بعسكره، واتبعهم أهل تاوونت وأوفد مشيختهم جميعاً على السلطان آخر جمادى، فقدموا عليه بحضرته وأدوا طاعتهم، فقبلها، ورغبوا إليه في الحركة إلى بلادهم ليريحهم من ملكة وعدوهم ابن يغمراسن، ووصفوا من عسفه وجوره وضعفه عن الحماية، ما استنهض السلطان لذلك على ما نذكر إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

## الخبر عن الحصار الكبير لتلمسان وما تخلل ذلك من الأحداث

لما توفرت عزائم السلطان عن النهوض إلى تلمسان، ومطاولة حصارها إلى أن يظفر بها وبقومها، واستيقن أنه لا مدافع له عن ذلك، فنهض من فاس في شهر رجب سنة ثمان وتسعين وستمائة بعد أن استكمل حشده.

ونادى في قومه، واعترض عساكره وأجزل أعطياتهم وأزاح عللهم.

وارتحل في التعبية واحتل بساحة تلمسان ثاني شعبان وأناخ عليها وضرب معسكره بفنائها.

وأحجز عثمان بن يغمراسن وحاميتها من قومه، وأدار الأسوار سياجاً على عمرانها كله، ومن ورائها نطاق الحفير البعيد المهوى.

ورتب المسالح على أبوابها وفرجها، وسرح عساكره إلى هنين فافتتحها وأتوا طاعتهم، وأوفدوا مشيختهم وسط شعبان.

ثم سرح عسكره لمحاصرة وهران وتقرُّي البسائط ومنازلة الأمصار، فأخذت مازونة في جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين وستمائة ونهض في شعبان بعده، فافتتح تاللوت والقصبات وتامزردكت في رمضان منه، وفيه كان فتح مدينة وهران، وسارت عساكره في الجهات إلى أن بلغت بجاية كما نذكره.

وأخذ الرعب بقلوب الأمم بالنواحي، وتغلب على ضواحي مغراوة وتوجين، وسارت فيها عساكره ودوختها كتائبه، واقتحمت أمصارها راياته مثل مليانة ومستغانم وشرشال والبطحاء ووانشريش والمرية وتافركينت، وأطاعه زيري المنتزي ببرشك وأتى بيعته.

وابن علان المنبري بالجزائر وأتى بيعته.

وأزعج الناكبين منهم عن طاعته، واستألف أهل الصاغية كما نذكره.

وحذره الموحدون من ورائهم بإفريقية ملوك بجاية وملوك تونس، فمدوا إليه يد المواصلة ولاطفوه بالمتاحفة والمهاداة، وخاطب صاحب الديار المصرية ملك الترك وهاداه وراجعه كما نذكره، ووفد عليه شرفاء مكة بنو أبي نمي كما نذكر.

وهو في خلال ذلك مستجمع للمطاولة بالحصار والتضييق، متجاف عن القتال إلا في بعض الأيام، ولم تبلغ - زعموا - أربعة

أو خمسة ينزل شديد العقاب والسطوة بمن يميرها ويأخذ بالمرصاد على من يتسلل بالأقوات إليها.

قد جعل سرداق الأسوار المحيطة ملاكاً لأمره في ذلك، فلا يخلص إليهم الطيف ولا يكاد يصل إليهم العيث مدة مقامه عليها، إلى أن هلك بعد مائة شهر كما نذكره.

واختط بمكان فساطيط المعسكر قصراً لسكناه، واتخذ فيه مسجداً لصلاه وأدار عليها السور، وأمر الناس بالبناء فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة، واتخذوا البساتين وأجروا المياه.

ثم أمر بإدارة السور سياجاً على ذلك سنة اثنتين وسبعمائة، وصيرها مصراً، فكانت من أعظم الأمصار والمدن وأحفلها اتساع خطة وكثرة عمران ونفاق أسواق، واحتفال بناء وتشييد منعة.

وأمر باتخاذ الحمامات والخانات والمارستان، وابتنى بها مسجداً جامعاً، وشيد له مأذنة رفيعة، فكان من أحفل مساجد الأمصار وأعظمها، وسماها المنصورة، واستبحرت عمرانها ونفقت أسواقها، ورحل إليها التجار بالبضائع من الآفاق فكانت إحدى مدائن المغرب.

وخربها آل يغمراسن عند مهلكه، وارتحال كتائبه عنها، بعد أن كان بنو عبد الواد أشرفوا على الهلاك، وأذنوا بالانقراض كما نذكره، فتداركهم من لطف الله ما شأنه أن يتدارك المتورطين في المهالك، والله غالب على أمره.

## الخبر عن افتتاح بلاد مغراوة وما تخلل ذلك من الأحداث

لما أناخ السلطان عن تلمسان وتغلب على ضواحي بني عبد الواد، وافتتح أمصارهم، سما إلى التغلب على ممالك مغراوة وبني توجين.

وكان ثابت بن منديل قد وفد على السلطان بمقر ملكه من فاس سنة أربع وتسعين وستمائة وأصهر إليه في حافدته، فعقد له عليها.

وهلك ثابت بمكان وفادته من دولتهم، وأعرس السلطان بحافدته سنة ست وتسعين وستمائة كما ذكرنا ذلك من قبل، فلما تغلب السلطان على مال بني عبد الواد جهز عساكره إلى بلاد مغراوة، وعقد عليها لعلي بن محمد من عظماء بني ورتاجن، فتغلبوا على الضواحي وشردوا مغراوة إلى رؤوس المعاقل.

واعتصم راشد بن محمد بن ثابت بن منديل صهر السلطان بمليانة فنازلوه بها، ثم استنزلوه على الأمان سنة تسع وتسعين وستمائة فأوفدوه على السلطان، فلقاه مبرةً وتكرمةً، وخلطه بجملته لمكان صهره معه.

ثم افتتحوا مدينة تدلس ومازونة وشرشال، وأعطى زبري بن حماد المنتزي على برشك من بلادهم يد الطاعة، وأوفد على السلطان للبيعة، واستولوا على ضواحي شلف كلها، ولاذت مغراوة بطاعة السلطان.

وعقد عليهم وعلى جميع بلادهم لعمر بن ويغرن بن منديل فأسف لذلك راشد بن محمد لما كان يراه لنفسه من الاختصاص.

ولما كانت أخته حظية السلطان وكريمته، ونافس عمر بن ويغرن في إمارة قومه، فلحق بجبال متيجة، وأجلب على من هنالك من عمال السلطان وعساكره وانحاش إليه مرضى القلوب من قومه، فاعصوصبوا عليه.

وداخل أهل مازونة فانتقضوا على السلطان وملكوه أمرهم في ربيع من المائة السابعة.

ثم بيت عمر بن ويغرن بمعسكره من وازمور، فقتله واستباح المعسكر.

وبلغ الخبر إلى السلطان، فسرح العساكر من بني مرين وعقد لعلي بن الحسن بن أبي الطلاق على قومه من بني عسكر، ولعلي بن محمد الخيري على قومه من بني ورتاجن، وجعل الأمر شورى بينهما، وأشرك معهما علياً الحساني من صنائع دولته، وأبا بكر بن إبراهيم بن عبد القوي من أعياص بني توجين، وعقد على مغراوة محمد بن عمر بن منديل، وأشركه معهم، وزحفوا إلى راشد.

ولما أحس بالعساكر لجأ إلى معقل بني بو سعيد فيمن معه من شيعة مغراوة.

وأنزل بمازونة علياً وحمو ابني عمه يحيى بن ثابت، واستوصاهم بضبط البلد، وأنه مشرف عليهم من الجبل.

وجاءت عساكر السلطان إلى بلاد مغراوة فتغلبوا على البسائط وأناخوا بمازونة، وضربوا معسكرهم بساحتها، وأخذوا بمخنقها، واهتبل علي وقومه غرة في معسكر بني مرين فبيتهم سنة إحدى وسبعمائة.

وانفض المعسكر وتقبض على علي بن محمد الخيري، ثم امتنعوا عليه وعاد المعسكر إلى مكانهم من حصارهم، وجهدهم حالهم فنزل إليهم حمو بن يحيى على حكم السلطان، وأنفذوه إليه

فتقبض عليه.

ثم نزل علي ثانيه من غير عهد، فأشخصوه إلى السلطان فلقاه مبرّةً وتكريماً، تأنيساً لراشد المنتزي بمعقله.

واقتحمت مازونة على أهلها عنوة سنة ثلاث وسبعمائة فمات منهم عالم واحتملت رؤوسهم إلى سدة السلطان، فرميت في حفائر البلد المحصور إرهاباً لهم وتحذيلاً، ولما عقد السلطان لأخيه أبي يحيى على بلاد الشرق وسرحه لتدويخ التخوم، نازل راشد بمعقله من بني بو سعيد، فبيت راشد معسكرهم إحدى لياليه، فانفضوا وقتل طائفة من بني مرين.

ووجد السلطان لها فأمر بقتل علي وهو ابني عمه يحيى، ومن كان معتقلاً معهما من قومهما.

ورفعوا كل الجذوع وأثبتوهم بالسهام، ونزل راشد بعدها عن معقله ولحق بمتيجة، وانحاش إليه عمّه منيف بن ثابت، وأوشاب من مغراوة وتميز الآخرون إلى أميرهم محمد بن عمر بن منديل الذي عقد له السلطان عليهم ثم تأشبت على راشد ومنيف خوارج الثعالبة ومليكش، وصمد إليهم الأمير أبو يحيى في عساكره ثانية، ونازلهم بمعاقلهم ورغبوا في السلم، فبذله السلطان لهم، وأجاز منيف بن ثابت إلى الأندلس فيمن إليه من بنيه وعشيره، فاستقروا بها آخر الأيام.

ولحق راشد ببلاد الموحدين ووفد محمد بن منديل سنة خمس وسبعمائة على السلطان، فأوسعه حباً وتكريماً.

وتمهدت بلاد مغراوة واستبد بملكها السلطان، وصرف إليها العمال، ولم يزل كذلك إلى أن هلك سنة ست وسبعمائة والله تعالى أعلم.

## الخبر عن افتتاح بلاد بني توجين وما تخلل ذلك

لما نازل يوسف بن يعقوب تلمسان وأحاط بها، وتغلب على بلاد بني عبد الواد، سما إلى تملك بلاد بني توجين.

وكان عثمان بن يغمراسن قد غلبهم على مواطنهم، وملك جبل وانشريش وتصرف في بلاد عبد القوي بالولاية والعزل وأخذ الأتاوة سنة إحدى وسبعمائة، وأوعز إليه السلطان ببناء البطحاء التي هدمها محمد بن عبد القوي، فبناها وتوغل في قاصية المشرق، ثم انكفأ راجعاً إلى حضرة أخيه وعطف على بلاد بني توجين سنة اثنتين وسبعمائة وفر بنو عبد القوي إلى ضواحيهم بالقفر، ودخل جبل وانشريش وهدم حصونهم به، ورجع إلى الحضرة.

ثم بادره أهل تافركينت سنة ثلاث وسبعمائة بإتيان الطاعة.

ونقضوا بعدها.

ثم بعث أهل المدية بطاعتهم للسلطان، فتقبلها وأوعز ببناء قصبتها.

وراجع بنو عبد القوي بعد ذلك بصائرهم في طاعة السلطان، ووفدوا عليه بمكانه من المنصورة مدينته المحيطة على تلمسان سنة ثلاث وسبعمائة فتقبل طاعتهم ورعى سابقتهم، وأعادهم إلى بلادهم وأقطعهم، وولى عليهم علي بن الناصر بن عبد القوي، وأوعز ببناء قصبة المدية سنة أربع وكملت سنة خمس وسبعمائة وهلك علي بن الناصر خلال ذلك، فعقد عليهم لمحمد بن عطية الأصم كما ذكرناه.

فاستمر على الطاعة، ثم انتقض سنة ست وسبعمائة وحمل قومه على الخلاف، وانتبذوا عن الوطن إلى أن هلك يوسف بن يعقوب كما ذكرناه، والله تعالى أعلم.

## الخبر عن مراسلة الموحدين ملوك إفريقية بتونس وبجاية وأحواله معهم

كان لبني أبي حفص ملوك إفريقية مع زناتة هؤلاء أهل المغرب من بني مرين وبني عبد الواد سوابق مذكورة، فكانت لهم على يغمراسن وبنيه طاعة معروفة يودون بيعتها ويخطبون على منابرهم بدعوتها مذ تغلب الأمير أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد على تلمسان.

وعقد عليها ليغمراسن، واستمر حالهم على ذلك.

وكانت لهم أيضاً مع بني مرين ولاية سابقة بما كان بنو مرين مذ أول أمرهم يخاطبون الأمير أبا زكرياء، ويبعثون له ببيعة البلاد التي تغلبوا عليها: مثل مكناسة والقصر ومراكش آخراً.

ثم صارت خالصة من لدن عهد المستنصر ويعقوب بن عبد الحق.

وكانوا يتحفونهم بالمال والهدايا في سبيل المدد على صاحب مراكش، وقد ذكرنا السفارة التي وقعت بينهما سنة خمس وستين وستمائة وإن يعقوب أوفد عامر بن إدريس وعبد الله بن كندوز ومحمد الكناني، وأوفد عليه المستنصر سنة سبع وستين وستمائة بعدها كبير الموحدين يحيى بن صالح الهنتاتي في وفد من مشيخة

الموحدين، ومعهم هدية سنية.

ثم أوفد الواثق ابنه سنة سبع وسبعين قاضي بجاية المذكور أبا العباس أحمد الغماري، وأسنى الهدية معه.

ولم يزل الشأن بينهم هذا إلى أن افترق أمر آل أبي حفص.

وطار الأمير أبو زكرياء ابن الأمير أبي إسحاق بن يحيى بن عبد الواحد من عشه بتلمسان في وكر عثمان بن يغمراسن، وأسف إلى بجاية فاستولى عليها سنة ثلاث وثمانين وستمائة، واستضاف إليها قسنطينة وبونة، وصيّرها عملاً لملكه، ونصّب بها كرسياً لأمره، وأسف عثمان بن يغمراسن لفراره من بلده لما كان عليه من التمسك بدعوة عمه أبي حفص صاحب تونس، فشق ذلك عليه ونكره، واستمرت الحال على ذلك.

ولما أخذ السلطان يوسف بن يعقوب بمخنق تلمسان وأوسع قواعد ملكه بساحتها، وسرح عساكره لالتهام الأمصار والجهات، وتوجس الموحدون الخيفة منه على أوطانهم.

وكان الأمير أبو زكرياء في جهات تدلس محامياً عن حوزته وعمله.

ووصله هنالك راشد بن محمد نازعاً عن السلطان أبي يعقوب.

ثم طلعت العساكر على تلك الجهات في أتباعه، فزحف إليه عسكر الموحدين سنة تسع وتسعين وستمائة بناحية جبل الزاب، ففضوا جمعه وأوقعوا به واستلحموا جنوده، واستبحر القتل فيهم، وبقيت عظامهم ماثلة بمصارعهم سنين.

ورجع الأمير أبو زكرياء إلى بجاية فانحصر بها وهلك على تفيئة ذلك على رأس المائة السابعة.

وقارن ذلك مغاضبة بينه وبين أمير الدواودة لعهده عثمان بن سباع بن يحيى بن دريد بن مسعود البلط، فوفد على السلطان أخريات إحدى وسبعمائة، ورغبه في ملك بجاية.

واستغذّه للسير إليها، فأوعز إلى أخيه الأمير أبي يحيى بمكانه من منازلة مغراوة ومليكش والثعالبة، بأن ينهض إلى عمل الموحدين.

وسار عثمان بن سباع وقومه بين يدي العساكر يتقصون الطريق إلى أن تجاوز الأمير أبو يحيى بعساكره بجاية، واحتل بتاكرارت من أوطان سدويكش من أعمال بجاية.

وأطل على بلاد سدويكش وانكفأ راجعاً، فأوطأ عساكره بساحة بجاية وبها الأمير خالد بن يحيى، وناشبهم القتال ببعض أيام، جلا فيها أولياء السلطان أبي البقاء عن أنفسهم وسلطانهم، وأمر بروض السلطان المسمى بالبديع فخربه، وكان من أنيق الرياض وأحفلها.

وقفل إلى مكانه من تدويخ البلاد، وأعرض عن أعمال الموحدين.

وكان صاحب تونس لذلك العهد محمد المستنصر الملقب بأبي عصيدة بن يحيى الواثق، فأوفد على السلطان شيخ الموحدين بدولته محمد بن أكمازير في أسباب الولاية، ومحكماً مذاهب الوصلة، ومقرراً سوابق السلف، فوفد في مشيخة من قومه لشعبان سنة ثلاث وسبعمائة.

وناغاه الأمير أبو البقاء خالد صاحب بجاية، وأوفد مشيخة من أهل دولته كذلك وبر السلطان وفادتهم وأحسن منقلبهم.

ثم عاد ابن أكمازير سنة أربع وسبعمائة، ومعه شيخ الموحدين وصاحب السلطان أبو عبد الله بن يرزيكن في وفد من عظماء الموحدين، وأوفد صاحب بجاية حاجبه أبا محمد الرخامي، وشيخ الموحدين بدولته عياد بن سعيد بن عثيمن.

ووفدوا جميعاً على السلطان ثالث جمادى، فأحسن السلطان في تكرمتهم ما شاء، وأوصلهم إلى نفسه بمساكن داره وأراهم أبهة ملكه وأطافهم قصوره ورياضه بعد أن فرشت وغمقت، فملأ قلوبهم جلالاً وعظمةً، ثم بعثهم إلى المغرب ليطوفوا على قصور الملك بفاس ومراكش، وشاهدوا آثار سلفهم، وأوعز إلى عمال المغرب بالاستبلاغ في تكرمتهم وإتحافهم، فانتهوا من ذلك إلى الغاية، وانقلبوا إلى حضرته آخر جمادى، وانصرفوا إلى ملوكهم بالحديث عن شأن رسالتهم وكرامة وفدهم.

ثم أعاد ملوكهم مراسلة السلطان سنة خمس وسبعمائة بعدها، فوفد أبو عبد الله بن أكمازير من تونس وعياد بن سعيد بن عثيمن من بجاية.

وأوفد السلطان على صاحب تونس مع رسوله صاحب الفتيا بحضرته الفقية أبا الحسن التنسي وعلي بن يحيى البرشكي رسولين يسألانه المدد بأسطوله، فقضوا رسالتهم سنة خمس وسبعمائة.

ووصل بخبرها أبو عبد الله المزدوري من مشيخة الموحدين، واقترن بذلك وصول حسون بن محمد بن حسون المكناسي من صنائع السلطان.

كما أوفده مع ابن عثيمن على مراسلة الأمير أبي البقاء خالد صاحب بجاية في طلب الأسطول أيضاً، فرجعوه بالمعاذير.

وأوفدوا معه عبد الحق بن سليمان فتلقاهم السلطان بالمبرة، وأوعز إلى عامله بوهران أن يستبلغ في تكريم عمرة الأسطول، فجرى في ذلك على مذهبه وانقلبوا جميعاً أحسن منقلب.

وغني السلطان عن أسطولهم لفوات وقت الحاجة إليه من منازلة بلاد السواحل إذ كان قد تملكها أيام مماطلتهم ببيعته.

واتصل الخبر بصاحب تلمسان الأمير أبي زيان بن عثمان المبايع أيام الحصار عند مهلك أبيه عثمان بن يغمراسن آخر سنة ثلاث وسبعمائة فبلغه صنع الموحدين في موالاتهم عدوهم السلطان يوسف بن يعقوب ومظاهرته بأساطيلهم عليه، فأسفه ذلك وأخرس منابرهم عما كانت تنطق به من الدعاء من عهد يغمراسن، فلم يراجع دعوتهم من بعد، وهلك السلطان على تفيئة ذلك، والبقاء لله وحده.

## الخبر عن مراسلة المشرق الأقصى ومهاداتهم ووفادة أمراء الترك على السلطان وما تخلل

لما استولى السلطان على المغرب الأوسط بممالكه وأعماله، وهنأته ملوك الأقطار وأعراب الضواحي والقفار، وصلحت السابلة ومشت الرفاق إلى الآفاق، استجد أهل المغرب عزماً في قضاء فرضهم، ورغبوا من السلطان إذنه لركب الحاج في السفن إلى مكة، فقد كان عهدهم بعد بمثلها لفساد السابلة واستهجان الدول.

فسما للسلطان في ذلك أمل ودخله بحرم الله وروضة نبيه الشوق، فأمر بانتساخ مصحف رائق الصنعة، كتبه وتمقه أحمد بن حسن الكاتب المحسن، واستوسع في جرمه وجعل غشاءه من بديع الصنعة، واستكثر فيه من مغالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت، وجعلت منها حصاة وسط المغلق تفوت الحصيات مقداراً وشكلاً وحسناً، واستكثر من الأصونة عليه ووقفه على الحرم الشريف، وبعث به مع الحاج سنة ثلاث وسبعمائة وعني بشأن هذا الركب، فسرح معهم حامية من زناتة تناهز خمس مائة من الأبطال، وقلد القضاء عليهم محمد بن رغبوش من أعلام أهل المغرب، وخاطب صاحب الديار المصرية واستوصاه بحاج المغرب من أهل مملكته، وأتحفه بهدية من طرف بلاد المغرب فاستكثر فيها من الخيل العراب والمطايا الفارهة. يقال: إن المطايا كانت منها أربعمائة حدثني بذلك من لقيته إلى ما يناسب ذلك من طرف المغرب وماعونه، ونهج بها السبيل بها للحجاج من أهل المغرب، فاجمعوا الحج سنة أربع وسبعمائة بعدها وعقد السلطان على دلالتهم لأبي زيد الغفائري، وفصلوا من تلمسان لشهر ربيع الأول.

وفي شهر ربيع الآخر بعده كان مقدم الحاج الأولين حملة المصحف ووفد معهم على السلطان الشريف لبيدة بن أبي ثمي نازعاً عن سلطان الترك لما كان تقبض على أخويه خيصة ورميتة إثر مهلك أبيهم أبي ثمي صاحب مكة سنة إحدى وسبعمائة، فاستبلغ السلطان في تكريمه وسرحه إلى المغرب ليجول في أقطاره، ويطوف على معالم المملكة وقصوره، وأوعز إلى العمال بتكريمه وإتحافه كلٌّ على شاكلته.

ورجع إلى حضرة السلطان سنة خمس وسبعمائة وفصل منها إلى المشرق، وصحبه من أعلام المغرب أبو عبد الله فوزي حاجاً، ولشعبان من سنة خمس وسبعمائة وصل أبو زيد الغفائري دليل ركب الحاج الآخرين، ومعه بيعة الشرفاء أهل مكة للسلطان، لما أسفهم صاحب مصر بالتقبض على إخوانهم، وكان شأنهم ذلك حتى غاضبهم السلطان.

فقد سبق في أخبار المستنصر بن أبي حفص مثلها، وأهدى إلى السلطان ثوباً من كسوة البيت شغف به، واتخذ منه ثوباً للباسه في الجمع والأعياد يستبطنه بين ثيابه تبركاً به، ولما وصلت هدية السلطان إلى صاحب مصر لعهده الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي حسن موقعها لديه، وذهب إلى المكافأة، فجمع من طرف بلاده من الثياب والحيوان ما يستغرب جنسه وشكله، من نوع الفيل والزرافة، وأوفد بها من عظماء دولته الأمير التليلي وفصّل من القاهرة أخريات سنة خمس وسبعمائة ووصلت إلى تونس في ربيع من سنة ست وسبعمائة بعدها.

ثم كان وصولها إلى سدة السلطان بالمنصورة من البلد الجديد في جمادى الآخرة، واهتز السلطان لقدومها واستركب الناس للقائها، واحتفل للقاء هذا الأمير التليلي ومن معه من أمراء الترك، وبر وفادتهم، واستبلغ في تكريمهم نزلاً وقرى، وبعثهم إلى المغرب على العادة في مبرة أمثالهم، وهلك السلطان خلال ذلك وتقبل أبو ثابت سنتة من بعده في تكريمهم، فأحسن منقلبهم وملأ حقائبهم صلة وبراً، وفصلوا من المغرب لذي الحجة سنة سبع وسبعمائة ولما انتهوا إلى بلاد بني حسن في ربيع من سنة ثمان وسبعمائة اعترضهم الأعراب بالقفر فانهبوهم وخلصوا إلى مصر بجريعة الذقن، فلم يعاودوا بعدها إلى المغرب سفراً ولا لفتوا إليه وجهاً.

وطال ما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يؤبه به، يهادونهم ويكافئون ولا يزيدون في ذلك كله على الخطاب شيئاً، وكان الناس لعهدهم ذلك يتهمون أن الذين نهبوهم أعراب حصين بدسيسة من صاحب تلمسان أبي حمو لعهدهم، منافسة لصاحب المغرب لما بينهم من العداوات والإحن القديمة.

أخبرني شيخنا محمد بن إبراهيم الآبلي قال: حضرت بين يدي السلطان وقد وصله بعض الحاج من أهل بلده مستصحباً كتاب الملك الناصر بالعتاب على شأن هؤلاء الأمراء، وما أصابهم في طريقهم من بلاده، وأهدى له مع ذلك كوزين بدهن البلسان المختص ببلدهم، وخمسة مماليك من الترك رماة بخمسة أقواس من قسي الغز المؤنقة الصنعة من العرى والعقب، فاستقل السلطان هديته تلك بنسبة ما أهدوا إلى ملك المغرب، ثم استدعى القاضي محمد بن هدية، وكان يكتب عنه فقال له: الآن اكتب إلى الملك الناصر ما أقول لك، ولا تحرف كلمة عن موضعها إلا ما تقتضيه صناعة الأعراب، وقل له: أما عتابك على شأن الرسل وما أصابهم في طريقهم فقد حضروا عندي وأبنت لهم الاستعجال حذراً مما أصابهم، وأريتهم مخاوف بلادنا وما فيها من غوائل الأعراب، فكان جوابهم: إنا جئنا من عند ملك المغرب فكيف نخاف! مغترين بشأنهم يحسبون أن أمره نافذ في أعراب قبائلنا.

وأما الهدية فردت عليك، أما دهن البلسان فنحن قوم بادية لا نعرف إلا الزيت وحسبنا به دهناً.

وأما المماليك الرماة قد افتتحنا بهم إشبيلية وصرفناهم إليك لتفتح بهم بغداد والسلام.

قال لي شيخنا: وكان الناس إذ ذاك لا يشكون أن انتهابهم كان بإذن منه، وكان هذا الكتاب دليلاً على ما في نفسه.

وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون.

## الخبر عن انتقاض ابن الأحمر واستيلاء الرئيس أبي سعيد على سبتة وخروج عثمان بن أبي العلاء في غمارة

لما أحكم السلطان عقد المهادنة والولاية مع السلطان ابن الأحمر المعروف بالفقيه، عند إجازته إليه بطنجة سنة اثنتين وتسعين وستمائة كما ذكرناه، وفرغ لعدوه تمسك ابن الأحمر بولايته تلك إلى أن هلك سنة إحدى وسبعمائة في شهر شعبان منه.

وقام بأمر الأندلس من بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع.

واستبد عليه كاتبه أبو عبد الله بن الحكيم من مشيخة رندة، كان اصطفاه لكتابته أيام أبيه، فاضطلع بأموره وغلب عليه.

وكان هذا السلطان المخلوع ضرير البصر ويقال: إنه ابن الحكيم، فغلب عليه واستبد إلى أن قتلهما أخوه أبو الجيوش نصر سنة ثمان وسبعمائة كما نذكره، وكان من أول آرائه عند استيلائه على الأمر من بعد أبيه المبادرة إلى إحكام ولاية السلطان، واتصال يده بيده، فأوفد إليه لحين ولايته وزير أبيه السلطان عزيز الداني، ووزيره الكاتب أبا عبد الله بن الحكيم، فوفدوا على السلطان بمعسكره من حصار تلمسان وتلقيا بالقبول والمبرة، وجددت له أحكام الود والولاية، وانقلبا إلى مرسلهما خير منقلب.

وتقدم السلطان إليهم في المدد برجل الأندلس وناشبتهم المعودين منازلة الحصون والمناغرة بالرباط، فتبادروا إلى إسعافه، وبعثوا حصتهم لحين مرجعهم إلى سلطانهم، فوصلت سنة اثنتين وسبعمائة، وكانت لهم نكاية في العدو وأثر في البلد المحروب.

ثم بدا لمحمد بن الأحمر المخلوع في ولاية السلطان بمنافسات جرت إلى ذلك.

وبعث إلى ابن أدفونش هراندة بن شانجه، وأحكم له عقد السلم ولاطفة في الولاية، فانعقد ذلك بينهما سنة ثلاث وسبعمائة واتصل خبره بالسلطان فسخطه ورجع إليهم حصتهم آخر سنة ثلاث وسبعمائة، لسنة من مقدمهم بعد أن أبلوا وأثخنوا، وطوى لهم على النكث واعتمل ابن الأحمر وشيعته في الاستعداد لمدافعة السلطان والإرصاد لسطوه بهم.

وأوعز إلى صاحب مالقة عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن محمد بن نصر، وليه من دون القرابة بما كان له الصهر على أخته، والمضطلع بثغر الغربية، فأوعز إليه بمداخلة أهل سبتة في خلع طاعة السلطان والقبض على بني العزفي، والرجوع إلى ولاية ابن الأحمر.

وكان أهل سبتة منذ هلك إبراهيم الفقية أبو القاسم العزفي سنة سبع وسبعين وستمائة قام بأمرهم ولده أبو حاتم، وكان أخوه أبو طالب رديفاً له في الأمر إلا أنه استبد عليه بصاغيته إلى الرياسة، وإيثار أبي حاتم للخمول مع إيجابه حق أخيه الأكبر، وإجابته الداعي متى روفع إليه فاستقام أمرهما مدة.

وكان من سياستهما من أول أمرهما، الأخذ بدعوة السلطان فيما لنظرهما، والعمل بطاعته والتجافي عن السكنى بقصور الملك والتخرج عن أبهة السلطان لمكانهم، فأنزلوا بالقصبة

عبد اللّه بن مخلص قائداً من البيوتات اصطنعوه وجعلوا له أحكام البلد، وضبط الحامية له فاضطلع بذلك سنين.

ثم أسفه يحيى بن أبي طالب ببعض النزعات الرياسية وحجر عليه الأحكام في ذويه، ثم أغزى به أباه وطالبه بحساب الخراج لعطاء الحامية وغفلوا عما وراءها من التظنن فيه والريبة به ثقة بمكانه واستنامة إليه.

وهم مع ذلك على أولهم في موالاة السلطان والأخذ بدعوته والوفود عليه في أوقاته.

ولما فسدت ولاية ابن الأحمر للسلطان وعقد على محاولة سبتة وجد السبيل إلى ذلك بما طوى صاحب الأحكام بالقصبة على النكث، فداخله الرئيس أبو سعيد صاحب الثغر بمالقة جارة سبتة، ووعده الغدر ببني العزفي وأن يصحبهم بأساطيله، فشرع الرئيس أبو سعيد في إنشاء الأساطيل البحرية، واستنفار الناس للمناغرة، وإن العدو له ولمالقة بمرصد، وشحنها بالفرسان والرجل والناشبة والأقوات، وأخفى وجه قصده عن الناس، حتى إذا أقلعت أساطيله وبيت سبتة لسبع وعشرين من شوال سنة خمس وسبعمائة وأرسى بساحتها لموعد صاحب القصبة، فأدخله إلى حصنه فملكه، ونشر رايته بأسوارها، وسرب جيوشه إلى البلد فتسايلوا وركب إلى دور بني العزفي فتقبض عليهم، وعلى ولدهم وحاشيتهم.

وطير الخبر إلى السلطان بغرناطة، فوصل الوزير أبو عبد اللّه بن الحكيم، ونادى في الناس بالأمان، وبسط المعدلة، وأركب بني العزفي في السفن إلى مالقة.

ثم أجازوا إلى غرناطة وقدموا على ابن الأحمر، فأجل قدومهم وأركب الناس إلى لقائهم، وجلس له جلوساً فخماً حتى أدوا بيعتهم وقضوا وفادتهم، وأنزلوا بالقصور وأجريت عليهم سنيات الأرزاق، واستقروا بالأندلس إلى أن صاروا إلى المغرب بعد كما نذكر.

واستبد الرئيس أبو سعيد بأمر سبته وثقف أطرافها وسد ثغورها، وأقام دعوة ابن عمه صاحب الأندلس بأنحائها.

وكان عثمان بن أبي العلاء بن عبد الحق من أعياص الملك المريني أجاز معه البحر إليها أميراً على الغزاة الذين كانوا بمالقة، وقائداً لعصبتهم تحت لوائه فموه بنصبه للملك بالمغرب.

وخاطب قبائل غمارة بذلك، فوقفوا بين الإقدام والإحجام واتصل ذلك كله بالسلطان وهو بمعسكره من حصار تلمسان، فاستشاط لها غضباً وحمي أنفه بعزه، واستنفره الصريخ، فبعث ابنه الأمير أبا سالم لسد تلك الفرجة، وجمع إليه العساكر وتقدم إليه بإحشاد قبائل الريف وبلاد تازى، فأغذ السير إليها وأحاطت عساكره بها، فحاصرها مدة.

ثم بيته عثمان بن أبي العلاء فاختل معسكره، وأفرج عنها منهزماً، فسخطه السلطان وزوى عنه وجه رضاه، وسار عثمان بن أبي العلاء في نواحي سبتة، وبلاد غمارة، وتغلب على تيكيساس، وانتهى إلى قصر ابن عبد الكريم في آخر سنة ست وسبعمائة لسنة من استيلائهم على سبتة، مقيماً رسم السلطان منادياً بالدعاء لنفسه، فاعتزم السلطان على النهوض عند الفراغ إليه من أمر تلمسان، لما كانت على شفا هلكة ومعاينة انفضاض، لولا عائق الأقدار بمهلكه، كما نذكر إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن انتقاض بني كمي من بني عبد الواد وخروجهم بأرض السوس

كان هؤلاء الرهط من بنى عبد الواد ثم من بطون بني عليّ من شعب أبي القاسم، وكانوا يرجعون في رياستهم إلى كندوزبن بن كمي. ولما استقل برياسة أولاد علي زيان بن ثابت بن محمد من أولاد طاع اللّه، نفس عليه كندوز هذا ما أتاه اللّه من الرياسة، وجاذبه حبلها، واحتقر زيان شأنه فلم يحفل به، ثم ناشب عليه أخلاط من قومهم وواضعهم الحرب.

وهلك زيان بيد كندوز، وقام بأمر أولاد علي جابر بن يوسف بن محمد.

ثم تناقلت الرياسة فيهم إلى أن عادت في ولد ثابت بن محمد، واستقل بها أبو عزة زكدان بن زيان ولم تطل أيامه.

والتحم بين أولاد كمي وبين أولاد طاع اللّه، وتناسوا الإحن، وصارت رياسة أولاد طاع اللّه ليغمراسن بن زيان، واستتبعوا قبائل عبد الواد كافة، واعتمل يغمراسن في الثأر بأبيه زيان من قاتله كندوز، فاغتاله ببيته، دعاه لمأدبة جمع لها بني أبيه، حتى إذا اطمأن المجلس تعاوروه بأسيافهم واحتزوا رأسه، وبعثوا به إلى أمهم، فنصبت عليه القدر ثالث أثافيها تشفياً منه وحفيظة.

وطالب يغمراسن بقية بني كندوز ففروا أمام مطالبته، وأبعدوا المذهب ولحقوا بالأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص، فأقاموا بسدته أحوالاً، وكانوا يرجعون في رياستهم لعبد اللّه بن كندوز، ثم تذكروا عهد البداوة وحنّوا إلى عشير زناتة، فراجعوا المغرب ولحقوا ببني مرين أقتالهم.

ونزل عبد اللّه بن كندوز على يعقوب بن عبد الحق خير نزل، لقاه من البر والترحيب بما ملأ صدره وأكد اغتباطه وأقطعه بناحية مراكش الكفاية له ولقومه، وأنزلهم هنالك.

وجعل انتجاع إبله وراحلته لحسان بن أبي سعيد الصبيحي وأخيه موسى من ذويهم وحاشيتهم، وألطف منزلة عبد اللّه ورفع مكانه بمجلسه، واكتفى به في كثير من أموره وأوفده على المستنصر صاحب إفريقية سنة خمس وستين وستمائة مع عامر ابن أخيه إدريس كما قدمناه.

واستقر بنو كندوز هؤلاء بالمغرب الأقصى، واستمرت الأيام على ذلك وصاروا من جملة قبائل بني مرين وفي عدادهم.

وهلك عبد اللّه بن كندوز وصارت رياستهم لعمر ابنه من بعده.

ولما لفت السلطان يوسف بن يعقوب عزائمه إلى بني عبد الواد ونازل تلمسان، وطاول حصارها، واستطال بنو مرين وذووهم على بني عبد الواد، وأحسوا بها أخذتهم العزة بالإثم، وأدركتهم النغرة، فأجمع بنو كندوز هؤلاء الخلاف والخروج على السلطان ولحقوا بحاجة سنة ثلاث وسبعمائة.

واحتفل الأمير بمراكش يعيش بن يعقوب لغزوهم سنة أربع وسبعمائة، فناجزوه الحرب بتادرت، واستمروا على خلافهم.

ثم قاتلهم يعيش وعساكره ثانية بتامطريت سنة أربع وسبعمائة فهزمهم الهزيمة الكبرى التي قصّت جناحهم وأوهنت بأسهم.

وقتل جماعة من بني عبد الواد بأرعارن وبامكا، وأثخن يعيش بن يعقوب في بلاد السوس، وهدم تارودانت قاعدة أرضها وأم قراها، كان بها عبد الرحمن بن الحسن بن يدّر من بقية الأمراء على السوس من قبل بني عبد المؤمن، وقد مر ذكرهم.

وكانت بينه وبين عرب المعقل من الشبانات وبني حسان منذ انقرضت دولة الموحدين حروب سجال هلك في بعضها عمه علي بن يدّر سنة ثمان وستين وستمائة وصارت أمارته بعد حين إلى عبد الرحمن هذا، ولم يزالوا في حربه إلى أن تملك السوس يعيش بن يعقوب، وهدم تارودانت.

ثم راجع عبد الرحمن أمره وبنى بلده تارودانت هذه سنة ست بعدها.

وتزعم بنو يدّر هؤلاء أنهم مستقرون بذلك القطر من لدن عهد الطوالع من العرب، وأنهم لم يزالوا أمراء بها يعقد لهم ولاية كابر عن كابر، ولقد أدركت بفاس على عهد السلطان أبي عنان وأخيه أبي سالم من بعده شيخاً كبيراً من ولد عبد الرحمن هذا، فحدثني بمثل ذلك، وأنهم ولد أبي بكر الصديق، واللّه أعلم. ولم يزل بنو كندوز مشردين بصحراء السوس إلى أن هلك السلطان، وراجعوا طاعة الملوك من بني مرين من بعده وعفوا لهم عما سلف من هذه الجريرة، وأعادوهم إلى مكانهم من الولاية، فأمحضوا النصيحة والمخالصة إلى هذا العهد كما نذكر إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن مهلك المشيخة المصامدة بتلبيس أبي المليانى

قد ذكرنا شأن أبي علي المليانى وأوليته في أخبار مغراوة الثانية، وما كان من ثورته بمليانة وانتزائه عليها.

ثم إزعاج العساكر إياه منها ولحاقه بيعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين، وما أحله من مراتب التكرمة والمبرة.

وأقطعه بلد أغمات طعمة، فاستقر بها، وما كان منه في العيث بأشلاء الموحدين ونبش أجداثهم، وموجدة السلطان والناس عليه لذلك.

وأرصد له المصامدة الغوائل لما كان منه في ذلك، ولما هلك يعقوب بن عبد الحق استعمله يوسف بن يعقوب على جبايه المصامدة، فلم يضطلع بها وسعى به مشيختهم عند السلطان أنه احتجن المال لنفسه، وحاسبوه فصدقوا السعاية، فاعتقله السلطان فأقصاه، وهلك سنة ست وثمانين وستمائة واصطنع السلطان أحمد ابن أخيه واستعمله في كتابته، وأقام على ذلك ببابه وفي جملته.

وكان السلطان سخطه على مشيخة المصامدة علي بن محمد كبير هنتاتة، وعبد الكريم بن عيسى كبير كدميوة، وأوعز إلى ابنه علي الأمير بمراكش باعتقالهما، فاعتقله فيمن لهما من الولد والحاشية، وأحس بذلك أحمد بن المليانى فاستعجل الثأر.

وكانت العلامة السلطانية على الكتاب في الدولة لم تختص بكاتب واحد، بل كل منهم يضع العلامة بخطه على كتابه إذا أكمله، لما كانوا كلهم ثقة أمناء، وكانوا عند السلطان كأسنان المشط.

فكتب أحمد بن المليانى إلى ابن السلطان الأمير بمراكش سنة سبع وتسعين وستمائة كتاباً عن أمر أبيه، يأمره فيه بقتل مشيخة المصامدة ولا يمهلهم طرفة عين، ووضع عليه العلامة التي تنفذ بها الأوامر، وختم الكتاب، وبعث به مع البريد ونجا بنفسه إلى البلد

الجديد، وعجب الناس من شأنه.

ولما وصل الكتاب إلى ابن السلطان أخرج أولئك الرهط المعتقلين من المصامدة إلى مصارعهم، وقتل علي بن محمد، وعبد الكريم بن عيشي وولد عيسى، وعلي ومنصور وابن أخيه عبد العزيز.

وطير الأمير وزيره إلى أبيه بالخبر فقتله لحينه حنقاً عليه، وأنفذ البريد باعتقال ابنه، وحرَّد على ابن المليانى فافتقد ولحق بتلمسان ونزل على آل زيان، ثم لحق من بعدها بالأندلس عند إفراج السلطان عنها في تلك السنة كما ذكرناه، وبها هلك.

واقتصر السلطان من يومئذ في صنع علامته على من يختاره لها من صنائعه، ويثق بأمانته.

وجعلها لذلك العهد لعبد اللّه بن أبي مدين خالصته المضطلع بأمور مملكته، فاختصت من بعده لهذا العهد، واللّه تعالى أعلم.

## الخبر عن رياسة اليهود بني رقاصة ومقتلهم

كان السلطان يوسف بن يعقوب في صباه مؤثراً للذاته مستتراً بها عن أبيه يعقوب بن عبد الحق لمكانه من الدين والوقار، وكان يشرب الخمر ويعاقر بها الندمان.

وكان خليفة بن رقاصة من اليهود المعاهدين بفاس قهرماناً لداره على عادة الأمراء في مثله من المعاهدين، فكان يزدلف إليه بوجوه الخدم ومذاهبها، فاستعمله هذا الأمير في اعتصارها والقيام على شؤونها، فكانت له بذلك خلوة منه أوجبت له الحظ عنده، حتى إذا هلك يعقوب بن عبد الحق واستقل ابنه يوسف بأعباء ملكه، واتصلت خلواته في معاقرة الندمان، انفرد ابن وقاصة بخلوته لذلك مع ما كان من القهرمة، فعظمت رياسته وعلا كعبه في الدولة، وتلقى الخاصة الأوامر منه، فصارت له الوجاهة بينهم وعظم قدره بعظم الدولة.

أخبرنا شيخنا الآبلي أنه كان لخليفة هذا أخ يسمى إبراهيم، وابن عم يسمى خليفة، لقبوه بالصغير لمكانه هو من هذا الاسم.

وكان له صهر يعرفون ببني السبتي، كبيرهم موسى، وكان رديفه في قهرمته، فلم يفق السلطان من نشوة صباه وملهاه حتى وجدهم على حال استتبعوا فيها العلية من القبيل والوزراء والشرفاء والعلماء فأهمه ذلك وترصد بهم وتفطن لمذهبه فيهم خالصته عبد اللّه بن أبي مدين فسعى عنده فيهم، وأوجده السبيل عليهم، فسطا بهم سطوة واحدة واعتقلوا في شعبان من سنة إحدى وسبعمائة بمعسكره من حصار تلمسان.

وقتل خليفة الكبير وأخوه إبراهيم وموسى بن السبتي وإخوته بعد أن امتحنوا ومثّل بهم، وأتت النكبة على حاشيتهم وذويهم وأقاربهم، فلم يبق منهم باقية، واستبقى منهم خليفة الصغير احتقاراً لشأنه، حتى كان من قتله بعد ما نذكر، وعبث بسائرهم، وطهرت الدولة من رجسهم، وأزيلت عنها معرة رياستهم، والأمور بيد اللّه سبحانه.

## الخبر عن مهلك السلطان أبي يعقوب

كان في جملة السلطان وحاشيته مولى من العبيدي الخصيان من موالي ابن المليانى يسمى سعادة، صار إلى السلطان من لدن استعماله إياه بمراكش، وكان على ثبج من الجهل والغباوة.

وكان السلطان يخلط الخصيان بأهله ويكشف لهم الحجاب عن ذوات محارمه، ولما كانت واقعة العز مولاه، واتهم بمداخلة بعض الحرم، وقتل بالظنة، واستراب السلطان بكثير من حاشيته الملابسين لداره، اعتقل جملة من الخصيان كان فيهم عنبر الكبير عريفهم، وحجب سائرهم فارتاعوا لذلك وسولت لهذا الخصي الخبيث نفسه الشيطانية الفتك بالسلطان، فعمد إليه وهو ببعض الحجر من قصره، وآذن فأذن له فألفاه مستلقياً على فراشه مختضباً بالحناء، فوثب عليه فطعنه طعنات قطع بها أمعاءه وخرج هارباً، وانطلق الأولياء في أثره، فأدرك من العشي بناحية تاسالة فتقبض عليه، وسيق إلى القصر فقتله العبيد والحاشية، وصابر السلطان مثبته إلى آخر النهار، ثم قضى رحمه اللّه يوم الأربعاء سابع ذي القعدة من سنة ست وسبعمائة وقبر هنالك، ثم نقل بعد ما سكنت الهيعة إلى مقبرتهم بشالة، فدفن بها مع سلفه والبقاء لله وحده.

## الخبر عن ولاية السلطان أبي ثابت واستلحامه المرشحين وما تخلل ذلك من الأحداث

كان الأمير أبو عامر ابن السلطان أبي يعقوب وولي عهده لما هلك طريداً ببلاد بني سعيد من غمارة والريف سنة ثمان وتسعين وستمائة كما ذكرناه، خلف ولديه عامراً وسليمان في كفالة السلطان جدهما، فكان لهما بعينه حلاوة وفي قلبه لوطة،

لكان حبه لأبيهما واغترابه عنه، فحدب عليهما وأنزلهما من نفسه بمكان.

وكان الأمير أبو ثابت عامر منهما صقر قومه، إقداماً وشجاعة وجرأة، وكانت له في بني ورتاجن خؤولة، فلحين مهلك السلطان عرضوا له ودعوه للبيعة فبايعوه، وحصر لها الأمير أبو يحيى بن يعقوب عم أبيه، عشر بمجمعهم اتفاقاً، وحملوه على الطاعة، وكان أقرب للأمر منه لو حضره رجال، فأعطى القياد في المساعدة، وطوى على النكث.

وبادر الحاشية والوزراء بالبلد الجديد عند مهلك السلطان، فبايعوا ابنه الأمير أبا سالم.

وكاد أمر بني مرين أن يفترق وكلمتهم أن تفسد، فبعث الأمير أبو ثابت لحينه إلى تلمسان للأمير أبي زيان وأبي حمو ابني عثمان بن يغمراسن، وعقد لهما حلفاً على الإفراج عنهما، على أن يمداه بالآلة ويرفعا له كسر البيت إن كان غير ما أمل.

وحضر للعقد أبو حمو فأحكمه ومال أكثر بني مرين وأهل الحل والعقد إلى الأمير أبي ثابت.

وتفرد ببيعة أبي سالم البطانة والوزراء والحاشية والأجناد ومن إليهم، وكان مسكنه بالبلد الجديد، وأشاروا عليه بالمناجزة فخرج وقد عبأ كتائبه، فوقف وبهت وخام عن اللقاء ووعدهم الإقدام بالغداة، وكر راجعاً إلى قصره، فيئسوا منه، وتسللوا لواذاً إلى الأمير أبي ثابت، وهو بمرقب من الجبل يطل عليهم حتى إذا انحجز أبو سالم بالبلد، انحاش إليه الجملة دفعة واحدة.

فلما استوفت العساكر والقبائل لديه، زحف إلى البلد الجديد مثوى السلطان وسياج قصوره ومختط عزمه، وانتهى إلى ساحتها معتماً.

وخرج إليه الوزير يحلف بن عمران الفودودي، فأرجل عن فرسه بأمر أبي يحيى، وقتل بين يديه قعصاً بالرماح، وكان قريب عهد بالوزارة، استوزره السلطان قبل مهلكه في شعبان من سنة ست وسبعمائة.

وفر أبو سالم إلى جهة المغرب وصحبه من عشيره من أولاد رحُّو بن عبد الله بن عبد الحق العباسي وعيسى وعلي ابنا رحو وابن أخيهم جمال الدين بن موسى.

وأتبعهم الأمير أبو ثابت شرذمة من عسكره أدركوهم بندرومة، فتقبضوا عليهم ونفذوا أمر السلطان بقتل أبي سالم وجمال الدين، واستبقى الآخرين، وأمر بإحراق باب البلد ليفتحها العسكر، فأطل عليه قهرمان دارهم عبد الله بن أبي مدين الكاتب، وأخبره بفرار أبي سالم، وباتفاق الناس على طاعته.

ورغب إليه في المسالمة ليلتهم حتى يفجر الصباح خشية على دارهم من معرة العساكر وهجومها ففعل.

وأمره الأمير أبو يحيى باعتقال أبي الحجاج بن أشقيلولة، فاعتقله لقديم من العداوة كانت بينهما، ثم أمر بقتله، وإنفاذ رأسه فقتل.

وأمر السلطان ليلتئذ بإضرام النيران حتى إذا أضاء الظلام بات راكباً، ودخل القصر لصبحه فوارى جسد السلطان بعد أن صلى عليه.

وغص بمكان الأمير أبي يحيى لما تعدد فيه الترشيح وفاوض في شأنه كبير القرابة يومئذ عبد الحق بن عثمان ابن الأمير أبي يفرن، محمد بن عبد الحق ومن حضره من الوزراء: مثل إبراهيم بن عبد الجليل الونكاسي وإبراهيم بن عيسى اليرنياني وغيرهما من الخاصة، فأشاروا بقتله، ونميت عنه كلمات في معنى التربص بالسلطان ودولته، وابتغاء العصابة لأمره.

وركب الأمير أبو يحيى إلى القصر ثالث البيعة، فأخذ السلطان بيده ودخل معه إلى الحرم، لعزائهن عن أخيه السلطان.

ثم خرج على الخاصة وتخلف عنه السلطان وقد دس إلى عبد الحق بن عثمان أن يتقبض عليه ففعل.

ثم برز السلطان إليهم وهو موثق فأمر بالإجهاز عليه، ولم يمهله، وألحق به يومئذ وزيره عيسى بن موسى الفودودي، وفشا الخبر بمهلك هؤلاء الرهط، فرغب منه القرابة، ففر يعيش بن يعقوب أخو السلطان وابنه عثمان المعروف بأمه قضيب ومسعود بن أبي مالك، والعباس بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ولحقوا جميعاً بعثمان بن أبي العلاء بمكانه من غمارة، وخلا الجو من المرشحين، واستبد السلطان بملك قومه، وأمن غوائل المنازعين.

ولما تم له الأمر واستوسق الملك، وفى لبني عثمان بن يغمراسن بالإفراج عنهم، ونزل لهم عن جميع البلاد التي صارت إلى طاعته من بلاد المغرب الأوسط من أعمالهم، وأعمال بني توجين ومغراوة، ودعاه إلى بدار المغرب، ما كان من اختلال عثمان بن أبي العلاء بن عبد الله بن عبد الحق بسبتة، ودعائه لنفسه بين يدي مهلك السلطان، وخروجه إلى بلاد غمارة، واستيلائه على قصر كتامة، واعتزم على الرحلة إلى المغرب وفوض الأمر في الرحلة بأهل المدينة الجديدة للوزير إبراهيم بن عبد الجليل لما كانت حينئذٍ عامرة بالساكن مستبحرة في الاعتمار، ممتلئة من الخزائن والآلة، فأحسن السياسة في أمرهم وضرب لهم

الآجال والمواعيد أن استوفوا بالرحلة، وتركوها قواء، خربها بنو عثمان بن يغمراسن عند رحلة بني مرين إلى المغرب، وتحينوا لذلك فترات الفتن، وطمسوا معالمها طمساً ونسفوها نسفاً.

وقدم السلطان بين يديه من القرابة الحسن بن عامر بن عبد اللّه أنعجوب في العساكر والجنود، وعقد له على حرب ابن أبي العلاء.

وتلوم بالبلد الجديد لموافاة المسالح التي كانت بثغور الشرق، لما نزل عنها جميعاً لبني عثمان بن يغمراسن وارتحل غرة ذي القعدة، ودخل فاس فاتح سبع وسبعمائة واللّه أعلم.

## الخبر عن انتزاء يوسف بن أبي عياد بمراكش وتغلب السلطان عليه

لما فصل السلطان أبو ثابت من معسكرهم بتلمسان إلى المغرب، قدم بين يديه من قرابته الحسن بن عامر بن عبد اللّه انعجوب ابن السلطان أبي يوسف في العساكر والجنود، وعقد له على حرب عثمان بن أبي العلاء كما ذكرنا، وعقد له على بلاد مراكش ونواحيها لابن عمه الآخر يوسف بن محمد بن أبي عياد بن الحق، وعهد له بالنظر في أحوالها، فسار إليها واحتل بها.

ثم حدثته نفسه بالانتزاء، فقتل الوالي بمراكش، واستركب واستلحق، واتخذ الآلة، وجاهر بالخلعان.

وتقبض على والي البلد فقتله بالسوط في جمادى سنة سبع وسبعمائة، ودعا لنفسه.

واتصل الخبر بالسلطان لأول قدومه، فسرح إليه وزيره يوسف بن عيسى بن السعود الجشمي، ويعقوب بن أصناك في خمسة آلاف من عساكره، ودفعهم إلى حربه، وخرج في أطرهم بكتائبه.

وبرز يوسف بن أبي عياد، وأجاز وادي أم الربيع فانهزم أمام الوزير وعساكره وأتبعه الوزير ففر إلى أغمات.

ثم فر إلى جبال هسكورة، ولحق به موسى بن أبي سعيد الصبيحي من أغمات، تدلى من سورها، ودخل الوزير يوسف في مراكش، ثم خرج في أثره ولحقه، فكانت بينهما جولة، وقتل منهم خلقاً، ولحق بهسكورة.

ودخل السلطان أبو ثابت مراكش منتصف رجب من سنة سبع وسبعمائة وأمر بقتل أوربة المداخلين كانوا له في انتزائه فاستلحموا.

ولما لحق يوسف بن أبي عباد بجبال هسكورة، نزل على مخلوف بن عبو، وتذمم بجواره، فلم يجره على السلطان، وتقبض عليه، واقتاده إلى مراكش مع ثمانية من أصحابه تولوا كبر ذلك الأمر، فقتلوا في مصرع واحد بعد أن مثل بهم بالسياط.

وبعث رأس يوسف إلى فاس، فنصب بسورها وأثخن بالقتل فيمن سواهم ممن داخله في الانتزاء، فاستلحم منهم أمماً بمراكش وأغمات.

وسخط خلال ذلك وزيره إبراهيم بن عبد الجليل فاعتقله واعتقل عشرة من بني دولين من بني ونكاسن، وقتل الحسن بن دولين منهم، ثم عفا عنهم.

وخرج منتصف شعبان إلى منازلة السكسيوي وتدويخ جهات مراكش، فتلقاه السكسيوي بطاعته المعروفة، وأسنى الهدية فتقبل طاعته وخدمته.

ثم سرح قائدة يعقوب بن أصناك في اتباع زكنة حتى توغل في بلاد السوس ففروا أمامه إلى الرمال، انقطع أثرهم ورجع إلى معسكر السلطان.

وانكفأ السلطان بعساكره إلى مراكش، فاحتل بها غرة رمضان.

ثم قفل إلى فاس بعد أن قتل جماعة من شيوخ بني دورا، وجعل طريقه على بلاد صنهاجة، وسار في بلاد تامسنا، وتلقاه عرب جشم من قبائل الخلط وسفيان وبني جابر والعاصم، فاستصحبهم إلى أنفى وتقبض على ستين من أشياخهم، فاستلحم منهم عشرين ممن نمي عنهم إفساد السابلة، ودخل رباط الفتح أخريات رمضان فقتل هنالك من الأعراب أمة ممن يؤثر عنه الحرابة، ثم ارتحل منتصف شوال لغزو رياح أهل أزغار والهبط، وأثار منهم بالإحن القديمة، فأثخن فيهم بالقتل والسبي وقفل إلى فاس، فاحتل بها منتصف ذي القعدة.

وجاءه الخبر بهزيمة عبد الحق بن عثمان، واستلحام الروم من عسكره، ومهلك عبد الواحد الفودودي من رجالات دولته.

وإن عثمان بن أبي العلاء قد استفحل أمره بجات غمارة، فأجمع لغزوه، واللّه أعلم.

## الخبر عن غزاة السلطان لمدافعة عثمان بن أبي العلاء ببلاد الهبط ومهلكه بطنجة من بعد ظهوره

لما ملك الرئيس أبو سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر بسبتة سنة خمس وسبعمائة، وأقام بها الدعوة لابن عمه المخلوع محمد بن محمد الفقيه بن محمد بن محمد الشيخ بن يوسف بن نصر كما ذكرناه، وأجاز معه رئيس الغزاة المجاهدين بمحل إمارته من مالقة عثمان بن أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق من أعياص هذا البيت، كان مرشحاً للملك فيهم.

واستقدمه معه ليفرق به الكلمة في المغرب ويشغل بفتنة الدولة مدافعة عن سبتة لما كانوا أهاجوا السلطان وقومه بأخذها واستنام ملكها.

وطمع عثمان في ملك المغرب بإمدادهم ومظاهرتهم، وسولت له نفسه ذلك، فخرج من سبتة وولى على جيش الغزاة بعده عمر ابن عمه رحو بن عبد الله.

ونجم هو ببلاد غمارة، فدعا لنفسه وأجابته القبائل منهم.

واحتل بحصن علودان من أمنع معاقلهم، وبايعوه على الموت، ثم نهض إلى أصيلا والعرائش فغلب عليها.

واتصل ذلك كله بالسلطان الهالك أبي يعقوب فلم يحركه استهانة بأمرهم.

وبعث ابنه أبا سالم بالعساكر، فنازل سبتة أياماً، ثم أقلع عنها، وبعث بعده أخاه يعيش بن يعقوب وأنزله طنجة، وجهز معه الكتائب وجعلها ثغراً.

وزحف إليه عثمان بن أبي العلاء فتأخر عن طنجة إلى القصر، ثم أتبعه فخرج أهل القصر فرساناً ورجالاً ورماةً مع يعيش، فوصلوا إلى وادي ورا، ثم انهزموا إلى البلد.

ومات عمر بن ياسين، ونازل عثمان عليهم القصر يوماً، ثم دخله من غده.

ثم كان مهلك السلطان، ومفر يعيش بن يعقوب خيفة من أبي ثابت، فلحق بعثمان بن أبي العلاء واستقام أمره بتلك الجهات برهة.

وكان السلطان أبو ثابت لما احتل بالمغرب شغله ما كان من انتزاء يوسف بن محمد بن أبي عياد بمراكش كما قدمناه، فعقد على حرب عثمان بن أبي العلاء مكان عمه يعيش بن يعقوب لعبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق من رجال بيته، فزحف إليه، ونهض عثمان إلى لقائه منتصف ذي الحجة سنة سبع وسبعمائة فهزمه واستلحم من كان معه من جند الروم.

وهلك في تلك الواقعة عبد الواحد الفودودي من رجالات السلطان المرشحين ردفاء الوزارة، وصار عثمان إلى قصر كتامة فنازله، واستولى على جهاته.

وعلى تفيئة ذلك كان رجوع السلطان من غزاة مراكش وقد حسم الداء ومحا أثر النفاق، فاعتزم على الحركة إلى بلاد غمارة ليمحو منها دعوة ابن أبي العلاء التي كانت تلج عليه ممالكه بالمغرب، ويرده على عقبه ويستخلص سبتة من يد ابن الأحمر لما صارت ركاباً لمن يروم الانتزاء والخروج من القرابة والأعياص المستنفرين وراء البحر غزاة في سبيل الله، فنهض من فاس منتصف ذي الحجة من سنة سبع وسبعمائة. ولما انتهى إلى قصر كتامة تلوم بها ثلاثاً حتى توافت عساكره وحشوده، وكمل اعتراضها وفر عثمان بن أبي العلاء أمامه، وارتحل السلطان في اتباعه فنازل حصن علودان واقتحمها عنوة، واستلحم بها زهاء أربعمائة.

ثم نازل بلد الدمنة، فاقتحمها وأثخن فيها قتلاً وسبياً لتمسكها بطاعة ابن أبي العلاء ومظاهرتها له، على كبس القصر واستباحته.

ثم ارتحل إلى طنجة واحتل بها غرة سنة ثمان وسبعمائة والمحجز ابن أبي العلاء بسبتة مع أوليائه وسرح السلطان عساكره، فتقرت نواحي سبتة بالاكتساح والغارة.

وأمر باختطاط بلد تيطاوين لنزول عساكره والأخذ بمخنق سبتة، وأوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبا يحيى بن أبي الصبر إليهم في شأن النزول له عن البلد.

وفي خلال ذلك اعتل السلطان بمرض وقضى لأيام قلائل في ثامن صفر من سنته، ودفن بظاهر طنجة، ثم حمل شلوه بعد أيام إلى مدفن آبائه بشالة فووري هنالك.

رحمة الله عليه وعليهم.

## الخبر عن دولة السلطان أبي الربيع وما كان فيها من الأحداث

لما هلك السلطان أبو ثابت تصدى للقيام بالأمر عمه علي ابن السلطان أبي يعقوب المعروف بأمه رزيكة، وخلص الملأ من

بني مرين أهل الحل والعقد إلى أخيه أبي الربيع فبايعوه.

وتقبض على عمه علي بن رزيكة المستام للأمر، فاعتقله بطنجة إلى أن هلك سنة عشر وسبعمائة لجمادى، وبث العطاء في الناس وأجزل الصلات وارتحل نحو فاس.

واتبعه عثمان بن أبي العلاء في جيش كثيف، وبيته وقد نذر به العسكر فأيقظوا ليلهم ووافاهم على الظهر بساحة علودان، فناجزهم الحرب، وكانت الدائرة على عثمان وقومه، وتقبض على ولده وكثير من عسكره، وأثخن أولياء السلطان فيهم بالقتل والسبي، وكان الظهور الذي لا كفاء له.

ووصل أبو يحيى بن أبي الصبر إلى الأندلس، وقد أحكم عقدة الصلح، وقد كان ابن الأحمر جاء للقاء السلطان أبي ثابت، ووصل إلى الجزيرة الخضراء فأدركه خبر مهلكه، فتوقف عن الجواز، وأجاز ابن أبي الصبر بإحكام المؤاخاة.

واجتاز عثمان بن أبي العلاء إلى العدوة فيمن معه من القرابة، فلحق بغرناطة.

وأغذ السلطان السير إلى حضرته، فدخل فاس آخر ربيع من سنة ثمان وسبعمائة واستقامت الأمور وتمهد الملك، وعقد السلم مع صاحب تلمسان موسى بن عثمان بن يغمراسن، وأقام وادعاً بحضرته.

وكانت أيامه خير أيام، هدنةً وسكونة وترفاً لأهل الدولة، وفي أيامه تغالى الناس في أثمان العقار، فبلغت قيمتها فوق المعتاد، حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين.

وتنافس الناس في البناء فعالوا الصروح، واتخذوا القصور المشيدة بالصخر والرخام وزخرفوها بالزليج والنقوش.

وتناغوا في لبس الحرير وركوب الفاره، وأكل الطيب واقتناء الحلي من الذهب والفضة.

واستبحر العمران، وظهرت الزينة والترف، والسلطان وادع بداره متملٍ أريكته إلى أن هلك كما نذكره، إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن مقتل عبد الله بن أبي مدين

كان أبو شعيب بن مخلوف من بني أبي عثمان من قبائل كتامة المجاورين للقصر الكبير، وكان منتحلاً للدين مشتهراً به.

ولما أجلب بنو مرين على المغرب وجالوا في بسائطه، وتغلبوا على ضواحيه، صحب البر منهم والفاجر من أهله.

وكان بنو عبد الحق قد تخيروا شعيب هذا فيمن تخيروا للصحابة من أهل الدين، فكان إمام صلاتهم.

وكان يعقوب بن عبد الحق أشدهم صحابة له، وأوفاهم به ذماماً فاتصل به حبله، واستمرت صحابته، وعظم في الدولة قدره وانبسط بين الناس جاه ولده وأقاربه وحاشيته.

وربى بنو شعيب هذا: عبد الله ومحمد المعروف بالحاج، وأبو القاسم من بعدهم من إخوتهم بقصر كتامة في جو ذلك الجاه.

وهلك السلطان يعقوب بن عبد الحق فاستخلصهم يوسف بن يعقوب لخدمته، واستعملهم على مختصاته، ثم ترقى بهم في رتب خدمته وأخصائه، درجة بعد أخرى إلى أن هلك أبوهم مدين شعيب سنة سبع وتسعين وستمائة وكان المقدم منهم عند السلطان عبد الله، فأوفى به على ثنيات العز والوزارة والخلة والولاية.

وتقدم بخطوته في مجلسه كل حظوة، واختصه بوضع علامته على الرسائل والأوامر الصادرة عنه، وجعل إليه حسبان الخراج والضرب على أيدي العمال، وتقييد الأوامر بالبسط والقبض، واستخلصه لمناجاة الخلوات والإفضاء بذات الصدور، فوقف ببابه الأشراف من الخاصة والقبيل والقرابة والولد، وتوددوا وخطبوا نائله.

وكان عبد الله استعمل مع ذلك أخاه محمداً على جباية المصامدة بمراكش، وهنأ أبا القاسم الدعة بفاس، فأقام بها متملياً راحته عريضاً جاهه، طاعماً كاسياً، تتسرب إليه أموال العمال في سبيل الإتحاف، وتقف ببابه صدور الركائب إلى أن هلك السلطان أبو يعقوب يوسف.

ويقال: إن له خائنة في دمه مع سعاية المليانى.

ولما ولي السلطان أبو ثابت ضاعف رتبته وشفع لديه خطته ورفع على الأقدار قدره. ثم ولي من بعده أخوه أبو الربيع فتقبل فيه مذهب سلفه.

وكان بنو رقاصة اليهود حين نكبوا، باشر نكبتهم لمكانه من إصدار الأوامر، ويزعمون أن له فيهم سعاية، وكان خليفة الأصغر منهم قد استبقي كما ذكرناه، فلما أفضى الأمر إلى السلطان أبي الربيع استعمل خليفة بداره في بعض المهن، ولابس الخدم حتى اتصل بمباشرة السلطان، فجعل غايته السعاية بعبد الله بن أبي مدين.

وكان يؤثر عن السلطان أبي الربيع أنه لا يؤمن بوائقه مع حزم ذويه، وتعرف خليفة ذلك من مقالات الناس، فدس إلى

السلطان أن عبد اللّه بن أبي مدين يعرض باتهام السلطان في ابنته، وأن صدره وغر بذلك، وأنه متعرض بالدولة.

وكان يخشى الغائلة لما كان عليه من مداخلة القبيل، ولما كان داعية من دعاة آل يعقوب، فتعجل السلطان دفع غائلته واستدعاه صبيحة زفاف ابنته، زعموا على زوجها فاستحثه قائد الروم من داره بفاس، ونذر بالشر، فلم يغنه النذر، ومر في طريقه إلى دار السلطان بمقبرة أبي يحيى بن العربي، فطعنه القائد هنالك من ورائه طعنة أكبه على ذقنه، واحتز رأسه فألقاه بين أيدي السلطان.

ودخل الوزير سليمان بن يرزيكن فوجده بين يديه، فذهبت نفسه عليه على مكانه من الدولة حسرة وأسفاً، وأيقظ السلطان لمكر اليهودي، فوقفه على براءة كان ابن أبي مدين بعثها معه إلى السلطان بالتنصل والحلف، فتيقظ وعلم مكر اليهودي به، فندم وفتك لحينه بخليفة بن رقاصة وذويه من اليهود المتصدين للخدمة، وسطا بهم سطوة الهلكة، فأصبحوا مثلاً للآخرين، واللّه أعلم.

## الخبر عن ثورة أهل سبتة بالأندلسيين ومراجعتهم طاعة السلطان

لما قفل السلطان أبو الربيع من غزاة سبتة بعد أن شرد عثمان بن أبي العلاء وأحجزه بسبتة، وأجاز منها إلى العدوة ومن كان معه من القرابة كما قلناه، بلغه الخبر بضجر أهل سبتة، ومرض قلوبهم من ولاية الأندلسيين عليهم وسوء ملكتهم.

ودس إليه بعض أشياعه بالبلد بمثل ذلك، فأغزى صنيعته تاشفين بن يعقوب الوطاسي أخا وزيره في عساكر ضخمة من بني مرين، وسائر الطبقات من الجند.

وأوعز إليه بالتقدم إلى سبتة ومنازلتها، فأغذ إليها السير ونزل بساحتها، ولما أحس به أهل البلد بهشت رجالاتهم وتنادوا بشعارهم، وثاروا على من كان منهم من قواد ابن الأحمر وعماله وأخرجوا منها حاميته وجنوده، واقتحمها العساكر واحتل تاشفين بن يعقوب بقصبتها عاشر صفر من سنة تسع وسبعمائة.

وطير الفوائق بالخبر إلى السلطان فعم السرور وعظم شأن الفتح، وتقبض على قائد القصبة أبي زكريا يحيى بن مليلة، وعلى قائد البحر أبي الحسن بن كماشة، وعلى قائد الحروب بها من الأعياص عمر بن رحُّو بن عبد اللّه بن عبد الحق، كان صاحب الأندلس عقد له مكان ابن عمه عثمان بن أبي العلاء عند إجازته البحر إلى الجهاد كما ذكرنا، وكتب إلى السلطان بالفتح، وأوفد عليه الملأ من مشيخة سبتة وأهل الشورى.

وبلغ الخبر إلى ابن الأحمر فارتاع لذلك وخشي عادية السلطان، وجيوش المغرب حين انتهوا إلى الفرضة.

وكان الطاغية في تلك الأيام نازل الجزيرة الخضراء، وأقلع عنها على الصلح بعد أن أذاقها من الحصار شدة، وبعد أن نازل جبل الفتح، فتغلب عليه وملكه.

وانهزم زعيم من زعمائه يعرف بالفنش بيرس، هزمه أبو يحيى بن عبد اللّه بن أبي العلاء صاحب الجند بمالقة، لقيه يجوس خلال البلاد بعد تملك الجبل، فهزم النصارى وقتلوا أبرح قتل.

وأهم المسلمين شأن الجبل فبادر السلطان أبو الجيوش، بإنفاذ رسله راغبين في السلم خاطبين للولاية، وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورندة وحصونها، ترغيباً للسلطان في الجهاد، فتقبل منه السلطان وعقد له الصلح على ما رغب، وأصهر إليه في أخته، فأنكحه إياها، وبعث بالمدد للجهاد، أموالاً وخيولاً وجنائب مع عثمان بن عيسى اليرنياني، واتصلت بينهما والمهادنة والولاية إلى مهلك السلطان والبقاء لله وحده.

## الخبر عن بيعة عبد الحق بن عثمان بمالأة الوزير والمشيخة وظهور السلطان عليهم ثم مهلكه بعد ذلك

كانت رسل ابن الأحمر خلال هذه المهادنة والمكاتبات تختلف إلى باب السلطان، ووصل منهم في بعض أحيانها خلف من مترفيهم، فجاهر بالكبائر، فكشف صفحة وجهه في معاقرة الخمر والإدمان عليه.

وكان السلطان منذ شهر جمادى الأول سنة تسع وسبعمائة قد عزل القاضي بفاس أبا غالب المغيلي، وعهد بأحكام القضاء لشيخ الفتيا المذكور بها أبي الحسن الملقب بالصغير.

وكان على ثبج من تغيير المنكرات والتعسف فيها، حتى لقد كان مطاوعاً في ذلك وسواس النسك الأعجمي، متجاوزاً بها الحدود المتعارفة من أهل الشريعة في سائر الأمصار، وأحضر عنده ذات يوم هذا الرسول ثملاً، وحضر العدول فاستروحوه، ثم أمضى حكم اللّه فيه، وأقام عليه الحدود، وأضرمته هذه الموجدة، فاضطرم غيظاً وتعرض للوزير رحو بن يعقوب الوطاسي منصرفه من دار السلطان في موكبه، وكشف عن ظهره يريه أثر السياط وينعي عليهم سوء هذا المرتكب مع الرسل.

فتبرم لذلك الوزير وأدركته حفيظة، وسرح وزعته وحشمه في إحضار القاضي على أسوإ الحالات من التنكيل والتل لذقنه، فمضوا لذلك الوجه، واعتصم القاضي بالمسجد الجامع، ونادى المسلمين، فثارت العامة بهم، ومرج أمر الناس.

واتصل الخبر بالسلطان فتلافاه بالبعث في أولئك النفر من وزعة الوزير، وضرب أعناقهم، وجعلهم عظة لمن وراءهم، فأسرها الوزير في نفسه، وداخل الحسن بن علي بن أبي الطلاق من بني عسكر بن محمد شيخ بني مرين، والمسلم له في شوارهم. وقائد الروم غنصاله المنفرد برياسة العسكر وشوكته، وكان لهم بالوزير اختصاص آثروه له على سلطانه، فدعاهم إلى بيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق كبير القرابة وأسد الأعياص، وخلع طاعة السلطان فأجابوه وبايعوا له، وتم أمرهم نجياً.

ثم خرجوا عاشر جمادى من سنة عشر وسبعمائة إلى ظاهر البلد الجديد بمكان الرمكة، وجاهروا بالخلعان وأقاموا الآلة وبايعوا سلطانهم عبد الحق على عيون الملأ وعسكروا بالعدوة القصوى من سبُو تخم بلاد العسكر، وأزاء نبدورة من معاقل الحسن بن علي زعيم تلك الثورة.

ثم ارتحلوا من الغد إلى تازى وخرج السلطان في إثرهم فعسكر بسبو وتلوم لاعتراض العساكر، وإزاحة العلل، واحتل القوم برباط تازى، وأوفدوا على موسى عثمان بن يغمراسن سلطان بني عبد الواد يدعونه إلى المظاهرة واتصال اليد، والمدد بالعساكر والأموال جنوحاً إلى التي هي آثر لديه من تفريق كلمة عدوه، فتثاقل عن ذلك لمكان السلم الذي عقد له السلطان أول الدولة، وليستبين سبيل القوم.

وقدم السلطان بين يديه يوسف بن عيسى الجشمي، وعمر بن موسى الفودودي في جموع كثيفة من بني مرين.

وسار في ساقتهم، فانكشف القوم عن تازى ولحقوا بتلمسان صريخاً.

وحمد السلطان مغبة نظره في التثاقل عن نصرهم ووجد بها الحجة عليهم، إذ غاية مظاهراته إياهم أن يملكهم تازى، وقد انكشفوا عنها فيئسوا من صريخه وأجاز عبد الحق بن عثمان ورحو بن يعقوب إلى الأندلس، فأقام رحو بها إلى أن قتله أولاد ابن أبي العلاء، ورجع الحسن بن علي إلى مكانه من قبيله ومحله من مجلس السلطان بعد أن اقتضى عهده بالأمان على ذلك ولما احتل الحسن بتازى حسم الداء ومحاة أثر الشقاق، وأثخن في حاشية الخوارج وذويهم بالقتل والسبي، ثم اعتل أثناء ذلك وهلك لليال من اعتلاله سلخ جمادى الآخرة من سنة عشر وسبعمائة ووري بصحن الجامع الأعظم من تازى، وبويع السلطان أبو سعيد، كما نذكره إن شاء الله.

## الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد وما كان فيها من الأحداث

لما هلك السلطان أبو الربيع بتازى تطاول للأمر عمه عثمان ابن السلطان أبي يعقوب المعروف بأمه قضيب، واستلم المنصب وأسدى في ذلك والحم، وحضر الوزراء والمشيخة بالقصر بعد هدوء من الليل، فاستشاروا بشيخ القرابة يومئذ وكبير الأعياص المرشحين العالي القعد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق. ودست أخته عريبة إليهم بالوعد، وسربت إليهم الأموال.

وجاءهم عثمان ابن السلطان أبي يعقوب مستاماً، فزجروه واستدعوا السلطان أبا سعيد، فحضر وبايعوه ليلتئذ وأنفذ كتبه إلى النواحي والجهات باقتضاء البيعة.

وسرح ابنه الأكبر الأمير أبا الحسن إلى فاس، فدخلها غرة رجب من سنة عشر وسبعمائة، ودخل القصر واطلع على أمواله وذخيرته، وفي غد ليلته أخذت البيعة العامة للسلطان بظاهر تازى على بني مرين، وسائر زناتة والقبائل والعرب والعساكر والحاشية والموالي والصنائع والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء.

فقام بالأمر واستوسق له الملك، وفرق الأعطيات وأسنى الجوائز، وتفقد الدواوين ورفع الظلامات، وحط المغارم والمكوس.

وسرح أهل السجون، ورفع عن أهل فاس وظيفة الرباع وارتحل لعشرين من شهر رجب إلى حضرته، فاحتل بفاس، وقدم عليه وفود التهنئة من جميع بلاد المغرب.

ثم خرج لذي القعدة بعدها إلى رباط الفتح لتفقد الأحوال والنظر في أحوال الرعايا، واهتم بالجهاد، وإنشاء الأساطيل للغزو في سبيل الله.

ولما قضى منسك الأضحى بعده، رجع إلى حضرته بفاس.

ثم عقد سنة إحدى عشرة وسبعمائة لأخيه الأمير أبي البقاء يعيش على ثغور الأندلس: الجزيرة وونده وما إليهما من الحصون.

ثم نهض من الحصون سنة ثلاث عشرة وسبعمائة إلى

مراكش لما كان بها من اختلال الأحوال، وخروج عدي بن هنو الهسكوري، ونقضه للطاعة، فنزل به وحاصره مدة، واقتحم حصنه عنوة عليه، وحمله مقيداً إلى دار ملكه، فأودعه المطبق، ثم رجع إلى غزو تلمسان، والله أعلم.

## الخبر عن حركة السلطان أبي سعيد إلى تلمسان أولى حركاته إليها

لما خرج عبد الحق بن عثمان على السلطان أبي الربيع، وتغلب على تازى، بمظاهرة الحسن بن علي بن أبي الطلاق كبير بني عسكر، واختلف رسلهم إلى أبي حمو موسى بن عثمان سلطان بني عبد الواد، اسف ذلك بني مرين وحرك مزاجهم، ولما لحق الخارجون على الدولة بالسلطان أبي حمو وأقبل عليهم أضرم ذلك حقد بني مرين.

وولى السلطان أبو سعيد الأمر وفي أنفسهم من بني عبد الواد غصة فلما استوسق أمر السلطان، ودوخ الجهات المراكشية، وعقد على البلاد الأندلسية وفرغ من شأن المغرب، اعتزم على غزو تلمسان فنهض إليها سنة أربع عشرة وسبعمائة. ولما انتهى إلى وادي ملوية قدم ابنيه أبا الحسن وأبا علي في عسكرين عظيمين في الجناحين، وسار في ساقتهما، ودخل بلاد بني عبد الواد على هذه التعبية، فاكتسح نواحيها واصطلم نعمها، ونازل وجدة، فقاتلها قتالاً شديداً وامتنعت عليه ثم نهض إلى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها.

وانحجز موسى بن عثمان من وراء أسوارها، وغلب على معاقلها ورعاياها وسائر ضواحيها، فحطمها حطماً، ونسف جهاتها نسفاً، ودوخ جبال بني يزناسن وفتح معاقلها وأثخن فيها وانتهى إلى وجدة.

وكان معه في عسكره أخوه يعيش بن يعقوب، وقد أدركته بعض الاستراحة بأمره ففر إلى تلمسان، ونزل على أبي حمو ورجع السلطان على تعبيته إلى تازى، فأقام بها.

وبعث ولده الأمير أبا علي إلى فاس فكان من خروجه على أبيه ما نذكر إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن انتقاض الأمير أبي علي وما كان بينه وبين أبيه من الواقعات

كان للسلطان أبي سعيد اثنان من الولد أكبرهما لأمته الحبشية، وهو علي، والآخر لمملوكة من سبي النصرانية وهو عمر.

وكان هذا الأصغر آثرهما لديه، وأعلقهما بقلبه منذ نشأ، فكان عليه حدباً وبه مشغوفاً.

ولما استولى السلطان على ملك المغرب، رشحه لولاية عهده، وهو شاب لم يطر شاربه، ووضعوا له ألقاب الإمارة، وصير معه الجلساء والخاصة والكتاب وأمره باتخاذ العلامة في كتبه.

وعقد على وزارته لإبراهيم بن عيسى اليرنياني من صنائع دولتهم وكبار المرشحين بها.

ولما رأى أخوه الأكبر أبو الحسن صاغية أبيهما اليه، وكان شديد البرور لوالديه، انحاش إليه وصار في جملته، وخلط نفسه بحاشيته طاعة لأبيه واستمرت حال الأمير أبي علي على هذا، وخاطبه الملوك من النواحي وخاطبهم، وهادوه وعقد الرايات، وأثبت في الديوان ومحا وزاد في العطاء ونقص، وكاد أن يستبد.

ولما قفل السلطان أبو سعيد من غزاته إلى تلمسان سنة أربع عشرة وسبعمائة أقام بتازى وبعث ولديه إلى فاس، فلما استقر الأمير أبو علي بفاس حدثته نفسه بالاستبداد على أبيه، وخلعه وراوضه المداخلون له في المكر بالسلطان حتى يتقبض عليه، فأبي وركب الخلاف وجاهر بالخلعان ودعا لنفسه، فأطاعه الناس لما كان السلطان جعل إليه من أمرهم، وعسكر بساحة البلد الجديد يريد غزو السلطان، فبرز من تازى بعسكره يقدم رجلاً ويؤخر أخرى.

ثم بدا للأمير أبي علي في شأن وزيره، وحدثته نفسه بالتقبض عليه استرابة به لما كان بلغه من المكاتبة بينه وبين السلطان، فبعث لذلك عمر بن يخلف الفودودي، وتفطن الوزير لما جاء به من المكر، فتقبض عليه ونزع إلى السلطان أبي سعيد فتقبله ورضي عنه، وارتحل إلى لقاء ابنه.

ولما تراءى الجمعان بالقرمدة ما بين فاس وتازى، اختل مصاف السلطان وانهزم عسكره وأفلت بعد أن أصابته جراحه في يده وهن لها، ولحق بتازى فليلاً جريحاً.

ولحق ابنه الأمير أبو الحسن نازعاً إليه من جملة أخيه أبي علي بعد المحنة وفاء بحق أبيه، فاستبشر السلطان بالظهور والفتح،

وحميد المغبة، وأناخ الأمير أبو علي بعساكره على تازى، وسعى الخواص بين السلطان وبينه في الصلح على أن يخرج له السلطان عن الأمر وبقتصر على تازى وجهاتها، فتم ذلك بينهما وانعقد، وشهد الملأ من مشيخة العرب وزناتة وأهل الأمصار، فاستحكم عقده وانكفأ الأمير أبو علي إلى حضرة فاس مملكاً، وتوافت إليه بيعة الأمصار بالمغرب ووفودهم، واستوسق أمره.

ثم اعتل على إثر ذلك واشتد وجعه، وصار إلى حال الموت وخشي الناس على أنفسهم تلاشي الأمر بمهلكه، فتسايلوا إلى السلطان بتازى، ثم نزع على الأمير أبي علي وزيره أبو بكر بن النوان وكاتبه منديل بن محمد الكناني، وسائر خواصه، فلحقوا بالسلطان وحملوه على تلافي الأمر، فنهض من تازى واجتمع إليه كافة بني مرين والجند.

وعسكر على البلد الجديد وأقام محاصراً لها، وابتنى داراً لسكناه وجعل لابنه الأمير أبي الحسن ما كان لأخيه أبي علي من ولاية العهد وتفويض الأمر.

وتفرد أبو علي بطائفة من النصارى المستخدمين بدولته، كان قائدهم يمت إليه بالخؤولة، وضبط البلد مدة مرضه حتى إذا أفاق وتبين اختلال أمره، بعث إلى أبيه في الصفح والرضى، وأن ينزل له عما انتزى عليه من الأمر على أن يقطعه سجلماسة وما إليها، ويسوغه ما احتمل من المال والذخيرة من دراهم، فأجابه إلى ذلك، وانعقد بينهما سنة خمس عشرة وسبعمائة وخرج الأمير أبو علي بخاصته وحشمه، وعسكر بالزيتون من ظاهر البلد، ووفى له السلطان بما اشترط وارتحل إلى سجلماسة، ودخل السلطان إلى البلد الجديد ونزل بقصره، وأصلح شؤون ملكه، وأنزل ابنه الأمير أبا الحسن بالدار البيضاء من قصوره، وفوض إليه في سلطانه تفويض الاستقلال، وأذن له في اتخاذ الوزراء والكتاب، ووضع العلامة على كتابه وسائر ما كان لأخيه، ووفدت إليه بيعات الأمصار بالمغرب، ورجعوا إلى طاعته.

ونزل الأمير أبو علي بسجلماسة فأقام بها ملكاً، ودون الدواوين، واستلحق واستركب، وفرض العطاء واستخدم ظواعن العرب من المعقل، وافتتح معاقل الصحراء وقصور توات وتيكورارين وتمنطيت، وغزا بلاد السوس فافتتحها وتغلب على ضواحيها، وأثخن في إعرابها من ذوي حسان والشبانات وزكنة، حتى استقاموا على طاعته.

وبيت عبد الرحمن بن الحسن بن يدر أمير الأمصار بالسوس في تارودانت مقره، فافتتحها عليه عنوة وقتله، واصطلم نعمته وأباد سلطانه.

وأقام لبني مرين في بلاد القبلة ملكاً وسلطاناً، وانتقض على السلطان سنة عشرين وسبعمائة وتغلب على درعا، وسما إلى طلب مراكش، فعقد السلطان على حربه لأخيه الأمير أبي الحسن، وجعله إليه، وأغزاه ونهض على أثره، فاحتلوا بمراكش، وثقفوا أطرافها وحسموا عللها، وعقد عليها لكندوز بن عثمان من صنائع دولتهم، وقفلوا بعسكرهم إلى الحضرة.

ثم نهض الأمير أبو علي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة بجموعه من سجلماسة وأغذ السير إلى مراكش، فاحتلت عساكره بها قبل أن يجتمع لكندوز أمره، فتقبض عليه وضرب عنقه ورفعه على القناة وملك مراكش وسائر ضواحيها.

وبلغ الخبر إلى السلطان، فخرج من حضرته في عساكره بعد أن احتشد وأزاح العلل، واستوفى الأعطيات، وقدم بين يديه ابنه الأمير أبا الحسن ولي عهده والغالب على أمره في عساكره وجموعه، وجاء في ساقته، وسار على هذه التعبية.

ولما انتهى إلى توتو من وادي ملوية نذروا بالبيات من أبي علي وجنوده، فحذروهم وأيقظوا ليلتهم، وبيتهم بمعسكرهم ذلك، فكانت الدايرة عليهم، وفل عسكره، وارتحلوا من الغد في أثره.

وسلك على جبال درن، وافترقت جنوده في أوعاره، ولحقهم من معراتها شناعات، حتى ترجل الأمير أبو علي عن فرسه، وسعى على قدميه، وخلصوا من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق، ولحق بسجلماسة، ومهد السلطان نواحي مراكش واستعمل عليها ورتب الحامية بها. وعقد على جباية أموال المصامدة ونواحي مراكش لموسى بن علي بن محمد الهنتاتي، فعظم عناؤه في ذلك واضطلاعه وامتدت أيام ولايته وارتحل السلطان إلى سجلماسة، فدافعه الأمير أبو علي بالخضوع في الصفح والرضى والعودة إلى السلم، فأجابه السلطان لما كان شغفه من حبه، فقد كان يؤثر عنه من ذلك غرائب، ورجع إلى الحضرة وأقام الأمير أبو علي بمكانه من القبلة إلى أن هلك السلطان، وتغلب عليه أخوه السلطان أبو الحسن كما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن نكبة منديل الكناني ومقتله

كان أبوه محمد بن محمد الكناني من علية الكتاب بدولة الموحدين، ونزع من مراكش عندما انحل نظام بني عبد المؤمن وانفض جمعهم إلى مكناسة، فأوطنها في إيالة بني مرين، واتصل بالسلطان يعقوب بن عبد الحق فصحبه فيمن كان يتأثر على

صحابته من أعلام المغرب.

وسفر عنه إلى الملوك كما ذكرنا، في سفارته إلى المستنصر سنة خمس وستين وستمائة وهلك السلطان يعقوب بن عبد الحق وازداد الكناني عند ابنه يوسف حظوة ومكانة إلى أن سخطه ونكبه سنة سبع وسنين وستمائة وأقصاه من يومئذ وهلك في حال سخطته وبقي من بعده ابنه منديل هذا في جملة السلطان أبي يعقوب متبرماً بمقام عبد الله بن أبي مدين المستولي على قهرمة دار السلطان ومخالصته في خلواته غضباً لذلك، متوقعاً للنكبة في أكثر أيامه مضطرمة له بالحسد جوانحه، مع ما كان عليه من القيام على حسبان الديوان عرف فيه بسبقه وشهد به صديقه وعدوه.

ولما تغلب السلطان على ضاحية شلف وأمصار من بلاد مغراوة واستعمله على حسبان الجباية، وجعل إليه ديوان العسكر هنالك، وإلى نظره اعتراضهم وتمحيضهم، فنزل على بمليانه مع من كان هنالك من الأمراء: مثل علي بن محمد الخيري والحسن بن علي بن أبي الطلاق العسكري إلى أن هلك السلطان أبو يعقوب، ورجع أبو ثابت البلاد إلى أبي زيان وأخيه أبو حمو ملوك بني عبد الواد. ونزل لهم عنها فرجع إلى المغرب ولحق بالسلطان أبي ثابت ومر في طريقه بأبي زيان وأخيه أبي حمو، فخف عليهما، وحلا بعيونهما، واستبلغا في تكريمه وانصرف إلى مغربه.

وكان أيام معسكر السلطان يوسف بن يعقوب على تلمسان قد صحب أخاه أبا سعيد عثمان بن يعقوب في حال خموله، وتأكدت بينهما الخلة التي رعاها له السلطان أبو سعيد.

فلما ولي أمر المغرب مت بذلك إليه، فعرفه له واختصه وخالصه، وجعل إليه وضع علامته وحسبان جبايته، ومستخلص أحواله، والمفاوضة بذات صدره، ورفع مجلسه، وقدمه على خاصته.

وكان كثير الصاغية للأمير أبي علي ابنه المتغلب على أبيه أول أمره، ولما استبد وخلع أباه انحاش منديل هذا إليه، ثم نزع عنه حين تبين اختلال أمره، وكان الأمير أبو الحسن يحقد له ولاية أخيه أبي علي لما كان بينهما من المنافسة وكان كثيراً ما يوغر صدره بإيجاب حق عمر عليه، وامتهانه في خدمته، وطوى له على النكث حتى إذا انفرد بمجلس أبيه وفصل عمر إلى سجلماسة أحكم السعاية فيه والآلاء في الهلكة التي أصر السلطان عليها أذناً واعية، حتى تأذن الله بإهلاكه.

وكان منديل هذا كثيراً ما يغضب السلطان في المحاورة والخطاب دالة عليه وكبراً، فاعتد عليه من ذلك كلمات وأحوالاً، وسخطه سنة ثمان عشرة وسبعمائة وأذن لابنه أبي الحسن في نكبته، فاعتقله واستصفى أمواله، وطوى ديوانه وامتحنه أياماً، ثم قتله بمجلسه خنقاً، ويقال: جوعاً، وذهب مثلاً في الغابرين، والله خير الوارثين.

## الخبر عن انتقاض العزفي بسبتة ومنازلته ثم مصيرها إلى طاعة السلطان بعد مهلكه

كان بنو العزفي لما تغلب عليهم الرئيس أبو سعيد ونقلهم إلى غرناطة سنة خمس وسبعمائة واستقروا بها في إيالة المخلوع، ثالث ملوك بني الأحمر، حتى إذا استولى السلطان أبو الربيع على سبتة سنه تسع وسبعمائة آذنوا في الإجازه إلى المغرب، وأجازوا إلى فاس، واستقروا بها وكان يحيى وعبد الرحمن ابنا أبي طالب من سراتهم وكبارهم، وكانوا يغشون مجالس أهل العلم، بما كانوا عليه من انتحال الطب.

وكان السلطان أبو سعيد أيام أمارة بني أبيه يجالس بالمسجد الجامع للقرويين شيخ الفتيا أبا الحسن الصغير وكان يحيى بن أبي طالب يلازمه، فاتصل به وصارت له وسيلة يحسبها عنده.

فلما ولي الأمر واستقل به، رعى لهم زمام صحابتهم، ووفى لهم مقاصدهم وعقد ليحيى على سبتة، ورجعهم إلى مقر إمارتهم منها ومحل رياستهم، فارتحلوا إليها سنة عشر وسبعمائة وأقاموا دعوة السلطان أبي سعيد والتزموا طاعته.

ثم تغلب الأمير أبو علي علي أمر أبيه، واستبد عليه فعقد على سبتة لأبي زكريا حبون بن أبي العلاء القرشي، وعزل يحيى بن أبي طالب عنها، واستقدمه إلى فاس فقدمها هو وأبوه أبو طالب وعمه حاتم، واستقروا في جملة السلطان.

وهلك أبو طالب بفاس خلال ذلك حتى إذا كان من خروج الأمير أبي علي على أبيه ما قدمناه، لحق يحيى بن أبي طالب وأخوه بالسلطان نازعين من جملة الأمير أبي علي.

فلما احتل بالبلد الجديد ونازله السلطان بها فحينئذ عقد السلطان ليحيى بن أبي طالب على سبتة، وبعثه إليها ليقيم دعوته بتلك الجهات وتمسك بابنه محمد رهناً على طاعته، فاستقل بإمارتها، وأقام طاعة السلطان دعوته بها وأخذ بيعته على الناس، واتصل ذلك سنين، وهلك عمه أبو حاتم هنالك بعد مرجعه معه من المغرب.

ولسنة ست عشرة وسبعمائة انقض على السلطان ونبذ

طاعة الأمر، ورجع إلى حال سلفه من أمر الشورى في البلد.

واستقدم من الأندلس عبد الحق بن عثمان فقدم إليه وعقد له على الحرب ليفرق به الكلمة، ويوهن ببأسه عزائم السلطان في مطالبته.

وجهز السلطان إليه العساكر من بني مرين وعقد على حربه للوزير إبراهيم بن عيسى، فزحف إليه وحاصره، وتعلل عليهم بطلب ابنه، فبعث به السلطان إلى وزيره إبراهيم ليعطي الطاعه، فتسلمه، وجاءه الخبر من عيون كانت بالعسكر أن ابنه كان في فسطاط الوزير بساحة البحر، بحيث يتأتى الفرصة في أخذه، فبيت المعسكر، وهجم عبد الحق بن عثمان بحشمه وذويه على فسطاط الوزير، فاحتمله إلى أبيه وركبت العساكر للهيعة، فلم يقفوا عل خبر حتى تفقد الوزير ابن العزفي، واتهموا قائدهم إبراهيم بن عيسى الوزير بمالأة العدو على ذلك، فاجتمعت مشيختهم وتقبضوا عليه، وحملوه إلى السلطان ابتلاءً للطاعة واستنصاراً في نصح السلطان، فشكر لهم وأطلق وزيره لابتلاء نصيحته، ورغب يحيى بن العزفي بعدها في رضى السلطان وولايته.

ونهض السلطان سنة تسع عشرة وسبعمائة إلى طنجة لاختبار طاعته، فعقد له على سبتة واشترط هو على نفسه الوفاء بجباية السلطان، وأسنى هديته في كل سنة.

واستمرت الحال على ذلك إلى أن هلك يحيى العزفي سنة عشرين وسبعمائة.

وقام بالأمر ابنه محمد إلى نظر ابن عمه محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم شيخ قرابتهم.

وكان قائد الأساطيل بسبتة ولي النظر فيها بعد أن نزع القائد يحيى الزنداحي إلى الأندلس، واختلف الغوغاء بسبتة، وانتهز السلطان الفرصة فأجمع على النهوض إليها سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وبادروا بإيتاء طاعتهم.

وعجز محمد بن يحيى عن المناهضة، وظنها محمد بن علي من نفسه، فتعرض للأمر في أوغاد من اللفيف، فاجتمعوا إليه ودافعهم الملأ عن ذلك، وحملوهم على الطاعة، واقتادوا بني العزفي إلى السلطان فانقادوا، واحتل السلطان بقصبة سبتة، وثقف جهاتها ورم متثلمها وأصلح خللها، واستعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه في أعمالها، فعقد لحاجبه عامر بن فتح اللّه السدراتي على حاميتها، وعقد لأبي القاسم بن أبي مدين على جبايتها والنظر في مبانيها،، وإخراج الأموال للنفقات فيها، وأسنى جوائز الملأ من مشيختها، ووفر إقطاعاتهم وجراياتهم، وأوعز ببناء البلد المسمى أفراك على سبتة، فشرعوا في بنائها سنة تسع وعشرين وسبعمائة وانكفأ راجعاً إلى حضرته.

## الخبر عن استقدام عبد المهيمن للكتابة والعلامة

كان بنو عبد المهيمن من بيوتات سبتة، ونسبهم في حضرموت، وكانوا أهل تجلة ووقار، منتحلين للعلم.

وكان أبو محمد قاضياً بسبتة أيام أبي طالب وأبي حاتم، وكان له معهم صهر.

ونشأ ابنه عبد المهيمن هذا في حجر الطب والجلالة، وقرأ صنعة العربية على الأستاذ الغافقي وحذق فيها.

ولما نزلت بهم نكبة الرئيس أبي سعيد سنة خمس وسبعمائة واحتملوا إلى غرناطة، احتمل فيهم القاضي محمد بن عبد المهيمن وابنه.

وقرأ عبد المهيمن بغرناطة على مشيختها، وازداد علماً وبصراً باللسان والحديث، واستكتب بدار السلطان محمد المخلوع، واختص بوزيره المتغلب على دولته محمد بن عبد الحكيم الرندي فيمن اختص به من رؤسائهم بني العزفي.

ثم رجع بعد نكبة ابن الحكم إلى سبتة، وكتب عن قائدها بن مسلمة مدة.

ولما استخلص بنو مرين سبتة سنة تسع وسبعمائة اقتصر على الكتابة، وأقام منتحلاً مذاهب سلفه في انتحال العلم ولزوم المروءة.

ولما استولى السلطان أبو سعيد على المغرب واستقل بولاية العهد، وتغلب على الأمر ابنه أبو علي، وكان محباً للعلم مولعاً بأهله منتحلاً لفنونه، وكانت دولته خلواً من صناعة الترسيل منذ عهد الموحدين للبداوة الموجودة في دولتهم.

وحصل للأمير أبي علي بعض البصر بالبلاغة واللسان تفطن به لشأن ذلك، وخلو دولتهم من الكتاب المرسّلين، وأنهم إنما يحكمون الخط الذي حذقوا فيه.

ورأى فيه الأصابع تشير إلى عبد المهيمن في رياسة تلك الصناعة، فولع به، وكان كثير الوفادة مع أهل بلده أوقات وفادتهم، فيختصه الأمير أبو علي بمزيد من بره وكرامته، ويرفع مجلسه، ويخطبه للكتابة وهو يمتنع عليه، حتى إذا أمضى عزيمته في

ذلك أوعز إلى عامله بسبتة سنة اثنتي عشرة وسبعمائة أن يشخصه إلى بابه فقلده كتابته وعلامته حتى إذا خرج أبو علي على أبيه تحيز عبد المهيمن إلى الأمير أبي الحسن، فلما صولح أبو علي على النزول عن البلد الجديد وكتب شروطه على السلطان كان من جملتها كون عبد المهيمن معه، وأمضى له السلطان ذلك وأنف الأمير أبو الحسن منها، فأقسم ليقتلنه إن عمل بذلك، فرفع عبد المهيمن أمره إلى السلطان ولاذ به، وألقى نفسه بين يديه، فرق لشكواه وأمره باعتزالهما معاً والرجوع إلى خدمته، وأنزله بمعسكره وقام على ذلك، واختصه منديل الكناني كبير الدولة وزعيم الخاصة، وأنكحه ابنته.

ولما نكب منديل الكناني جعل السلطان علامته لأبي القاسم بن أبي مدين، وكان غفلاً خلواً من الآداب، فكان يرجع إلى عبد المهيمن في قراءة الكتب وإصلاحها، وإنشائها حتى عرف السلطان له ذلك، فاقتصر عليه وجعل وضع العلامة إليه سنة ثمان عشرة وسبعمائة فاضطلع بها ورسخت قدمه في مجلس السلطان، وارتفع صيته.

واستمر على ذلك أيام السلطان وابنه أبي الحسن من بعده إلى أن هلك بتونس في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمائة والله خير الوارثين.

## الخبر عن صريخ أهل الأندلس بالسلطان ومهلك بطرة على غرناطة

كان الطاغية شانجة بن أدفونش قد تكالب على أهل الأندلس من بعد أبيه هراندة الهالك سنة اثنتين وثمانين وستمائة ومنذ غلب على طريف وشغل السلطان يوسف بن يعقوب بعدوه بني يغمراسن، ثم تشاغل حفدته من بعده بأمرهم وتقاصرت مددهم، وهلك شانجة سنة ثلاث وسبعين وولى ابنه هراندة ونازل الجزيرة الخضراء فرضة الجهاد لبني مرين حولاً كاملاً، ونازلت أساطيله جبل الفتح واشتد الحصار على المسلمين.

وراسل هراندة بن أدفونش صاحب برشلونة أن يشغل أهل الأندلس من ورائهم، ويأخذ بحجزتهم، فنازل المرية وحاصرها الحصار المشهور سنة تسع وسبعمائة ونصب عليها الآلات.

وكان منها برج العود المشهور بطول الأسوار بمقدار ثلاث قامات، وتحيل المسلمون على إحراقه فأحرق.

وحفر العدو تحت الأرض مسرباً عريض المسافة مقدار ما يسير فيه عشرون راكباً.

وتفطن لهم المسلمون وحفروا قبالتهم مثله إلى أن نفذ بعضهم لبعض، واقتتلوا تحت الأرض وعقد ابن الأحمر لعثمان بن أبي العلاء زعيم الأعياص على عسكر بعثه مدداً لأهل المرية، فلقيه جمع من النصارى كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانة، فهزمهم عثمان واستلحمهم، ونزل قريباً من معسكر الطاغية وألح بمغاداتهم ومراوحتهم إلى أن رغبوا إليه في السلم وأفرج عن البلد.

وتغلب الطاغية، خلال ذلك على جبل الفتح، وأقامت عساكره على شمانة واصطبونة، وزحف العباس بن رحو بن عبد الله وعثمان بن أبي العلاء في العساكر لإغاثة البلدين، فأوقع عثمان بمعسكر اصطبونة، وقتل قائدهم ألفنش بترس في نحو ثلاثة آلاف فارس واستلحموا.

ثم زحف عثمان لإغاثة العباس وكان دخل عوجين فحاصرته جموع النصارى به، فانفضوا لخبر زحفه، وبلغ الخبر إلى الطاغية بمكانه من ظاهر الجزيرة بفتك عثمان في قومه، فسرح جموع النصرانية إليه، ولقيهم عثمان فأوقع بهم، وقتل زعماءهم.

وارتحل الطاغية يريد لقاءهم فخالفه أهل البلد إلى معسكره، وانتهبوا محلاته وفساطيطه، وأتيحت للمسلمين عليهم الكرة، وامتلأت الأيدي من غنائمهم وأسراهم.

ثم هلك الطاغية إثر هذه الهزائم سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وهو هراندة بن شانجة.

وولي من بعده ابنه الهنشة طفلاً صغيراً، جعلوه لنظر عمه دون بطرة بن شانجة، وزعيم النصرانية جوان فكفلاه.

واستقام أمرهم على ذلك، وشغل السلطان أبو سعيد ملك المغرب بشأن ابنه وخروجه، فاهتبل النصرانية الغرة في الأندلس وزحفوا إلى غرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمائة وأناخوا فيها بعسكرهم وأممهم.

وبعث أهل الأندلس صريخهم إلى السلطان واعتذر لهم بمكان أبي العلاء من دولتهم، ومحله من رياستهم، وأنه مرشح للأمر في قومه بني مرين، يخشى معه تفريق من الكلمة، وشرط عليهم أن يدفعوه إليه برمته حتى يتم أمر الجهاد، ويعيد هو إليهم حوطة على المسلمين، ولم يمكنهم ذلك لمكان عثمان بن أبي العلاء لصرامته وعصابته من قومه، فأخفق سعيهم واستلحموا.

وأطالت أمم النصرانية بغرناطة، وطمعوا في التهامها، ثم إن الله نفس مخنقهم، ودافع بيد قدرته عنهم، وكيف لعثمان بن أبي العلاء وعصبته واقعة فيهم كانت من أغرب الوقائع.

صمدوا إلى موقف الطاغية بجملتهم، وكانوا زهاء مائتين أو أكثر، وصابروهم حتى خالطوهم في مراكزهم، فصرعوا بطرة وجوان، وولوهم الأدبار، واعترضتهم من ورائهم مسارب الماء للشرب من شنيل فتطارحوا فيها، وهلك أكثرهم، واكتسحت أموالهم، وأعز الله دينه، وأهلك عدوه، ونصب رأس بطرة بسور البلد عبرة لمن يتذكر، وهو باق هنالك لهذا العهد، والله تعالى أعلم.

## الخبر عن صهر الموحدين والحركة إلى تلمسان على أثره وما تخلل ذلك من الأحداث

لما انفرج الحصار عن ولد عثمان بن يغمراسن بن زيان أحد ملوك بني عبد الواد سنة ست وسبعمائة وتجافى أبو ثابت عن بلادهم، ونزل لهم عما كان بنو مرين منها بسيوفهم.

واستقل أبو حمو بملك بني عبد الواد على رأس الحول منها، صرف نظره واهتمامه إلى بلاد المشرق، فتغلب على بلاد مغراوة، ثم على بلاد بني توجين، ومحا أثر سلطانهم.

ولحق أعياصهم من ولد عبد القوي بن عطية وولد منديل بن عبد الرحمن بالموحدين آل أبي حفص مع من تبعهم من رؤوس قبائلهم، وصاروا في جملة عساكرهم.

واستلحق مولانا السلطان أبو يحيى وحاجبه يعقوب بن غمر منهم جندا كثيفاً أثبتهم في الديوان، وغالب بهم الخوارج والمنازعين للدولة.

ثم زحف أبو حمو إلى الجزائر وغلب ابن علان عليها سنة ونقله إلى تلمسان ووفى له.

وفر بنو منصور أمراء ملكيش أهل بسيط متيجة من صنهاجة، فلحقوا بالموحدين واصطنعوهم، وتملك قاصية المغرب الأوسط وتاخم عمل الموحدين بعمله.

ثم تغلب على تدلس سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وتجنى على مولانا السلطان أبي يحيى بما وقع بينهم من المراسلة أيام انتزاء ابن مخلوف ببجاية كما ذكرناه في أخباره، يحث عزائمه لمنازلتها وطلب بلاد الموحدين، وأوطأ عساكره أرضهم، ونازل أمصارهم بجاية وقسنطينة.

واختص بجاية بشوكته من ذلك، وجهز العساكر مع مسعود ابن عمه أبي عامر إبراهيم لمضايقتها.

وكان خلال ذلك ما قدمناه من خروج محمد بن يوسف بن يغمراسن عليه سنة وقيام بني توجين بأمره، واقتطاع جبل وانشريش من عمالة ملكه.

واستمرت الحال على ذلك حتى هلك السلطان أبو حمو سنة ثمان عشرة وسبعمائة وقام بأمرهم ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن فصنع له في ابن عمه محمد بن يوسف.

ونهض إليه بعساكر بني عبد الواد حتى نازله بمعتصمه من جبل وانشريش وداخله عمر بن عثمان كبير بني تيغرين في المكر به، فتقبض عليه وقتله سنة تسع عشرة وسبعمائة وارتحل إلى بجاية حتى احتل بساحتها، وامتنع عليه الحاجب ابن غمر فأقام يوماً أو بعضه، ثم انكفأ راجعاً إلى تلمسان، وردد البعوث إلى أوطان بجاية، وابتنى الحصون لتجمير الكتائب، فابتنى بوادي بجاية من أعلاه حصن بكر، ثم حصن تيمزيزدكت يليه.

ثم اختط بنيكلات على مرحلة منها بلداً سماه تيمزيزدكت على اسم المعقل الذي كان لأولهم بالجبل قبالة وجدة.

وامتنع يغمراسن به على السعيد كما قدمناه، فاختط بلد تيكلات هذه، وشحنها بالأقوات والعساكر، وصيرها ثغراً لملكه، وأنزل بها جنده، وعقد عليها لموسى بن علي العزفي كبير دولته، ودولة ابنه.

واستحثه أمراء الكعوب من بني سليم لملك إفريقية حين مغاضبتهم لمولانا السلطان أبي يحيى فأغرس معهم جيوش زناتة، وعقد على تونس للأعياص من آل أبي حفص: الأمير أبي عبد الله محمد بن أبي يحيى اللحياني، وأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عمران، وأبي إسحاق بن أبي يحيى الشهيد، مرة بعد أخرى كما ذكرناه في أخبارهم جميعاً.

وكانت حروبهم سجالاً إلى أن كان بين جيوش زناتة الموحدين الزحف المشهور بالرياش من نواحي مرماجنة سنة تسع وعشرين وسبعمائة زحفت فيه إلى السلطان أبي يحيى عساكر زناتة مع حمزة بن عمر أمير بني كعب، ومن إليه من البدو، وعليهم يحيى بن موسى من صنائع دولة آل يغمراسن.

وقد نصبوا للملك محمد بن أبي عمران بن أبي حفص، ومعهم عبد الحق بن عثمان من أعياص بني عبد الحق في بنيه وذويه، وكان نزع إليهم من عند الموحدين كما ذكرناه، فاختل مصاف مولانا السلطان أبي يحيى وانهزم، واستولوا على فساطيطه بما فيها من الذخيرة والحرم، وانتهبوا معسكره، وتقبضوا على

ولديه المولين أحمد وعمر، وأشخصوهما إلى تلمسان.

وأصيب السلطان في بدنه بجراحات أوهنته، وخلص إلى بونة ناجياً برمقة، وركب السفين منها إلى بجاية، فأقام بها يدامل جراحه، واستولت زناتة على تونس.

ودخلها محمد بن أبي عمران وسموه باسم السلطان ومقادته في يد يحيى بن موسى أمير زناتة.

واعتزم مولانا السلطان أبو يحيى على الوفادة على ملك المغرب السلطان أبي سعيد بنفسه صريخاً على آل يغمراسن.

وأشار حاجبه محمد بن سيد الناس بإنفاذ ابنه الأمير أبي زكريا صاحب الثغر استنكافاً له عن مثلها، فتقبل إشارته وأركب ابنه البحر لذلك.

وبعث إليه معه أبا محمد عبد الله بن تافراكين من مشيخة الموحدين نافضاً أمامه طرق المقاصد والمجاوزات، ونزلوا بغساسة من سواحل المغرب، وقدموا على السلطان أبي سعيد بحضرته، وأبلغوه صريخ مولانا السلطان أبي يحيى، فاهتز لذلك هو وابنه الأمير أبو الحسن، وقال للأمير في ذلك المحفل: يا بني لقد أكبر قومنا قصدك وموصلك، والله لأبذلن في مظاهرتكم مالي وقومي ونفسي، ولأسيرن بعساكري إلى تلمسان فأنزلها مع أبيك. فانصرفوا إلى منازلهم مسرورين.

وكان فيما شرطه عليهم السلطان أبو سعيد مسير مولانا السلطان أبي يحيى بعسكره إلى منازلة تلمسان معه فقبلوا.

ونهض السلطان أبو سعيد إلى تلمسان سنة ثلاثين وسبعمائة ولما انتهى إلى وادي ملوية وعسكر بصبرة، جاءهم الخبر اليقين باستيلاء السلطان أبي يحيى على حضرة تونس، وإجهاضه زناتة وسلطانهم عنها.

واستدعى مولانا السلطان الأمير أبا زكريا يحيى ابنه ووزيره أبا محمد عبد الله بن تافراكين وأمرهم بالانصراف إلى صاحبهم وأسنى جوائزهم وحاجاتهم، وركبوا أساطيلهم من غساسة وأرسل معهم للخطبة والصهر إبراهيم بن أبي حاتم العزفي والقاضي بحضرته أبا عبد الله بن عبد الرزاق، وانكفأ على عقبه راجعاً إلى حضرته.

ولما انعقد الصهر بين الأمير أبي الحسن، والسلطان أبي يحيى في ابنته شقيقة الأمير يحيى، زفها إليهم في أساطيله مع مشيخة من الموحدين: كبيرهم أبو القاسم بن عتو، ووصلوا بها إلى مرسى غساسة سنة إحدى وثلاثين بين يدي مهلك السلطان أبي سعيد، فقاموا بها على إقدام البر والتكرمة، وبعثوا الظهر إلى غساسة لركوبها وحمل أثقالها، وصيغت حكمات الذهب والفضة وقدت ولايا الحرير المغشاة بالذهب، واحتفل لوفداها وأعراسها غاية الاحتفال بما لم يسمع مثله في دولتهم.

وتولت قهارمة الدار من عجز من النساء ما يتولاه مثلهم من ذلك الصنيع، وتحدث الناس به، وهلك السلطان أبو سعيد بين يدي موصلها، والبقاء لله وحده.

## الخبر عن مهلك السلطان أبي سعيد عفا الله عنه وولاية ابنه السلطان أبي الحسن وما تخلل ذلك من الأحداث

كان السلطان لما بلغه وصول العروس بنت مولانا السلطان أبي يحيى سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة واهتزت الدولة لقدومها عليهم تعظيماً لحق أبيها وقومها واحتفاءً بها، ارتحل السلطان أبو سعيد إلى تازى ليشارف أحوالها بنفسه احتفاء في تكريمها وسروراً بعرس ابنه.

واعتل هنالك ومرض حتى أشفى على الهلاك، وارتحل به ولي العهد الأمير أبو الحسن إلى الحضرة، وحمله في فراشه على أكتاف الحاشية والخول، حتى نزل بسبو، ثم أدخله كذلك ليلاً إلى داره، وأدركته المنية في طريقه، فقضى رحمة الله عليه، فوضعوه بمكانه من البيت.

واستدعى الصالحين لمواراته، فووري لشهر ذي الحجة من سنة إحدى وثلاثين وستمائة والبقاء لله وحده، وكل شيء هالك إلا وجهه.

ولما هلك السلطان أبو سعيد اجتمع الخاصة من المشيخة ورجالات الدولة لولي عهده الأمير أبي الحسن، وعقدوا له على أنفسهم، وآتوه طاعتهم وبيعتهم، وأمر بنقل معسكره من سبو، وأضرب بالزيتون من ساحة فاس.

ولما ووري السلطان، خرج إلى معسكره بالتعبية، واجتمع إليه الناس على طبقاتهم لأداء البيعة، وجلس بفسطاطه، وتولى أخذ البيعة له يومئذ على الناس المزوار عبو بن قاسم رئيس الوزعة والمتصرفين وحاجب الباب القديم الولاية بذلك في دارهم منذ عهد السلطان يوسف بن يعقوب.

وزفت إليه ليلتئذ عروسه بنت السلطان أبي يحيى، فأعرس بها بمكانه من المعسكر، وأجمع أمره على الانتقام لأبيها من عدوه.

وبدأ باستكشاف حال أخيه أبي علي، وكان السلطان أبوهما يستوصيه به لما كان له بقلبه من العلاقة.

وكان ولي العهد هذا يؤثر لرضاه جهده، فاعتزم على الحركة إلى سجلماسة لمشارفة أحواله، والله تعالى أعلم.

## الخبر عن حركة السلطان أبي الحسن إلى سجلماسة وانكفائه عنها إلى تلمسان بعد الصلح مع أخيه والاتفاق

لما هلك السلطان أبو سعيد وكملت بيعة السلطان أبي الحسن، وكان كثيراً ما يستوصيه بأخيه أبي علي لما كان كلفاً به شفوقاً عليه، فأراد مشارفة أحواله قبل النهوض إلى تلمسان، فارتحل معسكره بالزيتون قاصداً سجلماسة، وتلقته في طريقه وفود الأمير أبي علي أخيه مؤدياً حقه، موجباً مبرته، مهنئاً له بما آتاه الله من الملك، متجافياً عن المنازعة فيه، قانعاً من تراث أبيه بما حصل في يده، طالباً العقد له بذلك من أخيه.

فأجابه السلطان أبو الحسن إلى ما سأل، وعقد له على سجلماسة وما إليها من بلاد القبلة كما كان لعهد أبيهما.

وشهد الملأ من القبيل وسائر زناتة والعرب، وانكفأ راجعاً إلى تلمسان لإجابة صريخ الموحدين، وأغذ السير إليها.

ولما انتهى إلى تلمسان تنكب عنها متجاوزاً إلى جهة المشرق لوعد مولانا السلطان أبي يحيى بالنزول معه على تلمسان، كما كان عليه وفاقهم ومشارطتهم مع الأمير أبي زكريا الرسول إليهم.

فاحتل بتاسالة في شعبان من سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وتلوم بها وأوعز إلى أساطيله بمراسي المغرب فأغزاها إلى سواحل تلمسان.

وجهز لمولانا السلطان أبي يحيى مدداً من عسكره أركبهم الأساطيل من سواحل وهران، وعقد عليهم لمحمد البطوي من صنائع دولته، ونزلوا بجاية، ووافوا بها مولانا السلطان أبا يحيى فصاروا في جملته.

ونهضوا معه إلى تيكلات ثغر بني عبد الواد المجمرة بها الكتائب لحصار بجاية، وبها يومئذ ابن هزرع من قوادهم، وأجفل من كان بها من العسكر قبل وصوله إليهم، فلحقوا بآخر عملهم من المغرب الأوسط.

وأناخ مولانا السلطان أبو يحيى عليها بعساكره من الموحدين والعرب والبربر وسائر الحشود، فخربوا عمرانها وانتهبوا ما كان من الأقوات مختزناً بها، وكان بحراً لا يدرك ساحله، لما كان السلطان أبو حمو من لدن اختطها قد أوعز إلى العمال بسائر البلاد الشرقية، من عمل البطحاء أن ينقلوا أعشار الحبوب إليها وسائر الأقوات، وتقبل ابنه السلطان أبو تاشفين مذهبه في ذلك.

ولم يزل دأبهم إلى حين حلت بها هذه الفاقرة فانتهب الناس من تلك الأقوات ما لا كفاء له.

وأضرعوا مختطها بالأرض فنسفوها نسفاً، وذروها قاعاً صفصفاً.

والسلطان أبو الحسن خلال ذلك متشوف لأحوالهم منتظر قدوم مولانا السلطان أبي يحيى بعساكره عليه لمنازلة تلمسان، حتى وافاه الخبر بانتقاض أخيه كما نذكره، فانكفأ راجعاً، واتصل الخبر بمولانا السلطان أبي يحيى فقفل إلى حضرته.

وحمل البطوي معه وأسنى جائزته وجوائز عسكره، وانصرفوا إلى السلطان مرسلهم في سفنهم من ساعتها، وانقبض عنان السلطان أبي تاشفين عن غزو بلاد الموحدين إلى أن انقرض أمره، والبقاء لله وحده.

## الخبر عن انتقاض الأمير أبي علي ونهوض السلطان أبي الحسن إليه وظفره به

لما توغل السلطان أبو الحسن في غزاة تلمسان وتجاوزها إلى تاسالة لوعد مولانا السلطان أبي يحيى، دس أبو تاشفين إلى الأمير أبي علي في اتصال اليد والاتفاق على السلطان أبي الحسن، وأن يأخذ كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه متى هم به، وانعقد بينهما على ذلك.

وانتقض الأمير أبو علي على أخيه السلطان أبي الحسن، ونهض من سجلماسة إلى درعة فقتل بها عامل السلطان، واستعمل عليها من ذويه، وسرح العسكر إلى بلاد مراكش.

واتصل الخبر بالسلطان وهو بمعسكره بتاسالة، فأحفظه شأنه، وأجمع على الانتقام منه، فانكفأ راجعاً إلى الحضرة.

وأنزل بثغر تاوريرت تخم عمله معسكراً، وعقد عليه لابنه تاشفين، وجعله إلى نظر وزيره منديل بن حمامة بن تيربيغين، وأغذ السير إلى سجلماسة، فنزل عليها وأحاطت عساكره بها، وأخذ بمخنقها وحشد الفعلة والصناع لعمل الآلات لحصارها، والبناء بساحتها.

وأقام يغاديها القتال ويراوحها حولاً كريتاً.

ونهض أبو تاشفين في عساكره وقومه إلى ثغر المغرب ليوطئه عساكره، وبعث في نواحيه يجاذب السلطان عن مكانه من حصاره.

ولما انتهى إلى تاوريرت برز إليه ابن السلطان في وزرائه وعساكره، وزحفوا إليه في التعبية، فاختل مصافه وانهزم ولم يلق أحداً، وعاد إلى منحجزه وبادر إلى إمداد الأمير أبي علي بعسكره، فعقد على حصة من جنده وبعث بهم إليه، فتسربوا إلى البلد زرافات ووحداناً حتى استكملوا عنده، وطاولهم السلطان الحصار وأنزل بهم أنواع الحرب والنكال حتى تغلب عليهم، واقتحم البلد عنوة، وتقبض على الأمير أبي علي عند باب قصره، وسيق إلى السلطان فأمهله واعتقله، واستولى على ملكه.

وعقد على سجلماسة واستعمل عليها، ورحل منكفئاً إلى الحضرة، فاحتل بها سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة واعتقل أخاه في إحدى حجر القصر إلى أن قتله لأشهر من اعتقاله خنقاً بمحبسه.

وعذر له هذا الفتح بفتح الجبل واسترجاعه من يد العدو ودمره الله بأيدي عسكره، وتحت راية ابنه أبي مالك، كما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن منازلة جبل الفتح واستئثار الأمير أبي مالك والمسلمين به

لما هلك السلطان أبو الوليد ابن الرئيس أبي سعيد المتغلب على ملك الأندلس من يد ابن عمه أبي الجيوش، قام بالأمر من بعده ابنه محمد طفلاً صغيراً لنظر وزيره محمد بن المحروق من بيوت الأندلس وصنائع الدولة، واستبد عليه.

فلما شب وناهز أنف من الاستبداد عليه، وأغراه المعلوجي من حشمه بالوزير، فاغتاله وقتله سنة تسع وعشرين وسبعمائة وشمر للاستبداد وشد أواخي الملك.

وكان الطاغية قد أخذ جبل الفتح سنة تسع، وجاورت النصرانية به ثغور الفرضة، وكان شجى في صدرها، وأهم المسلمين شأنه.

وشغل عنهم صاحب المغرب بما كان فيه من فتنة ابنه، فرجعوا الجزيرة وحصونها إلى ابن الأحمر منذ سنة اثنتي عشر وسبعمائة لأول المائة الثامنة.

واستغلظ الطاغية عليهم بعد ذلك فرجعوا الجزيرة إلى صاحب المغرب سنة تسع وعشرين وسبعمائة وولى عليها السلطان أبو سعيد من أهل دولته سلطان بن مهلهل من عرب الخلط أخواله.

وأسف الطاغية إلى حصونها عند مهلك السلطان أبي سعيد فملك أكثرها، ومنع البحر من الإجازة، وقارن ذلك استبداد صاحب الأندلس، وقتله لوزيره ابن المحروق، وأهمه شأن الطاغية، فبادر إلى إجازة البحر.

ووفد على السلطان أبي الحسن بدار ملكه من فاس سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فأكبر موصله وأركب الناس للقائه، وأنزله بروض المصارة لصق داره، واستبلغ في تكريمه.

وفاوضه ابن الأحمر في شأن المسلمين وراء البحر، وما أهمهم من عدوهم، وشكا إليه حال الجبل واعتراضه شجىً في صدر الثغور، فأشكاه السلطان، وعامل الله في أسباب الجهاد، وكان مشغوفاً به متقبلاً مذهب جده يعقوب فيه.

وعقد لابنه الأمير أبي مالك على خمسة آلاف من بني مرين، وأنفذه مع السلطان محمد بن إسماعيل لمنازلة الجبل، فاحتل بالجزيرة، وتتابع إليه الأسطول بالمدد.

وأرسل ابن الأحمر حاشرين في الأندلس، فتسايلوا إليه، وأضربوا معسكرهم جميعاً بساحة الجبل، وأبلوا في حربه ومنازلته البلاء الحسن، إلى أن تغلبوا عليه سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة واقتحمه المسلمون عنوة، ونفلهم الله من كان به من النصرانية بما معهم، ووافاه الطاغية بأمم الكفر لثالثة فتحه، وقد شحنه المسلمون بالأقوات، نقلوها من الجزيرة على خيولهم، وباشر نقلها الأمير أبو مالك وابن الأحمر، فنقلها الناس عامة.

وتحيز الأمير أبو مالك إلى الجزيرة وترك بالجبل يحيى بن طلحة بن محلى من وزراء أبيه.

ووصل الطاغية بعد ثلاث فأناخ عليه، وبرز أبو مالك بعساكره، فنزل قبالته وبعث إلى الأمير أبي عبد الله صاحب الأندلس، فوصل بحشد المسلمين بعد أن دوخ أرض النصرانية.

وخرج فنزل بإزاء عسكر الطاغية، وتحصن العدو في محلتهم.

وأقاموا كذلك عادية لقرب العهد بارتجاعه، وخفة ما به من الحامية والسلاح، فبادر السلطان ابن الأحمر إلى لقاء الطاغية.

وسبق الناس إلى فسطاطه عجلاً بائعاً نفسه من الله في رضى المسلمين، وسد فرجتهم، فتلقاه الطاغية راجلاً حاسراً

إعظاماً لموصله، وأجابه إلى ما سأل من الإفراج عن هذا المعقل، واتحفه بذخائر مما لديه، وارتحل لفوره.

وأخذ الأمير أبو مالك في تثقيف أطراف الثغر، وسد فروجه، وأنزل الحامية به، ونقل الأقوات إليه، وكان فتحاً طوق دولة السلطان أبي الحسن قلادة الفخر إلى آخر الأيام.

ثم رجع بعدها إلى شأنه من منازلة تلمسان وحصاره، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن حصار تلمسان وتغلب السلطان أبي الحسن عليها وانقراض أمر بني عبد الواد بمهلك أبي تاشفين

لما تغلب السلطان على أخيه وحسم علة انتزائه ومنازعته وسد ثغور المغرب، وعظمت لديه نعمة الله بظهور عسكره على النصرانية، وارتجاع جبل الفتح من أيديهم بعد أن أقام في ملكة الطاغية نحواً من عشرين سنة، فرغ لعدوه وأجمع على غزو تلمسان.

ووفد عليه رسل السلطان أبي يحيى في سبيل التهنئة بالفتح والأخذ بحجزة أبي تاشفين على الثغور.

وأوفد السلطان إلى أبي تاشفين شفعاء في أن يتخلى عن عمل الموحدين جملة، ولتراجع لهم عن تدلس، ويرجع إلى نحوم عمله منذ أول الأمر، ولو عامئذ ليعلم الناس جاه السلطان عند الملوك، ويقدروه حق قدره، واستنكف أبو تاشفين مع ذلك ولج وأغلظ للرسل في القول، وأفحش بمجلسه بعض السفهاء من العبيد في الرد عليهم والنيل من مرسلهم، فانقلبوا إليه بما أحفظه، فانبعثت عزائم السلطان للصمود إليهم.

وعسكر بساحة البلد الجديد، وبعث وزراءه إلى قاصية البلاد المراكشية لحشد القبائل والعساكر، ثم تعجل فاعترض جنوده وأزاح عللهم وعبى مواكبه، وسار في التعبية، وفصل بمعسكره من فاس أواسط خمس وثلاثين وسبعمائة وسار بجر الشوك والمدر من أمم المغرب وجنوده، ومر بوجدة، فجمر الكتائب لحصارها.

ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم واقتحمها، فقتل حاميتها واستولى عليها آخر سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ثم سار على تعبيته حتى أناخ على تلمسان، وبلغه الخبر بتغلب عساكره على وجدة سنة ست وثلاثين وسبعمائة فأوعز إليه بتخريب أسوارها، فاضرعوها بالأرض.

وتوافت إليه إمداد النواحي وجهاتها وحشودها، وربض على فريسته، ووفدت إليه قبائل مغراوة وبني توجين فأتوه طاعتهم.

ثم سرح عساكره إلى الجهات فتغلب على وهران وهنين، ثم على مليانة وتنس والجزائر كذلك سنة ست وثلاثين وسبعمائة ونزع إليه يحيى بن موسى صاحب القاصية الشرقية من عمله، والمتاخم كان لعمل الموحدين، والقائم بحصار بجاية بعد نكبة موسى بن علي فلقاه مبرة وتكريماً، ورفع مجلسه في بساطه ونظمه في طبقات وزرائه وجلسائه.

وعقد على فتح البلاد الشرقية ليحيى بن سليمان العسكري كبير بني عسكر بن محمد وشيخ بني مرين، وصاحب شوراهم بمجلس السلطان، والمخصوص بالصهر من السلطان، عقد له على ابنته فسار في الألوية والجنود وطوع ضاحية الشرق وقبائله، وافتتح أمصاره حتى انتهى إلى المرية.

ونظم البلاد في طاعة السلطان، وأحشد مقاتلتها إلى معسكره فلحقوا له وكاثروا جنوده.

واستعمل السلطان على وانشريش وعمل الحشم من بني توجين.

وعقد لسعد بن سلامة بن علي على كل بني يدللتن، وجعل الوالي بالقلعة إلى نظره، وكان خلص إليه بالمغرب قبل فصوله نازعاً عن أبي تاشفين لمكان أخيه قريعه محمد من الدولة.

واستعمل السلطان أيضاً على شلف وسائر أعمال المغرب الأوسط.

واختط السلطان بغربي تلمسان البلد الجديد لسكناه، ونزل عساكره وسماه المنصورية، وأدار على البلد المخروب سياجاً من السور ونطاقاً من الخندق، ونصب المجانيق والآلات من وراء خندقه وشيد قبالة كل برج من أبراج البلد برجاً على ساقة خندقه ينضح رماته بالنبل رماتهم، ويشغلونهم بأنفسهم حتى شيد برجاً آخر أقرب منه، وترتفع شرفاته فوق خندقهم.

ولم يزل يتقرب بوضع الأبراج من حد إلى ما بعده، حتى اختطها من قرب على ساقه خندقهم.

وتماصع المقاتلة بالسيوف من أعاليها، ورتب المجانيق إلى رجمها ودكها، فنالت من ذلك فوق الغاية، واشتد الحرب وضاق نطاق الحصار.

وكان السلطان يصحبهم كل يوم بالبكور والتطواف على

البلد من جميع جهاته لتفقد المقاتلة في مراكزهم، وربما ينفرد في طوافه بعض الأيام عن حاشيته، فاهتبلوا الأمر يحسبونه غرة.

وصفوا جيوشهم من وراء السور مما يلي الجبل المطل على البلد، حتى إذا حاذاه السلطان في تطوافه فتحوا أبوابهم، وأرسلوا عليه عقبان جنودهم، واضطروه إلى سفح الجبل حتى لحق بأوعاره، وكاد أن ينزل عن فرسه هو ووليه عريف بن يحيى أمير سويد.

ووصل الصائح إلى المعسكر فركب الأميران ابناه: أبو عبد الرحمن وأبو مالك، في جموع بني مرين، وتهاوت فرسان المعسكر من كل جانب، فشمر جنود بني عبد الواد إلى مراكزهم، ثم دفعوهم عنها، وحملوهم على هوة الخندق فتطارحوا فيه وترادفوا وهلك بالكظيظ أكثر ممن هلك بالقتل.

واستلحم في ذلك اليوم زعماء ملاحهم مثل عمر بن عثمان كبير الحشم من بني توجين، ومحمد بن سلامة بن علي كبير بني يدللتن منهم أيضاً وغيرهم، وكان يوماً له ما بعده، واعتز بنو مرين عليهم من يومئذ، ونذر بنو عبد الواد بالتغلب عليهم، واتصلت الحرب مدة عامين.

ثم اقتحمها السلطان غلاباً لسبع وعشرين من رمضان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، ووقف أبو تاشفين بساحة قصره مع خاصته، وقاتل هنالك حتى قتل ابناه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن علي ووليه عبد الحق بن عثمان بن محمد من أعياص عبد الحق، نزع إليه من جملة الموحدين كما أشرنا إليه ونستوفي خبره، فهلك هو وابنه وابن أخيه، وأثخنت السلطان أبا تاشفين الجراحة ووهن لها، فتقبض عليه.

واحتقبه بعض الفرسان إلى السلطان فلقيه الأمير أبو عبد الرحمن صالي تلك الحروب وأورد غمرتها بنفسه، فاعترضه وقد غض الطرف بموكبه، فأمر به في الحين فقتل، واحتز رأسه، وسخط ذلك السلطان من فعله لحرصه على توبيخه وتقريعه، وذهب مثلا في الغابرين.

واقتحم السلطان بكافة عساكره، وتواقع الناس بباب كشوط لجنوبهم من كظيظ الزحام، فهلك منهم أمم.

وانطلقت أيدي النهب على البلد فلحقت الكثير من أهله معرات في أموالهم وحرمهم، وخلص السلطان إلى المسجد الجامع مع لمة من خواصه وحاشيته.

واستدعى شيوخ الفتيا بالبلد: أبو زيد وأبو موسى ابنا الإمام، وفاء بحق العلم وأهله، فخلصوا إليه بعد الجهد ووعظوه وذكروه بما نال الناس من النهب، فركب لذلك بنفسه وسكن وأوزع جنوده وأشياعه من الرعية، وقبض أيديهم عن الفساد وعاد إلى معسكره بالبلد الجديد.

وقد كمل الفتح وعز النصر، وشهد ذلك اليوم أبو محمد عبد الله بن تافراكين، وافاه رسولاً عن مولانا السلطان أبي يحيى مجدداً للعهد، فأعجله السلطان إلى مرسله بالخبر وسابق السابقين.

ودخل تونس لسبع عشرة ليلة من نوبة الفتح، فعظم السرور عند السلطان أبي يحيى بمهلك عدوه والانتقام منه بشارة، واعتدها بمساعيه.

ورفع السلطان أبو الحسن القتل عن بني عبد الواد أعدائهم، وشفى نفسه بقتل سلطانهم، وعفا عنهم وأثبتهم في الديوان، وفرض لهم العطاء، واستتبعهم على راياتهم ومراكزهم.

وجمع كلمة بني واسين من بني مرين وبني عبد الواد وتوجين، وسائر زناتة وأنزلهم ببلاد المغرب وسد بكل طائفة منهم ثغراً من أعماله، وساروا عصباً تحت لوائه، فأنزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة، وأجاز منهم إلى ثغور عمله بالأندلس حامية ومرابطين، واندرجوا في جملته، واتسع نطاق ملكه.

وأصبح ملك زناتة بعد أن كان ملك بني مرين وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان المغرب.

والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

## الخبر عن نكبة الأمير عبد الرحمن بمتيجة وتقبض السلطان عليه ثم مهلكه آخراً

قد قدمنا ما كان من اشتراط السلطان أبي سعيد على الموحدين منازلتهم، تلمسان مع عساكره، وتلوم السلطان أبي الحسن بتاسالة لانتظار مولانا السلطان أبي يحيى.

ولما نازل تلمسان بعساكره المرة الثانية، لم يطالبهم بذلك.

وكان أبو محمد بن تافراكين يتردد إليه وهو بمعسكره من حصار تلمسان مؤدياً حقه مستخبراً مآل عدوهم.

فلما تغلب على تلمسان أسر إليه سفيره أبو محمد بن تافراكين بأن سلطانه قادم عليه للقائه وتهنئته بالظفر بعدوه.

وتشوف السلطان أبو الحسن إليها لما كان يحب الفخر ويعنى به، وارتحل من تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، وعسكر ببسيط بمتيجة منتظراً وفادة مولانا السلطان أبي يحيى عليه.

وتكاسل السلطان عنها لما أراه سيفه المتحكم في دولته محمد بن الحكيم من حذر مغبتها، وقال له: إن لقاء سلطانين لا يتفق إلا في يوم على أحدهما، فكره ذلك السلطان وتقاعد عنه. وطال مقام السلطان أبي الحسن في انتظار الموعد الذي ألقى إليه أبو محمد بن تافراكين، واعتل لأشهر من مقامه ومرض بفسطاطه، وتحدث أهل المعسكر بهلكه.

وكان ابناه الأمير أبو عبد الرحمن وأبو مالك متناغين في ولاية عهده منذ أيام جدهما أبي سعيد.

وكان السلطان قد جعل لهما من أول دولته ألقاب الإمارة وأحوالها من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين وإثبات العطاء.

واستلحاق الفرسان والانفراد بالعساكر، فكانا من ذلك على ثبج، وجعل لهما مع ذلك الجلوس لمقعد فصله، مناوبة لتنفيذ الأوامر السلطانية، فكانا لذلك رديفين له في سلطانه.

ولما اشتد وجع السلطان تمشت سماسرة الفتن بين هذين الأميرين وحزب أهل المعسكر لهما أحزاباً، وبث كل واحد منهما المال وحمل على القربات، وصارت شيعاً وانقسموا فرقاً.

وهم الأمير أبو عبد الرحمن بالتوثب على الأمر قبل أن يتبين حال السلطان بإغراء وزرائه وبطانته بذلك.

وتفطن خاصة السلطان لها، فأخبروه الخبر وحضوه على الخروج إلى الناس قبل أن يتفاقم الأمر ويتسع الخرق، فبرز إلى فسطاط جلوسه وتسامح أهل المعسكر به، فازدحموا على مجلسه وتقبيل يده.

وتقبض على أهل الظنة من العسكر، فأودعهم السجن وسخط على الأميرين، ورحل الناس من معسكرهما، فردهما إلى معسكره.

ثم رجع إلى فسطاطه فارتاب الأميران لذلك ووجما، وطفئت نار فتنتهما وسكن سعي المفسدين عندهما وانتبذ الناس عنهما.

فاشتدت روعة الأمير أبي عبد الرحمن، وركب من فساطيطه وخاص الليل، وأصبح بحلة أولاد زغلى أمراء زغبة الموطنين بأرض حمزة، فتقبض عليه أميرهم موسى بن أبي الفضل، ورده إلى أبيه، فاعتقله بوجدة، ورتب العيون لحراسته من حشمه إلى أن قتله بعد ذلك سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، توثب بالسجان فقتله.

وأنفذ السلطان حاجبه علال بن محمد فقضى عليه.

ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاسي بالموحدين فأجاروه.

ورضي السلطان صبيحة نزوع أبي عبد الرحمن عن أخيه أبي مالك، وعقد له على ثغور عمله بالأندلس، وصرفه إليها، وانكفأ إلى تلمسان، والله أعلم.

## الخبر عن خروج ابن هيدور وتلبيسه بأبي عبد الرحمن

لما تقبض السلطان على ابنه عبد الرحمن وأودعه السجن، تفرق خدمه وحشمه واندعروا في الجهات.

وهمل جازر من مطبخه، كان يعرف بابن هيدور، كان شبيهاً له في الصورة، فلحق ببني عامر من زغبة، وكانوا لذلك العهد منحرفين عن الطاعة، خوارج على الدولة لما كان السلطان وأبوه قد اختصا عريف بن يحيى أمير بني سويد أقتالهم، منذ نزع إليهم عن أبي تاشفين، فركبوا سنن الخلاف ولبسوا جلدة النفاق، وانتبذوا بالقفار، ورياستهم لذلك العهد لصغير بن عامر، وإخوته.

وعقد السلطان على حربهم لونزمار ابن وليه عريف، وكان سيد البدو يومئذ، فجمع لهم وشمر لطلبهم، وأبعدوا إمامه في المذاهب، وأوقع بهم مراراً.

ولحق بهم هذا الجازر، وانتسب لهم إلى السلطان أبي الحسن وأنه أبو عبد الرحمن ابنه النازع عنه، فشبه لهم وبايعوه وأجلبوا به على نواحي المدية.

وبرز إليهم قائدها مجاهد من صنائع الدولة، ففضوا جمعه وانهزم أمامهم.

ثم جمع لهم ونزمار وفروا عن تلك النواحي وافترق جمعهم، ونبذوا لذلك الجازر عهده، فلحق ببني يراتن من زواوة، ونزل على سيدتهم شمسي فقامت بأمره، وحمل بنوها من بني عبد الصمد قومهم على طاعته.

وشاع في الناس خبره: فمن مصدق ومن مكذب حتى تبينت حاله ووقفوا على كذبه في انتسابه، فنبذوا عهده ولحق بالدواودة أمراء رياح، ونزل على سيدهم يعقوب بن علي، وانتسب له في مثل ذلك النسب، فأجاره إلى أن صدق نسبه.

وأوعز السلطان إلى مولانا السلطان أبي يحيى في شأنه، فبعث إلى يعقوب بن علي فيه وأرسل إليه زيان بن عمر وزير أبي

عبد الرحمن النازع إليهم فكشف لهم عن خبثه فتقبض عليه يعقوب وأشخصه إلى السلطان مع ذويه، فلحق به بمكانه من سبتة فامتحنه السلطان وقطعه من خلاف وانحسم داؤه، وبقي بالمغرب تحت جراية من الدولة إلى أن هلك سنة ثمان وستين وسبعمائه والله تعالى أعلم.

## الخبر عن شأن الجهاد وإغزاء السلطان ابنه الأمير أبا مالك واستشهاده

لما فرغ السلطان من أمر عدوه وما تبع ذلك من الأحوال، صرف اعتزامه إلى الجهاد لما كان كلفاً به.

وكان الطاغية منذ شغل بنو مرين عن الجهاد منذ عهد يوسف بن يعقوب وقد اعتزوا على المسلمين بالعدوة، ونازلوا معاقلهم، وتغلبوا على الكثير منها، وارتجعوا الجبل ونازلوا السلطان أبا الوليد في عقر داره بغرناطة، ووضعوا عليهم الجزية فتقبلوها وأسفوا إلى التهام المسلمين بالأندلس.

فلما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وغلب على الأيدي يده، وانفسح نطاق ملكه، دعته نفسه إلى الجهاد.

وأوعز إلى ابنه الأمير أبي مالك أمير الثغور من عمله من الدعوة سنة أربعين وسبعمائة بالدخول إلى دار الحرب.

وجهز إليه العساكر من حضرته وأنفذ إليه السوزراء، فشخص غازياً في الحجفل، وتوغل في بلاد الطاغية واكتسحها، وخرج بالسبي والغنائم إلى أدنى صدره من أرضهم وأناخ بها.

واتصل به الخبر بأن النصارى جمعوا له، وأغذوا السير في اتباعه، وأشار عليه الملأ بالخروج من أرضهم وإجازة الوادي الذي كان تخماً بين أرض الإسلام ودار الحرب، وأن يسير إلى مدن المسلمين فيمتنع بها، فلج في إبايته وصمم عل التعريس.

وكان قدماً ثبتاً إلا أنه غير بصير بالحروب لمكان سنه، فصبحتهم عساكر النصرانية في مضاجعهم قبل أن يركبوا وخاطبوهم في أبايتهم.

وأدرك الأمير أبو مالك قبل أن يستوي على فرسه فجدلوه واستلحموا الكثير من قومه، واحتووا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين، ورجعوا على أعقابهم.

واتصل الخبر بالسلطان فتفجع لهلاك ابنه، واسترحم له، واحتسب عند الله أجره وفي سبيله قتله، وشرع في إجازة العساكر للجهاد وتجهيز الأساطيل.

## الخبر عن واقعة الملند والظفر به وظهور أساطيل المسلمين على أسطول النصارى

لما بلغ الخبر إلى السلطان باستشهاد ابنه، أخرج وزراءه إلى السواحل لتجهيز الأساطيل، وفتح ديوان العطاء، واعترض الجنود وأزاح عللهم، واستنفر أهل المغرب وارتحل إلى سبتة ليباشر أحوال الجهاد، وتسامعت أمم النصرانية بذلك، فاستعدوا للدفاع، وأخرج الطاغية أسطوله إلى الزقاق ليمنع السلطان من الإجازة.

واستحث السلطان أساطيل المسلمين من مرسى العدوة، وبعث إلى الموحدين بتجهيز أسطولهم إليه، فعقدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية من صنائع دولتهم، وأوفى سبتة في ستة عشر من أساطيل إفريقية، كان فيها من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية.

وتوافت أساطيل المغربين بمرسى سبتة تناهز المائة، وعقد السلطان عليها لمحمد بن علي العزفي الذي كان صاحب سبتة يوم فتحها، وأمره بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق، وقد اكتمل عديدهم وعدتهم، فاستلأموا وتظاهروا في السلاح، وتزاحموا إلى أسطول النصارى وتواقفوا ملياً.

ثم قربوا الأساطيل بعضها إلى بعض وقرنوها للمصاع، فلم يكن إلا كلا ولا حتى هبت ريح النصر، وأظفر الله المسلمين بعدوهم، وخالطوهم في أساطيلهم واستلحموهم قهراً بالسيوف، وطعناً بالرماح، وألقوا أشلاءهم في اليم وقتلوا قائدهم الملند واستاقوا أساطيلهم مجنوبة إلى مرسى سبتة، فبرز الناس لمشاهدتها وطيفت بكثير من رؤوسهم في جوانب البلد، ونظمت أصفاد الأسرى بدار الإنشاء.

وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة، وأنشدت الشعراء بين يديه، وكان يوماً من أغرّ الأيام، والمنة لله سبحانه.

## الخبر عن واقعة طريف وتمحيص المسلمين

لما ظفر المسلمون بأسطول النصارى وخضدوا شوكتهم عن ممانعة الجواز، شرع السلطان في إجازة العسكر الغزاة من المرتزقين، وانتظمت الأساطيل بسلسلة واحدة من العدوة إلى العدوة.

ولما استكمل إجازة العساكر أجاز هو في أسطوله وخاصته وحشمه آخر سنة أربعين وسبعمائة ونزل بساحة طريف وأناخ بعساكره عليها، واضطرب معسكره بفنائها، وبدأ بمنازلتها.

ووافاه سلطان الأندلس أبو الحجاج ابن السلطان أبي الوليد بعسكر الأندلس من غزاة زناتة وحامية الثغور ورجل البدو، فعسكروا حذو معسكره وأحاطوا بطريف نطاقاً واحداً، وأنزلوا بهم أنواع القتال، ونصبوا عليها الآلات.

وجهز الطاغية أسطولاً آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر، وطال ثواهم بمكانهم من حصار البلد، ففنيت أزودتهم وافتقدوا العلوفات، فوهن الظهر واختلت أحوال المعسكر.

واحتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتغال صاحب أشبونة، وغرب الأندلس، فجاء معه في قومه، وزحف إليهم لستة أشهر من نزولهم.

ولما قرب معسكرهم سرب إلى طريف جيشاً من النصارى أكمنهم بها، فدخلوها ليلاً على حين غفلة من العسس الذي أرصد لهم.

وأحسوا بهم آخر ليلتهم، فثاروا بهم من مراصدهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد، فقتلوا منهم عدداً ولبسوا على السلطان بأنه لم يدخل البلد سواهم حذراً من سطوته.

وزحف الطاغية من الغد في جموعه، وعبأ السلطان عساكر المسلمين صفوفاً، وتزاحفوا. ولما نشبت الحرب برز الجيش الكمين من البلد وخالفوهم إلى المعسكر، وعمدوا إلى فساطيط السلطان ودافعهم عنها الناشبة الذين أعدوا لحراستها فاستلحموهم.

ثم دافعهم النساء عن أنفسهن فقتلوهن وخلصوا إلى حظايا السلطان: عائشة بنت عمه أبي يحيى بن يعقوب، وفاطمة بنت مولانا السلطان أبي يحيى ملك إفريقية، وغيرهما من حظاياه فقتلوهن واستلبوهن.

وانتهبوا سائر الفساطيط وأضرموا المعسكر ناراً وأحس المسلمون بما وراءهم في معسكرهم فاختل مصافهم وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان ابن السلطان صمم في طائفة من قومه وذويه حتى خالطهم في صفوفهم، فأحاطوا به وتقبضوا عليه، وولى السلطان متحيزاً إلى فئة المسلمين، واستشهد كثير من الغزاة ووصل الطاغية إلى فسطاط السلطان من المحلة وانكر قتل النساء والولدان، ووقف منها بمنتهى أثره، وانكفأ راجعاً إلى بلاده، ولحق ابن الأحمر بغرناطة، وخلص السلطان إلى الجزيرة، ثم إلى الجبل، ثم ركب السفين إلى سبتة في ليلته ومحص الله المسلمين وأجزل ثوابهم، وأرجأ لهم الكرة على عدوهم.

## الخبر عن منازلة الطاغية الجزيرة، ثم تغلبه عليها بعد أن غاب على القلعة من ثغور ابن الأحمر

لما رجع الطاغية من واقعة طريف استأسد على المسلمين بالأندلس، وطمع في التهامهم، وجمع عساكر النصرانية، ونزل قلعة بني سعيد ثغر غرناطة، وعلى مرحلة منها. وجمع الآلات والأيدي على حصارها، واشتد مخنقها وأصابهم الجهد من العطش، فنزلوا على حكمه سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وأدال الله الطيب منها بالخبيث، وانصرف إلى بلده.

وكان السلطان أبو الحسن لما أجاز إلى سبتة أخذ نفسه بالعودة إلى الجهاد لرجع الكرة وبعث في الأمصار للاستنفار، وأخرج قواده إلى سواحل البحر لتجهيز الأساطيل حتى أكمل له منها عدد.

ثم ارتحل إلى سبتة لمشارفتها، وقدم عسكره إلى العدوة مع وزيره عسكر بن تاحضريت.

وبعث على الجزيرة محمد بن العباس بن تاحضريت من قرابة الوزير، وبعث إليها مدداً من العسكر مع موسى بن إبراهيم اليرنياني من المرشحين للوزارة ببابه، وبلغ الطاغية خبره فجهز أسطوله وأجراه إلى بحر الزقاق لمدافعته.

وتلاقت الأساطيل فمحص الله المسلمين واستشهد منهم أعداد وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق وملكوه دون المسلمين وأقبل الطاغية من إشبيلية يجر عساكر النصرانية حتى أناخ بها على الجزيرة الخضراء مرقى أساطيل المسلمين وفرضة الجاز، وأمل أن ينظمها في ملكته مع جارتها طريف، وحشد الفعلة والصناع للآلات، وجمع الأيدي عليها وطاولها الحصار، واتخذ أهل المعسكر بيوتاً من الخشب للمطاولة.

وجاء السلطان أبو الحجاج بعساكر الأندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح في سبيل الممانعة.

وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبتة يسرب إليها المدد من الفرسان والمال والزرع في أحايين الغفلة من أساطيلهم، وتحت جناح الليل، فلم يغنهم ذلك، واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد.

وأجاز إليه السلطان أبو الحجاج يفاوضه في شأن السلم مع الطاغية، بعد أن أذن له الطاغية في الإجازة مكراً به.

وترصدته بعض الأساطيل في طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا إلى الساحل بعد غص الريق، وضاقت أحوال هذه الجزيرة ومن كان بها من عساكر السلطان، وسألوا من الطاغية الأمان على أن ينزلوا عن البلد فبذله وخرجوا فوفى لهم.

وأجازوا إلى المغرب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة فأنزلهم السلطان ببلاده خير نزل، ولقاهم من المبرة والكرامة ما أعاضهم مما فاتهم، أو خلع عليهم وحملهم وأجازهم بما تحدث به الناس.

وتقبض على وزيره عسكر بن تاحضريت عقوبة على تقصيره في المدافعة، مع تمكنه منها لما كان لديه من العساكر.

وانكفأ السلطان إلى حضرته موقناً بظهور أمر اللّه، وإنجاز وعده في رجوع الكرة وعلو الدين، واللّه متم نوره ولو كره الكافرون.

## الخبر عن شفاعة صاحب تونس في أولاد أبي العلاء ووصولهم إلى السلطان

كان عثمان بن أبي العلاء من أعياص آل عبد الحق، شيخ الغزاة المجاهدين من زناتة والبربر بالأندلس.

وكان له فيها مقام معلوم في حماية الثغور ومدافعة العدو، وغزو دار الحرب، ومساهمة صاحب الأندلس الجهاد كما نستوفي في أخباره.

وكان السلطان أبو سعيد لما استصرخ به أهل الأندلس اعتذر بمكانه بينهم، واشترط عليهم أن يمكنوه من قياده حتى يقضي نوبة الجهاد، فلم يسعفوه بذلك.

ولما هلك عثمان بن أبي العلاء، قام بالأمر من بعده في مراسم الجهاد بنوه وكانوا يرجعون في رياستهم إلى كبيرهم أبي ثابت عامر.

وقويت عصابتهم والأبناء والموالي، وغلبت على يد السلطان يدهم، واستبدوا عليه في أكثر الأحوال، واستنكف لها، وكان ذلك مما دعاه إلى القدوم على السلطان أبي الحسن.

وارتاب بنو أبي العلاء بإجازته إليه، واتهموه على أنفسهم، واستعدهم إلى منازلة جبل الفتح على كره.

فلما تغلب المسلمون عليه، وقضى ابن الأحمر من مدافعة الطاغية عنه بالرغبة ما قضى كما ذكرناه، واعتزم على القفول إلى حضرته، أجمعوا على الفتك به في طريقه.

وداخلوا في ذلك مواليه من المعلوجي لما أسفهم به من إرهاف حده والتضييق عليهم في جاهه، فبرموا وطووا على النكث، حتى إذا وجدوا من أبي العلاء داعية إلى ذلك، خفوا إلى إجابتها ونذر بهم محمد بن الأحمر فبعث عن السفين تعرضه في طريقه وساحل إليه، وتسابقوا لشأنهم قبل فوته، فأدركوه دون حصن أصطبونة، وعتبوه فاستعتب، وأغلظوا له في القول، وقتلوا مولاه عاصماً صاحب ديوان العطاء تجنياً عليه.

ونكر السلطان ذلك فتناولوه بالرماح طعناً حتى قعصوه.

ورجعوا إلى المعسكر فاستدعوا من كان داخلهم من الموالي.

وجاؤوا بأخيه أبي الحجاج يوسف بن أبي الوليد، فبايعوا له وأصفقوا على تقديمه.

وسرح لحينه قائده ابن عزون، فاستولى له على دار ملكه، وتم أمره وحجبه رضوان مولى أبيهم، واستبد عليه، وسكن بين جنبيه من بني أبي العلاء وقتلهم لأخيه داء دخيل، حتى إذا سما السلطان أبو الحسن إلى الجهاد، وأجاز المدد إلى ثغور عمله بالأندلس، وعقد لابنه الأمير أبي مالك، أسر إليهم في شأن بني أبي العلاء بما كان أبوه السلطان أبو سعيد اشترط عليهم في مثلها، ووافق منهم داعية لذلك فتقبض عليهم أبو الحجاج وأودعهم المطبق أجمع.

ثم أشخصهم في السفين إلى مراسي إفريقية، فنزلوا بتونس على مولانا السلطان أبي يحيى، وبعث فيهم السلطان أبو الحسن إليه فاعتقلهم، ثم أوعز إليه مع عريف الوزعة ببابه ميمون بن بكرون في إشخاصهم إلى حضرته، فتوقف عنها، وأبى من إخفار ذمتهم وتوسوس إليه وزيره أبو محمد بن تافراكين بأن مقصد السلطان فيهم غير ما ظنوا به من الشر، ورغب في منة السلطان ببعثهم إليه والمبالغة في الشفاعة فيهم، علماً بأن شفاعته لا ترد فأجابه إلى ذلك، وجنبوهم إليه مع ابن بكرون.

واتبعهم أبو محمد بن تافراكين بكتابة الشفاعة فيهم من السلطان.

وقدموا على السلطان أبي الحسن مرجعه من الجهاد سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فتلقاهم بالبر والترحيب إكراماً لشفيعهم، وأنزلهم بمعسكره وجنب لهم القربات بالمراكب الثقيلة، وسرب لهم الفساطيط، وأسنى لهم الخلع والجوائز وفرض لهم أعلى رتب العطاء وصاروا في جملته.

ولما احتل بسبتة لمشارفة أحوال الجزيرة، سعى عنده فيهم بأن كثيراً من المفسدين يداخلونهم في الخروج والتوثب على الملك،

فتقبض عليهم وأودعهم في السجن بمكناسة، إلى أن كان من خبرهم مع ابنه أبي عنان ما نذكره إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

## الخبر عن هدية السلطان إلى المشرق وبعثه بنسخة المصحف من خطه إلى الحرمين والقدس

كان للسلطان أبي الحسن مذاهب في ولاية ملوك المشرق، والكلف بالمعاهد الشريفة تقبله من سلفه، وضاعفه لديه متين ديانته.

ولما قضى من أمر تلمسان ما قضى، وتغلب على المغرب الأوسط، وصار أهل النواحي تحت ربقة منه، واستطال بجناح سلطانه، وخاطب لحينه صاحب مصر والشام محمد بن قلاوون الملك الناصر، وعرفه بالفتح وارتفاع العوائق عن الحاج في سابلتهم، وكان فرانقه في ذلك فارس بن ميمون بن ودرار، وعاد بجواب الكتاب وتقرير المودة بين السلف.

وأجمع السلطان على كتابة نسخة أنيقة من المصحف الكريم بخط يديه ليوقفها بالحرم الشريف قربة إلى الله تعالى، وابتغاء للمثوبة، فانتسخها وجمع الوراقين لمعاناة تذهيبها وتنميقها، والقراء لضبطها وتهذيبها حتى اكتمل شأنها.

وصنع لها وعاء مؤلف من خشب الأبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشي بصفائح الذهب، ونظم بالجوهر والياقوت، واتخذت له أصونة الجلد المحكمة الصناعة، المرقوم أديمها بخيوط الذهب ومن فوقها غلاف الحرير والديباج وأغشية الكتان.

وأخرج من خزائنه أموالاً عيناً لشراء الضياع بالمشرق لتكون وقفاً على القراء فيها، وأوفد على الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام من خواص مجلسه وكبار أهل دولته، عريف بن يحيى أمير زغبة، والسابق القدم في بساطه على كل خالصة وعطية بن مهلهل بن يحيى كبير الخولة.

وبعث كاتبه أبا الفضل بن محمد بن أبي مدين وعريف الوزعة بدولته وصاحب الباب عبو بن قاسم المزوار، واحتفل في الهدية للسلطان صاحب مصر احتفالاً تحدث به الناس دهراً.

ووقفت على برنامج الهدية بخط أبي الفضل بن أبي مدين هذا الرسول ووعيته وأنسيته وذكر لي بعض قهارمة الدار أنه كان فيها خمسمائة من عتاق الخيل المقربات، بسروج الذهب والفضة ولجمها، خالصاً ومغشىً وموهاً، وخمسمائة حمل من متاع الغرب وما عونه وأسلحته، ومن نسج الصوف المحكم ثياباً وأكسية وبرانس وعمائم، وأزراً معلمة وغير معلمة، ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملوناً وغير ملون، وساذجاً منمقاً، ومن الدرق المجلوبة من بلاد الصحراء المحكمة بالدباغ المتعارف، وتنسب إلى اللمط.

ومن حرش المغرب وماعونه وما يستظرف صناعته بالمشرق، حتى لقد كان فيها مكيل من حصى الجوهر والياقوت.

واعتزمت حظية من حظايا أبيه على الحج في ركابه ذلك، فأذن لها واستبلغ في تكريمها، واستوصى بها وافده وسلطان مصر في كتابه.

وفصلوا من تلمسان وأدوا رسالتهم إلى الملك الناصر وهديتهم، فتقبلها وحسن لديه موقعها.

وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوماً مشهوداً، تحدث به الناس دهراً، ولقاهم في طريقهم أنواع البر والتكرمة حتى قضوا فرضهم، ووضعوا المصحف الكريم حيث أمرهم صاحبهم.

وأسنى هدية السلطان من فساطيطهم الغريبة الهيكل والصنعة بالمغرب، ومن ثياب الإسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب، ورجعهم بها إلى مرسلهم وقد استبلغ في تكريمهم ووصلتهم، وبقي حديث هذه الهدية مذكوراً بين الناس لهذا العهد.

ثم انتسخ السلطان نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الأول، ووقفها على القراء بالمدينة، وبعثها مع من تخيره لذلك العهد من أهل دولته.

واتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر إلى أن هلك سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وولي الأمر من بعده ابنه أبو الفداء إسماعيل، فخاطبه السلطان وأتحفه وعزاه عن أبيه، وأوفد عليه كاتبه وصاحب ديوان الخراج بابه أبا الفضل بن عبد الله بن أبي مدين فقضى من وفادته ما حمل.

وكان شأنه عجباً في إظهار أبهة سلطانه، والإنفاق على المستضعفين من الحاج في سبيلهم، وإتحاف رجال الدولة التركية بذات يده والتعفف عما في أيديهم.

ثم شرع السلطان بعده عند استيلائه على إفريقية كما نذكره في كتابة نسخة أخرى من المصحف الكريم ليوقفها ببيت المقدس، فلم يقدر على إتمامها، وهلك قبل فراغه من نسخها، كما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن هدية السلطان إلى ملك مالي من السودان المجاورين للمغرب

كان للسلطان أبي الحسن مذهب في الفخر معروف يتطاول به إلى مناغاة الملوك الأعاظم واقتفاء سننهم في مهاداة الأقتال والأنظار، وإنفاذ الرسل على ملوك النواحي القاصية والتخوم البعيدة.

وكان ملك مالي أعظم ملوك السودان لعهده مجاوراً للمكه بالمغرب على مائة مرحلة في القفر من ثغور ممالكه القبلية.

ولما غلب بني عبد الواد على تلمسان وابتزهم ملكهم، واستولى على ممالك المغرب الأوسط، وتحدث الناس بشأن أبي تاشفين وحصاره ومقتله، وما كان للسلطان في ذلك من سورة التغلب وآية العز وإهانة العدو وشاعت أخبار ذلك في الآفاق.

وسما سلطان مالي منسا موسى المتقدم ذكره في أخبارهم إلى مخاطبته، فأوفد عليه فرانقين من أهل مملكته مع ترجمان من الملثمين المجاورين لممالكهم من صنهاجة، فوفدوا على السلطان في التهنئة بالتغلب والظفر بالعدو، فأكرم وفادتهم وأحسن مثواهم ومنقلبهم.

ونزع إلى طريقته في الفخر، فانتخب طرفا من متاع المغرب وماعونه من ذخيرة داره وأسناها، وعين رجالاً من أهل دولته، كان فيهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه عنبر الخصي، وأوفدهم بها على ملك مالي منسا سليمان بن منسا موسى، لمهلك أبيه قبل مرجع وفده.

وأوعز إلى أعراب الفلاة من المعقل بالسير معهم ذاهبين وجائين، فشمر لذلك علي بن غانم أمير أولاد جار الله من المعقل، وصحبهم في طريقهم امتثالاً لأمر السلطان.

وتوغل ذلك الركاب في القفر إلى بلد مالي بعد الجهد وطول المشقة، فأحسن مبرتهم وأعظم موصلهم وأكرم وفادتهم ومنقلبهم.

وعادوا إلى مرسلهم في وفد من كبار مالي يعظمون سلطانه، ويوجبون حقه، ويؤدون طاعته من خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان واعتماله في مرضاته ما استوصاهم به، فأدوا رسالتهم وبلغ السلطان إرباً من اعتزازه على الملوك وخضوعهم لسلطانه، وقضى حق الشكر لله في صنعه.

## الخبر عن إصهار السلطان إلى صاحب تونس

لما هلكت ابنة مولانا السلطان أبي يحيى بطريف فيمن هلك من حظايا السلطان أبي الحسن بفساطيطه، بقي في نفسه منها شيء حنيناً إلى ما شغفته به من خلالها وعزة سلطانها، وقيامها على بيتها، وظرفها في تصرفاتها، والاستماع بأحوال الترف ولذاذة العيش في عشرتها، فسما أمله إلى الاعتياض منها ببعض أخواتها.

وأوفد في خطبتها وليه عريف بن يحيى أمير زغبة، وكاتب الجباية والعساكر بدولته أبا الفضل بن عبد الله بن أبي مدين، وفقيه الفتيا بمجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان السطي، ومولاه عنبر الخصي، فوفدوا يوم مثنى من سنة ست وأربعين وسبعمائة وأنزلوا منزل البر، واستبلغ في تكريمهم ودس الحاجب أبو محمد عبد الله بن تافراكين إلى سلطانه غرض وفادتهم، فأبى عن ذلك صونا لحرمه عن جولة الأقطار وتحكم الرجال، واستعظاماً لمثل هذا العرس.

ولم يزل حاجبه ابن تافراكين يخفض عليه الشأن ويعظم عليه حق السلطان أبي الحسن في رد خطبته مع الأزمّة السالفة بينهما من الصهر والمخالطة إلى أن أجاب وأسعف.

وجعل ذلك إليه فانعقد الصهر بينهما وأخذ الحاجب في شوار العروس، وتأنق فيه واحتفل واستكثر وطال ثواء الرسل إلى أن استكمل وارتحلوا من تونس لشهر ربيع من سنة سبع وسبعمائة وأوعز مولانا السلطان أبو يحيى إلى ابنه الفضل صاحب بونة وشقيق هذه العروس أن يزفها على السلطان أبي الحسن قياماً لحقه، وبعث من بابه مشيخة من الموحدين مقدمهم عبد الواحد بن أكمازير، صحبوا ركابها إليه.

ووفدوا جميعاً على السلطان واتصل بهم الخبر أثناء طريقهم بمهلك مولانا أبي يحيى عفا الله عنه، فعزاهم السلطان أبو الحسن عنه عندما وصلوا إليه، واستبلغ في تكريمهم وأجمل موعد أخيه الفضل بسلطانه ومظاهرته على تراث أبيه فاطمأنت به الدار إلى أن سار في جملة السلطان وتحت ألويته إلى إفريقية كما نذكر إن شاء الله تعالى.

# الخبر عن حركة السلطان إلى إفريقية واستيلائه عليها

كان السلطان أبو الحسن قد امتدت عينه إلى ملك إفريقية لولا مكان مولانا السلطان أبي يحيى من ولاية صهره، وأقام يتحين لها الوفاة، ولما بعث إليه في الصهر وأشيع بتلمسان ان الموحدين ردوا خطبته، نهض من المنصورة بتلمسان وأغذ السير إلى فاس ففتح ديوان العطاء، وأزاح علل عساكره، وعقد على المغرب الأقصى لحافده منصور ابن الأمير أبي مالك، وفوض إلى الحسن بن سليمان بن يرزبكن في أحكام الشرطة، وعقد له على الضاحية، وارتحل إلى تلمسان مضمراً الحركة إلى إفريقية حتى إذا جاءه الخبر اليقين بالإسعاف إلى والزفاف سكن غربه وهدأ طائره.

فلما هلك السلطان أبو يحيى في رجب من سنة سبع وأربعين وسبعمائة، وكان من قيام ابنه عمر بالأمر، ونزوع الحاجب أبي محمد بن تافراكين في رمضان منها ما ذكرناه، تحركت عزائمه لذلك، ورغبه ابن تافراكين في ملك الموحدين، فرغب وجاء على أثره الخبر بما كان من قتل عمر لأخيه أحمد ولي العهد، وكان يستظهر على عهده بكتاب أبيه، وما أودعه السلطان بطرته من الوفاق على ذلك بخطه، اقتضاه منه حاجبه أبو القاسم بن عتو في سفارته إليه، فامتعض السلطان لما أضاع عمر من عهد أبيه، وهدر من دم أخيه، وارتكب مذاهب العقوق فيهم، وخرق السياج الذي فرضه بخطه عليهم، فأجمع الحركة إلى إفريقية ولحق به خالد بن حمزة بن عمر نازعاً إليه مستغذاً مسيره، ففتح ديوان العطاء ونادى في الناس بالمسير إلى إفريقية، وأزاح عللهم.

وكان صاحب بجاية المولى أبو عبد الله حافد مولانا السلطان أبي يحيى، وفد على السلطان أبي الحسن إثر مهلك جده يقرر المثات بسفارة أبيه إليه، ويطلب الإقرار على عمله.

فلما استيأس منه واستيقن حركته بنفسه إلى إفريقية، طلب الرجوع إلى مكانه فأسعف وفصل إلى بجاية.

ولما قضى السلطان منسك الأضحى من سنة سبع وأربعين وسبعمائة عقد لابنه الأمير أبي عنان على المغرب الأوسط، وعهد إليه بالنظر في أموره كافة، وجعل إليه جبايته، وارتحل يريد إفريقية، وسار في جملته هو وخالد بن حمزة أمير البدو.

ولما احتل بوهران وافاه هنالك وفد قسطيلية وبلاد الجريد، يقدمهم أحمد بن مكي أمير جربة ورديف أخيه عبد الملك في إمارة قابس، ويحيى بن محمد بن يملول أمير توزر سقط إليها بعد خروج الأمير أبي العباس ولي العهد عنها، ومهلكه بتونس، وأحمد بن عمر بن العابد رئيس نفطة، رجعا إليها كذلك بعد مهلك ولي العهد، فلقيه هؤلاء الرؤساء بوهران في ملأ من وجوه بلادهم، فأتوه ببيعتهم وقضوا حق طاعته.

وتثاقل محمد بن ثابت أمير طرابلس عن اللحاق به، فبعث بيعته معهم، فأكرم وفدهم وعقد لهم على أمصارهم، وصرفهم إلى أعمالهم، وتمسك بأحمد بن مكي لصحابة ركابه، وفي جملته، وأغذ السير.

ولما احتل ببني حسن من أعمال بجاية، وافاه بها منصور بن مزني أمير بسكرة وبلاد الزاب في وفد من أهل وطنه، ويعقوب بن علي بن أحمد سيد الدواودة وأمير البدو بضاحية بجاية وقسنطينة، فتلقاهم بالمبرة والاحتفاء وألزمهم ساقته، وسرح بين يديه قائده حمو بن يحيى العشري من صنائع أبيه.

فلما عسكر بساحة بجاية أبي عبد الله أبى عليه أهل البلد رهبة من السلطان ورغبة فيه، وانفضوا من حوله، ولحقت مشيختهم بالقضاة وأهل الفتيا والشورى بمجلس السلطان.

وسابقهم إليه حاجبه فارح مولى ابن سيد الناس، فأدى طاعته ورجعه إليه بالخروج للقاء ركابه.

وارتحل حتى إذا أطلت راياته على البلد، بادر المولى أبو عبد الله ولقيه بساحة البلد، واعتذر من تخلفه فتقبل عذره وأحله من البرور والتكرمة محل الولد العزيز، وأقطعه عمل كومية من ضواحي هنين، وأسنى جرايته بتلمسان وأصحبه إلى ابنه أبي عنان صاحب المغرب الأوسط واستوصاه به، ودخل بجاية فرفع عنهم الظلامات وحط عنهم الربع من المغارم، ونظر في أحوال ثغورها فثقفها وسد فروجها.

وعقد عليها لمحمد بن الثوار من طبقة الوزراء والمرشحين لها، وأنزل معه حامية من بني مرين، وكاتب الخراج ببابه بركات بن حسون بن البواق، وارتحل مغذا لسيره حتى احتل بقسنطينة.

وتلقاه أميرها أبو زيد حافد مولانا السلطان أبي يحيى وإخوته أبو العباس أحمد وأبو يحيى زكريا وسائر إخوتهم، فأتوه ببيعتهم ونزلوا عن عملهم.

وأدالهم السلطان منه بندرومة من عمل تلمسان، عقد للمولى أبي زيد على إمارتها، وجعل له إسوة إخوته في إقطاع جبايتها، ودخل البلد وعقد عليها لمحمد بن العباس، وأنزل معه العباس بن عمر في قومه من بني عسكر.

وأمضى إقطاعات الدواودة ووافاه هنالك عمر بن حمزة

سيد الكعوب لعهده وأمير البدو مستحثاً لركابه.

وأخبره برحيل السلطان عمر بن مولانا أبي يحيى من تونس فيمن اجتمع إليه من أولاد مهلهل أقتالهم من الكعوب متوجهاً إلى ناحية قابس.

وأشار على السلطان بتسريح العساكر لاعتراضه قبل أن يخلص إلى طرابلس، فسرح معه حمو بن يحيى العشري قائده في عسكر من بني مرين والجند.

وارتحلوا في اتباع السلطان أبي حفص، وتلوم السلطان أبو الحسن بقسطينة، واعترض عساكره بسطح الجعاب منها.

وصرف يوسف بن مزني إلى عمله بالزاب، بعد أن خلع عليه وحمله.

ثم عقد للمولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى على مكان عمله ببونة، وملأ حقائبه جائزة وخلعاً نفيسة وسرحه، ثم ارتحل على أثرهم وأعذّ حمو بن يحيى مع السير الناجعة من أولاد أبي الليل، ولحقوا بالأمير أبي حفص بمباركة من ناحية قابس، فأوقعوا به وتردى عن فرسه في حومة القتال هو ومولاه ظافر السنان القائم بدولته من المعلوجي، فتقبض عليهما وسيقا إلى حمو فاعتقلهما إلى الليل، ثم ذبحهما وأنفذ برؤوسهما إلى السلطان.

ولحق الفل بقابس، فتقبض عبد الملك بن مكي على أبي القاسم بن عتو صاحب الأمير أبي حفص وشيخ الموحدين، وعلى صخر بن موسى شيخ بني سكين فيمن تقبض عليه من ذلك الفل، وأشخصهم مقرنين في الأصفاد إلى السلطان.

وسرح السلطان عساكره إلى تونس، وعقد عليهم ليحيى بن سليمان صهره من بني عسكر على ابنته، وأنفذ معه أحمد بن مكي فاحتلوا بتونس، واستولوا عليها.

وانطلق ابن مكي إلى مكان عمله من هنالك لما عقد له السلطان عليه وسرحه إليه بعد أن خلع عليه وعلى حاشيته وحملهم.

ونزل السلطان بناحية باجة، فوافاه هنالك البريد برأس الأمير أبي حفص، وعظم الفتح.

ثم ارتحل إلى تونس واحتل بها يوم الأربعاء الثامن من جمادى الآخرة من سنة ثمان.

وتلقاه وفد تونس وملؤها من شيوخ الشورى وأرباب الفتيا، فأتوا طاعتهم وانقلبوا مسرورين بملكتهم.

ثم عبأ يوم السبت لدخولها مواكبه، وصف جنده سماطين من معسكره بسيجوم إلى باب البلد يناهز ثلاثة أميال أو أربعة.

وركب بنو مرين في جموعهم على مراكزهم وتحت راياتهم.

وركب السلطان من فسطاطه وواكبه من عن يمينه وليه عريف بن يحيى أمير زغبة، ويليه أبو محمد عبد اللّه بن تافراكين ومن عن يساره الأمير أبو عبد اللّه محمد أخو مولانا السلطان أبي يحيى، ويليه الأمير أبو عبد اللّه ابن أخيه خالد، كانا معتقلين بقسنطينة مع ولدهما منذ خرج الأمير أبو فارس فأطلقهم السلطان أبو العباس وصحبوه إلى تونس، فكانوا طرازاً في ذلك الموكب فيمن لا يحصى من أعياص بني مرين وكبرائهم، وهدرت طبوله، وخفقت راياته، وكانت يومئذ مائة.

وجاء والمواكب تجتمع عليه صفًا صفًا إلى أن وصل إلى البلد، وقد ماجت الأرض بالجيوش، وكان يوماً لما ير مثله فيما عقلناه.

ودخل السلطان إلى القصر وخلع على أبي محمد بن تافراكين كسوته وقرب اليد فرسه بسرجه ولجامه، وطعم الناس بين يديه وانتشروا.

ودخل السلطان مع أبي محمد بن تافراكين إلى حجر القصر ومساكن الخلفاء، فطاف عليها ودخل منه إلى الرياض المتصلة به المدعوة برأس الطابية، فطاف على بساتينه وجوائزه، وأفضى منه إلى معسكره وأنزل يحيى بن سليمان بقصبة تونس في عسكر لحمايتها.

ووصل إليه فل الأمير أبي حفص والأسرى بقابس مقرنين في أصفادهم، فأودعهم السجن بعد أن قطع أبا القاسم بن عتو وصخر بن موسى من خلاف، لفتيا الفقهاء بجرايتهم.

وارتحل من الغد إلى القيروان فجال في نواحيها، ووقف على آثار الأولين ومصانع الأقدمين والطلول الماثلة لصنهاجة والعبيديين، وزار أجداث العلماء والصالحين.

ثم سار إلى المهدية ووقف على ساحل البحر، ونظر في عاقبة الذين كانوا من قبله أشد قوة وأثاراً في الأرض، واعتبر بأحوالهم.

ومر في طريقه بقصر الأجم ورباط المنستير، وانكفأ راجعاً إلى تونس، واحتل بها غرة رمضان وأنزل المسالح على ثغور إفريقية، وأقطع لبني مرين البلاد والضواحي، وأمضى إقطاعات الموحدين للغرب.

واستعمل على الجهات وسكن القصر وقد كمُل وعظم

الفتح وعظمت في الاستيلاء على الممالك والدول المنة، واتسعت ممالكه ما بين مسرائه والسوس الأقصى من هذه العدوة،، وإلى رندة من عدوة الأندلس، والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين ورفع إليه الشعراء بتونس يهنونه بالفتح، وكان سابقهم في تلك النوبة أبو القاسم الرحوي من ناشئة أهل الأدب فرفع إليه قوله:

أجابك شرق إذ دعوت ومغرب ... فمكة هشت للقاء ويثرب
ونادك مصر والعراق وشامه ... بدارا، فصدع الدين عندك يشعب
وحيتك أو كادت تحيي منابر ... عليها دعاة الحق باسمك تخطب
فسارع كل دان وشاسع ... إلى طاعة من طاعة الله تحسب
وتاقت لك الأرواح حبًا ورغبة ... وأنت على الآمال تنأى وتقرب
فبالبلدة البيضاء لباك معشر ... وأنت بأفق الناصرية ترقب
ووافتك من ذات النخيل وفودها ... فلاقاهم أهل لديك ومرحب
ولم تتلكأ عن إباء بحايلة ... ولكن تراضي الصعب حينا وتركب
تأبت فلما أن أطلت عساكر ... ترى الشهب مما يستباح وينهب
تبادر منهم مذعن ومسلم ... وأذعن منهم شاغب ومؤلب
وما تونس إلا بمصر مروع ... وفي حرم أمست لديك تسرب
وما أهلها إلا بغاث لصائد ... وبالعز منك استنسروا وتعقبوا
وقد كنت قبل اليوم كهف زعيمهم ... فها أنت كهف للجميع ومهرب
فكل يرى أن الزمان أدالـه ... بكم فأجاب العيش والعيش مخصب
وكدّ لك ابن طائع وإن اعتلت ... به السن إجلالاً وأنت له أب
وما ذاك إلا أن عدلك يتمي ... إلى الخلفاء الراشدين وينسب
تسامیت في ملك ونسك بخطة ... حذياك محراب لديها وموكب
إذا لذ للأملاك خمر مدارة ... فلذ لك القرآن تتلو وتكتب
وإن أدمن القوم الصبوح فإنما ... على ركعات بالضحى أنت تداب
وإن حمدوا شرب الغبوق فإنما ... شرابك بالإمساء ذكر مرتب
وإن خشنت أخلاقهم وتجبجبوا ... فما أنت فظ لا، ولا متحجب
لقد كرمت منك السجايا فأصبحت ... إذا ما أمد الدهر تعلو وتعذب
كما شدت بيتاً في ذؤابة معشر ... يزيد بهم قحطان فخراً ويعرب
هم التاركو قلب القساور خضعاً ... وعن شأوهم كفت عبيد وأغلب
هم الناس والأملاك تحت جوارهم ... هم العظم والأرض العظيمة تغرب
هم المالكو الملك العظيم ودستهم ... على كاهل السبع الشداد مطنب
لقد أصبحت بغداد تحسد فاسهم ... ودجلة ودت أن يكون بهاسب
تجلت سماء المجد منهم كواكباً ... لقد حل منها شارق ومغرب
فالله منهم ثلة يعربية ... يروم ثباها الأعجمي فيعرب
لقد قام عبد الحق للحق طالباً ... فما فاته منه الذي قام يطلب
وأعقب يعقوباً يؤم سبيله ... فلم يخطه وهو السبيل الملحب
وخلف عثماناً فلله صارم ... به بان للإسلام شرع ومذهب

فكم في سبيل الله شن إغارة ... لما شاد أهل الكفر أمست تخرب
ولما أراد الله إتمام منة ... تقلدها منا مطيع ومذنب
أتى بك للدين الحنيفي آية ... تعرى بها عن لامع الحق غيهب
فجئت كما يرضى بك الله سالكا ... سبيلاً إلى رضوانه بك يذهب
وقمت بأمر الله حق قيامه ... يناضل عنه منك نصل مدرب
وأصبح أهل الله أهلاً وشيعة ... لكم ولهم منكم مكان ومنصب
وحل بأهل الفتك ما حل عزمهم ... وقام لديهم واعظ ومثوب
وجاهدت في الرحمن حق جهاده ... فراهب أهل الكفر بأسك يُرهب
وانقذت من أيدي الإغارة أمة ... وأولى جهاد كان بل هو أوجب
فأصبحت الدنيا عروساً يزفها ... لأمرك من جاري التقادير مغرب
فلا مصر إلا قد تمناك أهله ... ولا أرض إلا بأذكارك تخصب
وما الأرض إلا منزل أنت ربه ... وما حلها إلا الودود المرجب
تملكت شطر الأرض كسباً وشطرها ... تراثاً فطاب الملك إرثاً ومكسب
بجيش على الألواح والماء يمتطي ... وجيش على الضمر الصوافن يركب
وجيش من الإحسان والعدل والتقى ... وذاك لعمر الله أغلى وأغلب
فلا مركب إلا يزين راكباً ... ولا راكب إلا به ازدان مركب
ولا رمح إلا وهو أهيف خاطر ... ولا سيف إلا وهو أبيض مقضب
فكم كاتب خطيه ودواته ... ولم يقر خطاً وهو يكتب
يمر على الأبطال وهو كأنه ... هزبر وأبطال الفوارس ربرب
وكم كاتب لا ينكر الطعن رمحه ... خبير بأيام الأعاريب معرب
له من عجيب السحر بالقول أضرب ... وفي هامة القوم المضارب مضرب
فها هو في الأقوال واش محبر ... وها هو في الأمثال ثاو مجرب
ومن ساحب برداً من العلم والتقى ... عليه ذيول الداودية تسحب
له صبغة في العلم جاءت بأصبغ ... وشهبان فهم لم يشمهن أشهب
فيا عسكراً قد ضم أعلام عالم ... به طاب في الدنيا لنا متقلب
هم الفئة العلياء والمعشر الذي ... إذا حل صعباً فهو للحق مشعب
لك الفضل في الدنيا على كل قاطن ... ومرتحل أنى يجيء ويذهب
ويا ملكاً عدلاً رضىً متورعاً ... مناقبه العلياء تعلى وتكتب
شرعت من الإحسان فينا شريعة ... تساوى بها ناء ومن يتقرب
وأسميت أهل النسك إذ كنت منهم ... فمنك أخو التقوى قريب مقرب
وأعليت قدر العلم إذ كنت عالماً ... فقيهاً وفي طلابه لك مأرب
فمدحك محتوم على كل قائل ... ومن ذا الذي يحصي الرمال ويحسب
فلله كم تعطي وتمطي وتحتبي ... فللبحر من كفيك قد صح منسب
فلا برحت كفاك في الأرض مزنة ... يطيب بها للخلق مرعى ومشرب
ولا زلت في علياء مجدك راقياً ... وشانئك المدحوض ينكى وينكب
توفي على أقصى أمانيك آمنا ... فلا بر يستعصى ولا يتصعّب

# الخبر عن واقعة العرب مع السلطان بالقيروان وما تخللها من الأحداث

كان هؤلاء الكعوب من بني سليم رؤساء البدو بإفريقية، وكان لهم اعتزاز على الدولة لا يعرفون غيره مذ أولها بل وما قبله، إذ كان سليم هؤلاء منذ تغلب العرب من مضر على الدول والممالك أول الإسلام انتبذوا إلى الضواحي والقفار، وأعطوا من صدقاتهم عن عزة، وارتاب الخلفاء بهم لذلك حتى لقد أوصى المنصور ابنه المهدي أن لا يستعين بأحد منهم كما ذكر الطبري.

فلما التأثت الدولة العباسية واستبد الموالي من العجم عليهم، واعتز بنو سليم هؤلاء بالقفر من أرض نجد، وأجلبوا على الحاج بالحرمين، ونالتهم منهم معرات، ولما انقسم ملك الإسلام بين العباسية والشيعة واختطوا القاهرة، نفقت لهم إذ ذاك أسواق الفتنة والتعزز، وساموا الدولتين بالمضيمة وقطع السابلة.

ثم أغزاهم العبيديون بالمغرب وأجازوا إلى برقة على إثر الهلاليين فخربوا عمرانها وأجروا في خلالها، حتى إذا خرج ابن غانية على الموحدين وانتزى بالثغور الشرقية: طرابلس وقابس، واجتمع معه على ذلك قراقش الغزي مولى بني أيوب ملوك مصر والشام، وانضاف إليهم أفاريق العرب من بني سليم هؤلاء وغيرهم، فأجلبوا معهم على الضواحي والأمصار، وصاروا في جملتهم من ناعق فتنتهم.

ولما هلك قراقش وابن غانية واستبد آل أبي حفص بإفريقية واعتز الدواودة على الأمير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، استظهر عليهم بني سليم هؤلاء، وزاحمهم بظواعنهم وأقطعهم بإفريقية ونقلهم عن محالاتهم بطرابلس وأنزلهم بالقيروان، فكان لهم من الدولة مكان وعليها اعتزاز، ولما افترق سلطان بني أبي حفص، واستبد الكعوب برياسة البدو، وضربوا بين أعياصها وسعوا في شقاقها، أصابت منهم وأصابوا منها، وكان بين مولانا الأمير أبي يحيى وبين حمزة بن عمر أخي الأمير منازعة وفتن وحرب سجال أعانه عليها ما كان من زحف بني عبد الواد إلى إفريقية وطمعهم في تملك ثغورها، فكان يستجر جيوشهم لذلك، وينصب الأعياص من آل أبي حفص يزاحمهم بهم، ثم غلبه مولانا السلطان أبو بكر آخراً وقاده إلى الطاعة ما كان من قطع كلمة الزبون عن مولانا السلطان أبي يحيى، وهلاك عدوه من آل يغمراسن، بسيف وليه وظهيره السلطان أبي الحسن، فأذعن وسكن غرب اعتزازه، وحمل بني سليم على إعطاء صدقاتهم، فأعطوها بالكراهة.

ثم هلك باغتيال الدولة له فيما يزعمون، وقام بالأمر بنوه فلم يعرفوا عواقب الأمور وبلعا باعتساف الدول، ولم يعهدوا ولا سمعوا لسلفهم غير الاعتزاز فحدثتهم أنفسهم بالفتنة والاعتزاز على قائد الدولة. وحاربوه فغلبوه، وأجلبوا على السلطان في ملكه، ونازلوه بعقر داره سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ولما سامهم الأمير عمر ابن مولانا الأمير أبي يحيى الهضيمة بعد مهلك أبيه نزعوا إلى أخيه ولي العهد، فجاء إلى تونس وملكها سبعاً.

ثم اقتحمها عليه أخوه الأمير أبو حفص فقتله، وتقبض يوم اقتحامه البلد على أبي الهول بن حمزة أخيهم، فقتله صبراً بباب داره بالقصبة، فأسفهم بها، وتداعوا إلى السلطان أبي الحسن ورغبوه في ملك إفريقية واستفذُوه إليها.

ولما تغلب السلطان على الوطن وكانت حاله في اعتزاز على من في طاعته غير حال الموحدين وملكته للبدو غير ملكتهم، وحين رأى اعتزازهم على الدولة وكثرة ما أقطعتهم من الضواحي والأمصار، نكره وأداله من الأمصار التي أقطعهم الموحدون بأعطيات فرضها لهم في الديوان.

واستكثر جبايتهم، فنقصهم الكثير منها وشكى إليه الرعية من البدو ما ينالونهم به من الظلامات والجور بفرض الأتاوة التي يسمونها الخفارة، فقبض أيديهم عنها وأوعز إلى الرعايا بمنعهم منها، فارتابوا لذلك، وفسدت نياتهم وثقلت وطأة الدولة عليهم فترصدوا لها.

وتسامع ذؤبانهم وبواديهم بذلك، فأغاروا على قياطين بني مرين ومسالحهم بثغور إفريقية وفروجها، واستاقوا أموالهم، وكثر شكاتهم وأظلم الجو بينهم وبين السلطان والدولة.

ووفد عليه بتونس بعد مرجعه من المهدية وفد من مشيختهم، كان فيهم خالد بن حمزة مستحثة إلى إفريقية، وأخوه أحمد وخليفة بن عبد اللّه بن مسكين، وابن عمه خليفة بن بو زيد من أولاد القوس، فأنزلهم السلطان وأكرمهم.

ثم رفع إليه الأمير عبد الواحد ابن السلطان أبي يحيى زكريا بن اللحياني كان في جملته، وكان من خبره أنه رجع من المشرق بعد مهلك أبيه بمصركما قدمناه سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فدعا لنفسه بجهات طرابلس.

وتابعه أعراب دباب، وبايع له عبد الملك بن مكي صاحب قابس، ونهض معه إلى تونس في غيبة السلطان لتخريب تيمزيزدكت كما ذكرناه، فملكها أياما وأحس بمرجع السلطان

فأجفل عنها.

ولحق عبد الواحد بن اللحياني إلى تلمسان، إلى أن دلف إليها السلطان أبو الحسن بعساكره، ففارقهم وخرج إليه، فأحله محل التكرمة والمبرة واستقر في جملته إلى أن ملك تونس.

ورفع إليه عند مقدم هذا الوفد أنهم دسوا إليه مع بعض حشمهم، وطلبوه في الخروج معهم لينصبوه للأمر بإفريقية وتبرأ إلى السلطان من ذلك، فأحضروا بالقصر ووبخهم الحاجب علال بن محمد بن المصمود، وأمر بهم، فسحبوا إلى السجن.

وفتح السلطان ديوان العطاء وعسكر بسيجوم بساحة البلد بعد قضائه منسك الفطر من سنته.

وبعث في المسالح والعساكر فتوافوا ببابه واتصل الخبر بأولاد أبي الليل القوس باعتقال وفدهم وعسكرة السلطان لهم، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت وتعاقدوا على الموت، وبعثوا إلى أقتالهم أولاد مهلهل بن قاسم بن أحمد.

وكانوا بعد مهلك سلطانهم أبي حفص قد لحقوا بالقفر وانتبذوا عن إفريقية فراراً من مطالبة السلطان بما كانوا شيعة لعدوه.

فأغذ السير إليهم أبو الليل بن حمزة متطارحاً عليهم بنفسه في الاجتماع للخروج على السلطان، فأجابوه وارتحلوا معه.

وتوافت أحياء بني كعب وحكيم جميعاً بتوزر من بلاد الجريد، فهدروا الدماء بينهم وتدامروا وتبايعوا على الموت، والتمسوا من أعياص الملك من ينصبونه للأمر، فدلهم بعض سماسرة الفتن على رجل من أعقاب أبي دبوس فريسة بني مرين من حلفاء بني عبد المؤمن بمراكش، عندما استولوا عليها.

وكان من خبره أن أباه عثمان بن إدريس بن أبي دبوس لحق بعد مهلك أبيه بالأندلس، وصحب هنالك مرغم بن صابر شيخ بني دباب وهو أسير ببرشلونة.

فلما انطلق من أسره صحبه إلى وطن دباب بعد أن عقد قمص ببرشلونة بينهما حلفاً، وأمدهما بالأسطول على مال التزماه له.

ونزل بضواحي طرابلس وجبال البربر بها، ودعا لنفسه هنالك وقام بدعوته كافة العرب من دباب، وقاتل طرابلس، فامتنعت عليه.

ثم بايعه أحمد بن أبي الليل شيخ الكعوب بإفريقية، وأجلب به على تونس، فلم يتم أمره لرسوخ دعوة الحفصيين بإفريقية وانقطاع أمر بني عبد المؤمن منها، وآثارهم منذ الأحوال العديدة والآماد المتقادمة فنسي أمرهم.

وهلك عثمان بن إدريس هذا بجربة، ثم ابنه عبد السلام بعده، وترك من الولد ثلاثة أصغرهم أحمد، وكان صناع اليدين.

ولحقوا بتونس بعدما طوحت بهم طوائح الاغتراب، وظنوا أن قد تنوسي شأن أبيهم، فتقبض عليهم مولانا السلطان أبو يحيى وأودعهم السجن إلى أن غربهم إلى الإسكندرية سنة أربع وأربعين وسبعمائة ورجع أحمد منهم إلى إفريقية، واحتل بتوزر محترفاً بحرفة الخياطة يتعيش منها، فاستدعاه بنو كعب هؤلاء حين اتفقت أهواؤهم ومن اتبعهم من أحلافهم أولاد القوس، وسائر شعوب علاق، وخرج إليهم من توزر فنصبوه للأمر وجمعوا له شيئاً، من الفساطيط والآلة والكسوة الفاخرة والمقربات، وأقاموا له رسم السلطان، وعسكروا عليه بمحللهم وقياطينهم، وارتحلوا لمناجزة السلطان، ولما قضى منسك الأضحى من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ارتحل من ساحة تونس يريدهم، فوافاهم في العرج ما بين وتبسط تونس وتبسيط القيروان المسمى بالثنية، فأجفلوا أمامه وصدقوه القتال منهزمين، وهو في اتباعهم إلى أن احتل بالقيروان، ورأوا أن لا ملجأ منه، فتدامروا واتفقوا على الاستماتة، ودس إليهم من عسكر السلطان بنو عبد الواد ومغراوة وبنو توجين فغلبوا بني مرين، ووعدوهم بالمناجزة صبيحة يومهم ليتحيزوا إليهم برياتهم، فصبحوا معسكر السلطان، وركب إليهم في الآلة والتعبية، واختل المصاف، وتحيز إليهم للكثير، ونجا السلطان إلى القيروان فدخلها في الفل من عساكره ثامن المحرم فاتح تسع وعشرين وسبعمائة، وتدافعت ساقات العرب في أثره وتسابقوا إلى المعسكر، فانتهبوه ودخلوا فسطاط السلطان، فاستولوا على ذخيرته والكثير من حرمه، وأحاطوا بالقيروان، وأحدقت حللهم بها سياجاً، وتعاوت ذيابهم بأطراف البقاع، وأجلب ناعق الفتنة من كل مكان.

وبلغ الخبر إلى تونس فاستحصن بالقصبة أولياء السلطان وحرمه، ونزع ابن تافراكين من جملة السلطان بالقيروان إليهم، فعقدوا له على حجابة سلطانهم أحمد بن أبي دبوس ودفعوه إلى محاربة من كان بقصبة تونس، فأغذ إليها السير واجتمع إليه أشياع الموحدين وزعانف الغوغاء والجند، وأحاطوا بالقصبة، وغاداها بالقتال، ونصب المنجنيق لحصارها.

ووصل سلطانه أحمد على أثره، وامتنعت عليهم، ولم يغنوا فيها غناً، وافترق أمر الكعوب وخالف بعضهم بعضاً إلى السلطان، وتساقطوا إليه، فتنفس مخنق الحصار عن القيروان، واختلفت إليه

رسل أولاد مهلهل، وأحس بهم أولاد أبي الليل فدخل أبو الليل بن حمزة بنفسه، وعاهد السلطان على الإفراج، ولم يف بعهده.

وداخل السلطان وأولاد مهلهل في الخروج معهم إلى سوسة، فعاهدوه على ذلك.

وواعد أسطوله بمرساها وخرج معهم ليلاً على تعبية، فلحق بسوسة وبلغ الخبر إلى ابن تافراكين بمكانه من حصار القصبة، فركب السفين ليلاً إلى الإسكندرية.

وارتاب سلطانهم ابن أبي دبوس، لما وقف على خبره فانفض جمعهم وأفرجوا عن القصبة.

وركب السلطان أسطوله من سوسة، ونزل بتونس آخر جمادى واعتمل في إصلاح أسوارها وإدارة الخندق عليها، وأقام لها من الامتناع والتحصين رسماً ثبت له من بعده، ودفع به نحو عدوه، واستقل من نكبة القيروان وعثرتها، وخلص من هوتها والله يفعل ما يشاء.

ولحق أولاد أبي الليل وسلطانهم أحمد بن أبي دبوس بتونس، فأحاطوا بالسلطان واستبلغوا في حصاره، وخلصت ولاية أولاد مهلهل للسلطان، فعول عليهم ثم راجع بنو حمزة رأيهم في طاعة السلطان ودخل كبيرهم عمر إليه في شعبان، وتقبضوا على سلطانهم أحمد بن أبي دبوس وقادوه إلى السلطان استبلاغاً في الطاعة، وإمحاضاً للولاية فتقبل فيئتهم، وأودع ابن أبي دبوس السجن، وأصهر إلى عمر بابنه أبي الفضل، فعقد له على بنته، واختلفت أحوالهم في الطاعة والانحراف إلى أن كان ما نذكر.

والله غالب على أمره.

## الخبر عن انتقاض الثغور الغربية ورجوعها إلى دعوة الموحدين

كان المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى، لما قدم على السلطان أبي الحسن بتلمسان في زفاف شقيقته سنة سبع وأربعين وسبعمائة بعدما اتصل به في طريقه مهلك أبيه، أوسع له السلطان كنفه، ومهد له جانب كرامته وبره، وغمز له بوعد في المظاهرة على ملك أبيه يعزي به عن فقده.

وارتحل السلطان إلى إفريقية، والمولى أبو الفضل يرجي أن يجعل سلطانها إليه، حتى إذا استولى السلطان على الثغرين بجاية وقسنطينة، وارتحل إلى تونس، عقد له على مكان إمارته أيام أبيه ببونة، وصرفه إليها، فانقطع أمله وفسد ضميره وطوى إلى النكث حتى إذا كانت نكبة السلطان بالقيروان، سما إلى التوثب على ملك سلفه.

وكان أهل قسنطينة وبجاية قد برموا من الدولة، واستثقلوا وطأة الإيالة لما اعتادوا من الملكة الرقيقة، فأشرأبوا إلى الثورة عندما بلغهم خبر النكبة.

وقد كان توافى بقسنطينة ركاب من المغرب فيه طوائف من الوفود والعساكر، وكان فيهم ابن صغير من أبناء السلطان، عقد له على عسكر من أهل المغرب، وأوعز إليه باللحاق بتونس، وفيهم عمال المغرب قدموا عند رأس الحول بجبايتهم وحسبانهم، وفيهم أيضاً وفد من زعماء النصارى بعثهم الطاغية ابن أدفونش مع تاشفين ابن السلطان لما أطلقه من الأسر بعد عقد السلم والمهادنة، وكان أسيراً عندهم من لدن واقعة طريف كما ذكرناه، وكان أصابه مس من الجنون.

فلما خلصت الولاية بين السلطان والطاغية، وعظم عنده الإتحاف والمهاداة، وبلغه خبر السلطان وتملكه إفريقية، أطلق ابنه تاشفين وبعث معه هؤلاء الزعماء للتهنئة، وفيهم أيضاً وفد من أهل مالي ملوك السودان بالمغرب، أوفدهم ملكهم منسا سليمان للتهنئة بسلطان إفريقية، وكان معهم أيضاً يوسف بن مزني عامل الزاب وأميره، قدم بجباية عمله، واتصل به خبر الركاب بقسنطينة فلحق بهم مؤثراً صحابتهم إلى سدة السلطان.

وتوافى هؤلاء الوفود جميعاً بقسنطينة، واعصوصبوا على ولد السلطان.

فلما وصل خبر النكبة اشرأب الغوغاء من أهل البلد إلى الثورة، وتجلت شفاههم إلى ما بأيديهم من أموال الجباية وأحوال الثروة، فنقموا عليهم سوء الملكة، ودس مشيختهم إلى المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى بمكانه من بونة، وقد كشف القناع في الانتزاء على عمله والدعاء لنفسه، فخطبوه للأمر، واستحثوه للقدوم، فأغذ السير.

وتسامع بخبره أولياء السلطان، فخشي ابن مزني على نفسه، وخرج إلى معسكره بحلة يعقوب بن علي أمير الدواودة، ولجأ ابن السلطان وأولياؤه إلى القصبة.

ومكر بهم أهل البلد في الدفاع دونهم حتى إذا أطلت رايات مولانا الفضل وثبوا بهم وأحجروهم بالقصبة وأحاطوا بهم حتى استنزلوهم على أمان عقدوه لهم.

ولحقوا بحلة يعقوب، فعسكروا بها بعد أن نقض أهل البلد عهدهم في ذات يدهم، فاستصفوه وأشار عليهم ابن مزني

باللحاق ببسكرة لتكون ركابهم إلى السلطان، فارتحلوا جميعا في جوار يعقوب لما له من ملك تلك الضواحي، حتى لحقوا ببسكرة، ونزلوا منها على ابن مزني خيرنزل، وكفاهم كل شيء يهمهم على طبقاتهم ومقاماتهم، وعناية السلطان بمن كان وافداً منهم، حتى سار بهم يعقوب بن علي إلى السلطان وأوفدهم عليه في رجب من سنته.

واتصل الخبر بأهل بجاية بالفعلة التي فعل أهل قسنطينة، فساجلوهم في الثورة، وكبسوا منازل أولياء السلطان وعسكره وعماله، فاستباحوها واستلبوهم وأخرجوهم من بين ظهرانيهم عراة، فلحقوا بالمغرب وطيروا بالخبر إلى المولى أبي الفضل، واستحثوه للقدوم، فقدم عليهم وعقد على قسنطينة وبونة لمن استكفى به من خاصته ورجالات دولته، واحتل ببجاية لشهر ربيع من سنته، وأعاد ملك سلفه.

واستوسق أمره بهذه الثغور إلى أن كان من خبره مع السلطان بعد خروجه من بجاية ما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن انتزاء أولاد السلطان بالمغرب الأوسط والأقصى ثم استقلال أبي عنان بملك المغرب كله

لما اتصل خبر النكبة بالقيروان بالأمير أبي عنان ابن السلطان، وكان صاحب تلمسان والمغرب الأوسط، وتساقط إليه الفل من عسكر أبيه عراة زرافات ووحداناً، وأرجف الناس بمهلك السلطان بالقيروان، فتطاول الأمير أبو عنان للاستئثار بملك أبيه، دون الأبناء، لما كان له من الإيثار عند أبيه لصيانته وعفافه، واستظهار القرآن، فكان محلاً بعين أبيه لأمثالها.

وكان عثمان بن يحيى بن جرار من مشيخة بني عبد الواد وأولاد تيدوكسن بن طاع الله منهم، وكان له محل من الدولة كما ذكرناه في خبره، وكان السلطان أذن له في الرجوع إلى المغرب، فرجع من معسكره بالمهدية، ونزل بزاوية العباد من تلمسان، وكان مسمتاً وقوراً، جهينة خبر ممتعاً في حديثه، وكان يرجم فيه الوقوف على الحدثان.

وكان الأمير أبو عنان متشوقاً إلى أخبار أبيه، ففزع إلى عثمان بن جرار في تعرفها، واستدعاه وأنس به، وكان في قلبه مرض من السلطان، فأودع أذن الأمير أبي عنان ما أراد من الأقاويل من تورط السلطان في المهلكة، وبشره بمصير الأمر إليه، فصادف منه أذناً واعية، واشتمل عليه ابن جرار من بعدها.

فلما ورد الخبر بنكبة السلطان أغراه ابن جرار بالتوثب على الملك، وسول له الاستئثار به على إخوانه تيقناً بمهلك السلطان، ثم أوهمه الصدق بإرجاف الناس بموت السلطان، فاعتزم وشحذ عزمه في ذلك ما اتصل به من حافد السلطان منصور ابن الأمير أبي مالك صاحب فاس وأعمال المغرب من الانتزاء على عمله، وأنه فتح ديوان العطاء واستلحق واستركب لغيبة بني مرين عن بلادهم، وخلاء جوه من عساكرهم، وأظهر العسكر والحشد لاستنفاذ السلطان من هوة القيروان يسر منها حسواً في ارتغاء، وتفطن لشأنه الحسن بن سليمان بن يرزيكن عامل القصبة بفاس، وصاحب الشرطة بالضواحي، فاستأذنه باللحاق بالسلطان، فأذن له راحة من مكانه.

وأصحبه عمال المصامدة ونواحي مراكش ليستقدمهم على السلطان بجباياتهم، فلحق بالأمير أبي عنان على حين أمضى عزيمته على التوثب والدعاء لنفسه، فقبض أموالهم وأخرج ما كان بمودع السلطان بالمنصورة من المال والذخيرة، وجاهر بالدعاء لنفسه، وجلس للبيعة بمجلس السلطان من قصره في ربيع من سنة تسع وأربعين وسبعمائة فبايعه الملأ.

وقرأ كتاب بيعتهم على الأشهاد، ثم بايعه العامة، وانفض المجلس وقد انعقد سلطانه ورست قواعد ملكته، وركب في التعبية والآلة حتى نزل بقبة الملعب.

وأهم الناس وانتشروا وعقد على وزارته للحسن بن سليمان بن يرزيكن، ثم لفارس بن ميمون بن ودرار وجعله رديفا له وتبعاً، ورفع مكان ابن جرار عليهم.

واختص لولايته ومناجاة خلوته كاتبه أبا عبد الله بن محمد ابن القاضي عبد الله بن أبي عمر وسنذكر خبره.

ثم فتح الديوان واستركب من تساقط إليه من فل أبيه، وخلع عليهم ودفع إليهم أعطياتهم وأزاح عللهم.

وبينما هو يريد الرحلة إلى المغرب إذ بلغه أن ونزمار ابن ولي السلطان، وخالصته عريف بن يحيى، وكان أمير زغبة لعهده ومقدماً على سائر البدو، وبلغه أنه قد جمع له يريد حربه، وغلبه على ما صار إليه من الانتزاء والثورة على أبيه.

وأنه قصد تلمسان بجموعه من العرب وزناتة المغرب الأوسط، فعقد للحسن بن سليمان وزيره على حربه وأعطاه الآلة وسرحه للقائه، وسرح معه من حضره من بني عامر أقتال سويد، وارتحل الوزير بعسكره حتى احتل بتاسالة، وناجزه ونزمار

الحرب، ففلت جموعه ومنحوا أكتافهم، واتبع الوزير وعسكره آثارهم، واكتسح أموالهم وحللهم، وعاد إلى سلطانه بالفتح والغنائم.

وارتحل الأمير أبو عنان إلى المغرب، وعقد على تلمسان لعثمان بن جرار وأنزله بالقصر القديم منها، حتى كان من أمره مع عثمان بن عبد الرحمن ما ذكرنا في أخبارهم.

ولما انتهى إلى وادي الزيتون وشى إليه بالوزير الحسن بن سليمان أنه مضمر الفتك به بتازى تزلفاً إلى السلطان ووفاء بطاعته، وأنه داخل في ذلك الحافد منصور صاحب أعمال المغرب، بما كان يظهر من طاعة جده، وارتاب الأمير أبو عنان به واستظهر واشيه على ذلك بكتابه.

فلما قرأه تقبض عليه، وقتله بالمساء خنقاً، وأغذ السير إلى المغرب.

وبلغ الخبر منصور بن أبي مالك صاحب فاس فزحف للقائه، والتقى الجمعان بساحة تازى وبوادي أبي الأجراف، فاختل مصاف منصور وانهزمت جموعه ولحق بفاس.

وانحجز بالبلد الجديد وارتحل الأمير أبو عنان في أثره، وتسايل الناس على طبقاتهم إليه، وآتوه الطاعة وأناخ بعساكره على البلد الجديد في ربيع الآخر من سنة تسع وأربعين، وأخذ بمختقها وجمع الأيدي والفعلة على الآلات لحصارها، ولحين نزوله على البلد الجديد أوعز إلى الوالي بمكناسة، أن يطلق أولاد أبي العلاء المعتقلين بالقصبة، فأطلقهم ولحقوا به فأقاموا معه على حصار البلد الجديد، وطال تمرسه بها إلى أن ضاقت أحوالهم واختلفت أهواؤهم، ونزع إليه أهل الشوكة منهم.

ونزع إليهم إدريس بن عثمان بن أبي العلاء فيمن إليه من الحاشية بإذنه له في ذلك سراً ليمكنه بهم، فدس إليه وواعده الثورة بالبلد، فثار بها واقتحمها الأمير أبو عنان عليهم، ونزل منصور بن أبي مالك على حكمه، فاعتقله إلى أن قتله بمحبسه، واستولى على دار الملك وسائر أعمال المغرب وتسابقت إليه وفود الأمصار للتهنئة والبيعة.

وتمسك أهل سبتة بطاعة السلطان والانقياد لقائدهم عبد الله بن علي بن سعيد من طبقة الوزراء حيناً، ثم توثبوا به وعقدوا على أنفسهم للأمير أبي عنان، وقادوا عاملهم إليه.

وتولى كبر الثورة فيهم زعيمهم الشريف أبو العباس أحمد بن محمد بن رافع من بيت أبي الشريف من آل الحسن، كانوا انتقلوا إليها من صقلية، واستوسق للأمير أبي عنان ملك المغرب، واجتمع إليه قومه من بني مرين إلا من أقام مع السلطان بتونس وفاء بحقه، وحص جناح أبيه عن الكرة على الكعوب الناكثين لعهده، الناكبين عن طاعته، فأقام بتونس يرجي الأيام، ويأمل الكرة، والأطراف تنتقض والخوارج تتجدد إلى أن ارتحل إلى المغرب بعد اليأس، كما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن انتقاض النواحي وانتزاء بني عبد الواد بتلمسان ومغراوة بشلف وتوجين بالمدية

لما كانت نكبة السلطان بالقيروان وانتثر ملك زناتة، وانتقضت قواعد سلطانهم، اجتمع كل قوم منهم لإبرام أمرهم والنظر في شأن جماعتهم، وكانوا جميعاً نزعوا إلى الكعوب الخارجين على السلطان، وبنزوعهم كانت الدايرة عليه.

ولحقوا بتونس مع الحاجب أبي محمد بن تافراكين ليلحقوا منها بأعمالهم.

وكان في جملة السلطان جماعة من أعياصهم: منهم عثمان وإخوته الزعيم ويوسف وإبراهيم أبناء عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان سلطان بني عبد الواد، صاروا في أيالة السلطان منذ فتح تلمسان وأنزلهم بالجزيرة للرباط.

ثم رجعوا بعد استئثار الطاغية بها إلى مكانهم من دولتهم، وساروا إلى القيروان تحت لوائه ومنهم علي بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل.

وقد ذكرنا أخبار أبيه وأنه ربي في إيالة السلطان وجو الدولة يتيماً، وكفلته نعمتها منذ نشأته حتى كأنه لا يعرف سواها، فاجتمع بنو عبد الواد بتونس وعقدوا على أنفسهم لعثمان بن عبد الرحمن بما كان كبير إخوته، وأتوه ببيعتهم بشرقي المصلى العتيق المطل على سيجوم من ساحة البلد، لعهده بهم يومئذ.

وقد وضعوا له بالأرض درقة من اللمط أجلسوه عليها، ثم ازدحموا مكبين على يده يقبلونها للبيعة.

ثم اجتمع من بعدهم مغراوة إلى علي بن راشد وبايعوه وحفوا به.

وتعاهد بنو عبد الواد ومغراوة على الألفة وانتظام الكلمة وهدر الدماء.

وارتحلوا إلى أعمالهم بالمغرب الأوسط، فنزل علي بن راشد

وقومه بموضع عملهم من ضواحي شلف، وتغلبوا على أمصاره وافتتحوا تنس وأخرجوا منها أولياء السلطان وعسكره، وقتلوا القاضي بمازونة سرحان، كان مقيماً لدعوة السلطان بها، ثم سولت له نفسه التوثب والانتزاء، فدعا لنفسه، وقتله علي بن راشد وقومه.

وأجاز عثمان بن عبد الرحمن وقومه من بني عبد الواد إلى محلّ ملكهم بتلمسان، وألفوا عثمان بن جرار قد انتزى بها بعد منصرف الأمير أبي عنان ودعا لنفسه، فتجهم له الناس لتوثبه على المنصب الذي ليس لأبيه، واستمسك بالبلد أياماً يؤمل نزوع قومه إليه.

ثم زحف إليه بنو عبد الواد وسلطانهم فصدقوه الزحف، وثارت به الغوغاء، وكسروا أبواب البلد، وخرجوا إلى السلطان فأدخلوه القصر، واحتل به في جمادى من سنة تسع وأربعين وسبعمائة وتسابق الناس إلى مجلسه مثنى وفرادى، وبايعوه البيعة العامة.

وتفقد ابن جرار، ثم أغرى به البحث، فعثر عليه ببعض زوايا القصر، واحتمل إلى المطبق فأودع به إلى أن سرب إليه الماء فمات غريقاً في هوته.

وساهم السلطان أبو سعيد عثمان أخاه أبا ثابت الزعيم في سلطانه، وشركه في أمره، وأردفه في ملكه، وجعل إليه أمر الحرب والضواحي والبدو كلها.

واستوزر قريبه يحيى بن داود بن مكن، من ولد محمد بن تيدوكسن بن طاع اللّه، واستوسق ملكهم، وأوفدوا مشيختهم على الأمير أبي عنان صاحب المغرب، وسلطان بني مرين، فعقدوا معه السلم والمهادنة، واشترطوا له على أنفسهم دفاع السلطان أبيه عن الخلوص إليه.

وزحفوا إلى وهران من ثغور أعمالهم، ونازلوا بها أولياء السلطان وعساكره، وعاملها يومئذ عبّو بن جانا من صنائع السلطان إلى أن غلبوه عليها، واستنزلوه صلحاً لأشهر من حصارها.

واستمسك أهل الجزائر بطاعة السلطان، واعتصموا بها، وعقد عليها لقائده محمد بن يحيى العشري من صنائع أبيه، بعثه إليهم من تونس بعد نكبة القيروان.

ونجم بالمدية عدي بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوي داعياً لنفسه، وطالباً سلطان سلفه، وامتنع عليه معقل ملكهم بجبل وانشريش لمكان ولد عمر بن عثمان وقومهم بني تيغرين في رياسته، والتحاش إليه أولاد عزيز من بني توجين أهل ضاحية المدية فقاموا بأمره، واعصوصبوا عليه، وكانت بينه وبين أبناء عمر بن عثمان حرب سجال إلى أن هلك، وخلص أمر بني توجين لأبناء عمر بن عثمان، وهم على مذهبهم من طاعة السلطان وتمسكهم بدعوته، وهو مقيم خلال ذلك بتونس إلى أن أزمع الرحلة، واحتل بالجزائر كما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن رجوع أمراء الثغور الغربية من الموحدين إلى ثغورهم ببجاية وقسنطينة

لما توثب الأمير أبو عنان على ملك أبيه وبويع بتلمسان، وكانت للأمير أبي عبد اللّه محمد ابن الأمير أبي زكريا صاحب بجاية لديه خلة ومصافاة، من لدن بعثه إليه السلطان أبوه من بجاية.

وأنزله بتلمسان فرعى له السابقة وآثره في الإمارة، وعقد له على محل إمارته من بجاية، وأمده بما يرضيه من المال والسلاح.

ودفعه إليها ليكون حجزاً دون السلطان بتونس، وضمن له هذا الأمير صده عن الخلوص إليه، وسد المذاهب دونه.

وأوعز أبو عنان إلى أساطيله بوهران، فركبها الأمير إلى تدلس ودخلها.

ونزع إليه صنهاجة أهل ضاحية بجاية، عن عمه المولى أبي العباس الفضل واعصوصبوا عليه وقاموا بأمره لقديم نعمته وسالف إمارة أبيه.

ولما ارتحل الأمير أبو عنان إلى المغرب، رحل في جملته المولى أبو زيد عبد الرحمن ابن مولانا الأمير أبي عبد اللّه صاحب قسنطينة ومعه إخوته، فاختصهم يومئذ بتقريبه وخلطهم بنفسه.

فلما غلب الأمير أبو عنان منصور ابن أخيه أبي مالك على البلد الجديد، واستولى على المغرب رأى أن يبعث ملوك الموحدين إلى بلادهم، ويدفع في صدر أبيه بمكانهم فسرح المولى أبا زيد وجميع إخوته، وكان منهم مولانا السلطان أبو العباس الذي جبر اللّه به الصدع ونظم الشمل، فوصلوا إلى موطن ملكهم ومحل إمارتهم.

وكان مولاهم نبيل حاجب أبيهم قد تقدم إلى بجاية، ولحق بالمولى أبي عبد اللّه بمكانه من حصارها.

ثم تقدم إلى قسنطينة وبها مولى من موالي السلطان المتغلب عليها، وهو المولى أبو العباس الفضل، فلحين إطلاله على جهاتها وشعور أهلها بمكانه لفحت منهم عزائز المودة وذكروا جميل

الإيالة، وأجمعوا التوثب بوالديهم.

واحتل نبيل بظاهر قسنطينة فشرهت العامة إلى إمارته والقيام بدعوة مواليه.

وتوثب أشياعهم على أولياء عمهم فأخرجوهم واستولى القائد نبيل على قسنطينة وأعمالها وأقام دعوة المولى أبي زيد وإخوته كما كانت أول مرة بها: وجاؤوا من المغرب إلى مركز إمارتهم ودعوتهم بها قائمة، ورايتهم على أنحائها خافقة فاحتلوا بها حلول الآساد بعرينها والكواكب بآفاقها، ونهض المولى أبو عبد اللّه محمد فيمن اجتمع إليه من البطانة والأولياء، إلى محاصرة بلد بجاية، فأحجز عمه بالبلد، وأخذ بمخنقها أياماً، ثم أفرج عنها، ثم رجع إلى مكانه من حصارها.

ودس إليه بعض أشياعه بالبلد، وسرب المال في الغوغاء، فواعدوه فتح أبواب الربض في إحدى ليالي رمضان سنة تسع وأربعين وسبعمائة واقتحم البلد وملأ الفضاء بهدير طبوله، فهب الناس من مراقدهم فزعين وقد ولج الأمير وقومه البلد.

ولجأ الأمير أبو العباس الفضل إلى شعاب الجبل وكواريه المطل على القصبة راجلاً حافياً، فاختفى إلى أن عثر عليه ضحى النهار، وسيق إلى ابن أخيه، فمن عليه وأركبه السفين إلى محل إمارته من بونة.

وخلص ملك بجاية للمولى الأمير أبي عبد اللّه هذا واقتعد سرير آبائه بها، وكتبوا للأمير أبي عنان بالفتح، وتجديد المخالصة والموالاة، والعمل على مدافعة أبيه من جهاته، واللّه تعالى أعلم.

## الخبر عن نهوض الناصر ابن السلطان ووليه عريف بن يحيى من تونس إلى المغرب الأوسط

لما بلغ السلطان خبر ما وقع بالمغرب من انتقاض أطرافه، وتغلب الأعياص من قومه وسواهم على أعماله، ووصل إليه يعقوب بن علي أمير الدواودة بولده وعماله ووفده، نظر في تلافي أمره فسرح ولده الناصر إلى المغرب الأوسط لارتجاع ملكهم، ومحو آثار الخوارج من أعمالهم.

فنهض مع يعقوب بن علي وأصحبه وليه عريف بن يحيى أمير زغبة ليستظهر به على ملك المغرب، وقدمهما طليعة بين يديه، وسار الناصر إلى بسكرة، واضطرب معسكره بها، ثم فصل من بلاد رياح إلى بلاد زغبة، واجتمع إليه أولياؤهم من العرب ومن زناتة من بني توجين أهل وانشريش وغيرهم.

وزحف إليهم الزعيم أبو ثابت من تلمسان في قومه من بني عبد الواد وغيرهم للمدافعة.

والتقى الجمعان بوادي ورك وانفضت جموع الناصر واندعروا، ورجع على عقبه إلى بسكرة وخلص عريف بن يحيى إلى قومه سويد، ثم قطع القفر إلى المغرب الأقصى.

ولحق بالأمير أبي عنان فنزل منه بألطف محل، ورجع الناصر إلى بسكرة، وارتحل مع أوليائهم أولاد مهلهل لمدافعة أولاد أبي الليل وسلطانهم المولى الفضل عن تونس كما ذكرناه.

وأحسوا بهم، فنهضوا إليهم، وفروا أمامهم، إلى أن خلص الناصر إلى بسكرة ثانية، واتخذها مثوى إلى أن لحق بأبيه بالجزائر عند رحلته من تونس إليها كما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن رحلة السلطان أبي الحسن إلى المغرب وتغلب المولى الفضل على تونس وما دعا إلى ذلك من الأحوال

لما خلص المولى أبو العباس الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى من نكبة ببجاية، وامتن عليه ابن أخيه، فلحق بمحل إمارته من بونة.

ووافته بها مشيخة أولاد أبي الليل، أوفدهم عليه بنو حمزة بن عمر يستحثونه لملك إفريقية، يرغبونه فيه، فأجاب داعيتهم ونهض إليهم بعد قضاء نسك الفطر من سنة تسع وأربعين، ونزل بمحللهم وأرجفوا بخيلهم وركابهم على ضواحي إفريقية، وجبوها، وصمدوا إلى تونس فنازلوها وأخذوا بمخنقها أياماً، ثم أخذ بحجزتهم عنها شيعة السلطان وأولياؤه من أولاد مهلهل وابنه الناصر عند قفوله من المغرب الأوسط مفلولاً فرحلوهم وشردوهم، ثم رجعوا إلى مكانهم من حصارها، ثم انفضوا عنها.

وتحيز خالد بن حمزة إلى شيعة السلطان أبي الحسن من أولاد مهلهل وقومه، فاعتزوا به وذهب عمر بن حمزة إلى المشرق لقضاء فرضه، وأجفل أبو الليل أخوه والمولى الفضل إلى القفر حتى كان من دخول أهل الجريد في طاعته ما سنذكره إن شاء اللّه تعالى.

وكان السلطان لما خلص من القيروان إلى تونس، وفد إليه أحمد بن مكي مهنياً ومفاوضاً في شأن الثغر وما مني به من انتقاض

الأطراف وفساد الرعية.

وتدارك السلطان أمره عند فواته بالتولية على أهل القطر من جنسهم استئلافاً للكافة، واستبقاء لطاعتهم.

فعقد على عمل قابس وجربة والحمة، وما إليها لعبد الواحد ابن السلطان أبي زكريا بن أحمد اللحياني، وأنفذه مع أحمد بن مكي إلى عمله، فهلك بجربة لليال من مقدمه بالطاعون الجارف عامئذ.

وعقد لأبي القاسم بن عتو شيخ الموحدين على توزر ونفطة وسائر بلاد الجريد، بعد أن كان استخلصه عند مفر أبي محمد بن تافراكين قريعه، وما ظهر من سوء دخلته، فنزل بتوزر وجمع أهل الجريد على الولاية والمخالصة، ولما نازل المولى أبو العباس الفضل تونس مرتين، وشرد أولاد مهلهل وامتنعت عليه، عمد إلى الجريد سنة خمس وسبعمائة يحاول فيه ملكاً، وخاطب أبا القاسم بن عتو يذكره عهده وعهد سلفه وحقوقهم، فتذكر وحن، ونظر إلى ما ناله به السلطان من المثلة في أطرافه، واستثار كامن حقده، فانحرف وحمل الناس على طاعة المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى، فسارعوا إلى الإجابة وبايعه أهل توزر وقفصة ونفطة والحمة، ثم دعا ابن مكي إلى طاعته فأجاب إليها وبايعه أهل قابس وجربة أيضاً.

وانتهى الخبر إلى السلطان باستيلاء المولى الفضل على أمصار إفريقية، وأنه ناهض إلى تونس، فأهمه الشأن وخشي على أمره، وكانت بطانته يوسوسون إليه بالرحلة إلى المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه، فأجابهم إليها وشحن أساطيله بالأقوات، وأزاح علل المسافرين.

ولما قضى منسك الفطر من سنة خمسين وسبعمائة ركب البحر أيام استفحال فصل الشتاء، وعقد لابنه أبي الفضل على تونس ثقة بما بينه وبين أولاد حمزة من الصهر، وتفادياً بمكانه عن معرة الغوغاء وثورتهم.

وأقلع من مرسى تونس، ولخمس دخل مرسى بجاية، وقد احتاجوا إلى الماء فمنعهم صاحب بجاية من الورود، وأوعز إلى سائر سواحله بمنعهم، فزحفوا إلى الساحل وقاتلوا من صدهم عن الماء إلى أن غلبوهم عليه واستقوا وأقلعوا، وعصفت بهم الريح ليلتئذ وجاءهم الموج من كل مكان، وألقاهم اليم بالساحل بعد أن تكسرت الأجفان، وغرق الكثير من بطانة السلطان وعامة الناس، وقذف الموج بالسلطان فألقاه إلى الجزيرة قرب الساحل من بلاد زواوة مع بعض حشمه عراة، فمكثوا ليلتهم وصبحهم جفن من الأساطيل كان قد سلم من ذلك العاصف، فقذفوا إليه حين رأوه وقد تصايح به البربر من الجبال وتواثبوا إليه فاختطفه أولياؤه من أهل الجفن قبل أن يصل إليه البربر، وقذفوا به إلى الجزائر فنزل بها، ولأم صدعه.

وخلع على من وصل من فل الأساطيل ومن خلُص إليه من أوليائه، ولحق به ابنه الناصر من بسكرة، واتصل بالمولى الفضل خبر رحيله من تونس وهو ببلاد الجريد، فأغذ السير إلى تونس، ونزل بها على ابنه ومن كان بها من مخلف أوليائه، فغلبوهم عليها، واتصل أهل البلد بهم وأحاطوا يوم منى بالقصبة.

واستنزلوا ابن السلطان أبا الفضل الأمير بالقصبة على الأمان، فخرج إلى بيت أبي الليل بن حمزة، وأنفذ معه من بلغه إلى مأمنه، فلحق بالجزائر بأبيه وبادر إلى السلطان عدي بن يوسف المنتزي بالمدينة من بني عبد القوي، فصار في جملته، وخرج له عن الأمر، وزعم أنه إنما كان قائماً بدعوته، فتقبل منه وأقره على عمله.

ووفد عليه أولياؤه من المغرب: سويد والحارث وحصين ومن إليهم ممن اجتمع إلى وليه ونزمار بن عريف المتمسك بطاعته.

ووفد عليه أيضاً علي بن راشد أمير مغراوة، وأغراه ببني عبد الواد، واشترط عليه إقراره بوطنه وعمله إذا تم أمره، فأبى من قبول الاشتراط ظناً بعهده عن النكث، فنزع عنه وصار إلى مظاهرة بني عبد الواد عليه.

وبعث أبو سعيد عثمان صاحب تلمسان إلى الأمير أبي عنان في المدد، فبعث إليه بعسكر من بني مرين عقد عليهم ليحيى بن رحو بن تاشفين بن معطي من تيريبغن، وزحف الزعيم أبو ثابت إلى حرب السلطان أبي الحسن فيمن اجتمع إليه من عسكر بني مرين ومغراوة.

وخرج السلطان من الجزائر وعسكر بمتيجة، واحتشد ونزمار سائر العرب بحللهم، ووافاه بهم، وارتحلوا إلى شلف، ولما التقى الجمعان، بشدبونة صدقه مغراوة الحملة وصابرهم ابنه الناصر وطعن في الجولة فهلك فاحتل مصاف السلطان واستبيح معسكره، وانتهبت فساطيطه، وخلص مع وليه ونزمار بن عريف وقومه بعد أن استبيحت حللهم، فخرجوا إلى جبل وانشريش، ثم لحقوا بجبل راشد، ورجع القوم عن اتباعهم، وانكفؤوا إلى الجزائر فتغلبوا عليها، وأخرجوا من كان بها من أولياء السلطان ومحوا آثار دعوته من المغرب الأوسط جملة، والأمر بيد الله يؤتيه من يشاء.

## الخبر عن استيلاء السلطان على سجلماسة ثم فراره عنها أمام ابنه إلى مراكش ثم استيلاؤه عليها وما تخلل ذلك

لما انفضت جموع السلطان بشدبونة وفلت عساكره، وهلك الناصر ابنه، خلص إلى الصحراء مع وليه ونزمار ولحق بحلل قومه سويد وأوطانهم قبلة جبل وانشريش، وأجمع أمره على قصد المغرب موطن قومه ومنبت عزه ودار ملكه.

وارتحل معه وليه ونزمار بالناجعة من قومه، وخرجوا إلى جبل راشد.

ثم أبعدوا المذاهب وقطعوا المفاوز وسلكوا إلى سجلماسة في القفر.

فلما أطلوا عليها وعاين أهلها السلطان تهافتوا عليه تهافت الفراش، وخرج إليه العذارى من وراء ستورهن صاغية إليه، وإيثاراً لإيالته، وفر العامل بسجلماسة إلى منجاته.

وكان الأمير أبو عنان لما بلغه الخبر بقصد سجلماسة، ارتحل إليها في قومه وكافة عساكره بعد أن أزاح عللهم وأفاض عطاءه فيهم، وكان لبني مرين نفرة عن السلطان وحذر من غائلته لجناياتهم بالتخاذل في المواقف، والفرار عنه في الشدائد، ولما كان يبعد بهم في الأسفار ويتجشم بهم المهالك، فكانوا لذلك مجتمعين على منابذته، ومخلصين في مناصحة ابنه منازعة، فما لبث السلطان أن جاءه الخبر بوصولهم إليه في العساكر الضخمة، مغذين السير إلى دفاعه، وعلم من حاله أنه لا يطيق لقاءهم، وأجفل عنه ونزمار وليه في قومه سويد.

وكان من خبره أن عريف بن يحيى كان نزع إلى الأمير أبي عنان وأحله بمحله المعهود من تشريفهم وولايتهم، حتى إذا بلغه الخبر بمناصحة ونزمار للسلطان ومظاهرته وقصده المغرب معه بناجعته، زوى عنه وجه رضاه بعض الشيء، وأقسم له لئن لم يفارق السلطان لأوقعن بك وبابنك عنتر. وكان معه من جملة الأمير أبي عنان، وأمره بأن يكتب له بذلك، فآثر ونزمار رضى أبيه، وعلم أن غناءه عن السلطان في وطن المغرب قليل، فأجفل عنه ولحق بالزاب وانتبذ عن قومه، وألقى عصاه ببسكرة، فكان ثواؤه بها إلى أن لحق بالأمير أبي عنان على ما نذكره.

ولما أجفل السلطان عن سجلماسة، ودخل الأمير أبو عنان إليها وثقف أطرافها وسد فروجها، وعقد عليها ليحى بن عمر بن عبد المؤمن كبير بني ونكاسن، وبلغه قصد السلطان إلى مراكش، فاعتزم على الرحلة إليها وأبى عليه قومه، فرجع إلى فاس إلى أن كان من خبرهم مع السلطان ما نذكره.

## الخبر عن استيلاء السلطان على مراكش ثم انهزامه أمام الأمير أبي عنان ومهلكه بجبل منتاتة عفا الله عنه

لما أجفل السلطان من سجلماسة سنة إحدى وخمسين وسبعمائة بين يدي الأمير أبي عنان وعساكر بني مرين، وقصد مراكش، وركب إليها الأوعار من جبال المصامدة.

ولما شارفها تسارع إليه أهل جهاتها بالطاعة من كل أوب، ونسلوا من كل حدب.

ولحق عامل مراكش بالأمير أبي عنان ونزع إلى السلطان صاحب ديوان الجباية أبو المجد محمد بن أبي مدين بما كان في المودع من مال الجباية، فاختصه واستكتبه وجعل إليه علامته، واستركب واستلحق وجبى الأموال، وبث العطاء، ودخل في طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة.

وثاب له ملك بمراكش أمل معه أن يستولي على سلطانه، ويرتجع فارط أمره من يد مبتزه.

وكان الأمير أبو عنان لما رجع إلى فاس عسكر بساحتها، وشرع في العطاء وأزاح العلل، وتقبض على كاتب الجباية حمزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين، اتهمه بمالأة بني مرين في الإباية عليه عن اللحاق بمراكش من سجلماسة.

وأثار حقده في ذلك ما كان من نزوع عمه أبي المجد إلى السلطان بأموال الجباية، ووسوس إليه في السعاية به كاتبه وخالصته أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمرو لما بينهما من المنافسة، فتقبض عليه وامتحنه، ثم قطع لسانه وهلك في ذلك الامتحان، وارتحل الأمير أبو عنان وجموع بني مرين إلى مراكش، وبرز السلطان إلى لقائهم ومدافعتهم، وانتهى كل واحد من الفريقين إلى وادي أم ربيع، وتربص كل واحد بصاحبه إجازة الوادي.

ثم أجازه السلطان أبو الحسن وأصبحوا جميعا في التعبية، والتقى الجمعان بتامدغرست في آخر صفر من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة فاختل مصاف السلطان وانهزم عسكره، ولحق به أبطال بني مرين فرجعوا عنه حياء وهيبة.

وكبا به فرسه يومئذ في مفره، فسقط إلى الأرض والفرسان تحوم حوله.

واعترضهم دونه أبو دينار سليمان بن علي بن أحمد أمير الدواودة، ورديف أخيه يعقوب، كان هاجر مع السلطان من الجزائر، ولم يزل في جملته إلى يومئذ، فدافع عنه حتى ركب وسار من ورائه ردءاً له.

وتقبض على حاجبه علال بن محمد، فصار في يد الأمير أبي عنان وأودعه السجن إلى أن امتن عليه بعد مهلك أبيه.

وخلص السلطان إلى جبل هنتاتة ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن علي، فنزل عليه وأجاره واجتمع إليه الملأ من هنتاتة ومن انضاف إليهم من المصامدة، وتدامروا وتعاهدوا على الدفاع عنه، وبايعوه على الموت، وجاء أبو عنان على أثره حتى احتل بمراكش، وأنزل عساكره على جبل هنتاتة، ورتب المسالح لحصاره وحربه، وطال عليه ثواؤه، وطلب السلطان من ابنه الإبقاء، وبعث في حاجبه محمد بن أبي عمرو فحضر عنده، وأحسن العذر عن الأمير أبي عنان والتمس له الرضى منه، فرضي عنه، وكتب له بولاية عهده.

وأوعز إليه بأن يبعث له مالاً وكسى، فسرح الحاجب ابن أبي عمرو إلى إخراجها من المودع بدار ملكهم، واغتال السلطان خلال ذلك، فمرضه أولياؤه وخاصته، وافتصد لإخراج الدم، ثم باشر الماء بعضوه للطهارة، فورم وهلك لليال قريبة عفا الله عنه، لثلاث وعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وبعث أولياؤه بالخبر إلى ابنه بمعسكره من ساحة مراكش، ورفعوه على أعواده إليه فتلقاه حافياً حاسراً، وقبل أعواده وبكى، واسترجع ورضي عن أوليائه وخاصته، وأنزلهم بالمحل الذي رضوه من دولته، ووارى أباه بمراكش إلى أن نقله إلى مقبرة سلفه بشالة في طريقه إلى فاس وتلقى أبا دينار بن علي بن أحمد بالقبول والكرامة، وأحله من كنفه محل الرحب والسعة، وأسنى جوائزه، وخلع عليه وحمله.

وانصرف من فاس إلى قومه يستحثهم للقاء السلطان أبي عنان بتلمسان لما كان أجمع على الحركة إليها بعد مهلك أبيه، ورعى لعبد العزيز بن محمد أمير هنتاتة إجارته للسلطان واستماتته دونه، فعقد له على قومه وأحله بالمحل الرفيع من دولته ومجلسه، واستبلغ في تكريمه، والله تعالى أعلم.

## الخبر عن حركة السلطان أبي عنان إلى تلمسان وإيقاعه ببني عبد الواد بأنكاد ومهلك أبي سعيد سلطانهم

لما هلك السلطان أبو الحسن وانقضى شأن الحصار وارتحل السلطان أبو عنان إلى فاس ونقل شلو أبيه إلى مقبرتهم بشالة فدفنه مع من هنالك من سلفه.

وأغذ السير إلى فاس وقد استبد بالأمر، وخلت الدولة عن المنازع، فاحتل بفاس وأجمع أمره على غزو بني عبد الواد لارتجاع ما بأيديهم من الملك الذي سموا لاستخلاصه.

ولما كان فاتح سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة نادى بالعطاء وأزاح العلل، وعسكر بساحة البلد الجديد، واعترض العساكر وارتحل يريد تلمسان، واتصل الخبر بأبي سعيد وأخيه، فجمعوا قومهم ومن إليهم من الأشياع والأحزاب من زناتة والعرب، وارتحلوا إلى لقائه، ونزل السلطان بمعسكر وادي ملوية، وتلوم به أياماً لاعتراض الحشد والعرب.

ثم رحل على التعبية حتى إذا احتل ببسيط أنكاد وتراءى الجمعان، انفض سرعان المعسكر ولحقوا بالمغرب وركب السلطان في التعبية وخاض بحر القتال، وقد أظلم الجو به حتى إذا خلص إليهم من غمره، وخالطهم في صفوفهم، ولوا الأدبار، ومنحوهم الأكتاف، واتبع بنو مرين آثارهم فاستولوا على معسكرهم واستباحوه واستلحموهم قتلاً وسبياً، وصفدوهم أسارى، وغشيهم الليل وهم متسايلون في آثارهم، وتقبض على أبي سعيد سلطانهم، فسيق إلى السلطان وأمر باعتقاله، وأطلق أيدي بني مرين من الغد على حلل العرب من المعقل، فاستباحوهم واكتسحوا أموالهم جزاء بما شرهوا إليه من النهب في المحنة في هيعة ذلك المجال.

ثم ارتحل به على تعبية إلى تلمسان فاحتل بها لربيع من سنته، واستوت في ملكها قدمه، وأحضر أبا سعيد فقرعه ووبخه وأراه أعماله حسرة عليه، وأحضر الفقهاء وأرباب الفتيا، فأفتوا بحرابته وقتله.

وأمضى حكم الله فيه، فذبح في محبسه لتاسعة من اعتقاله، وجعله مثلاً للآخرين.

وخلص أخوة الزعيم أبو ثابت إلى قاصية الشرق، فكان من خبره ما نذكره إن شاء الله تعالى والله أعلم.

## الخبر عن شأن أبي ثابت وإيقاع بني مرين به بوادي شلف وتقبض الموحدين عليه ببجاية

لما أوقع السلطان ببني عبد الواد بأنكاد، وتقبض على أبي سعيد سلطانهم، خلص أبو ثابت أخوه في فل منهم، ومر بتلمسان، فاحتمل حرمهم ومخلفهم، وأجفل إلى الشرق، فاحتل بشلف من بلاد مغراوة وعسكر هنالك.

واجتمع إليه أوشاب من زناتة، وحدث نفسه باللقاء، ووعدها بالصبر والثبات، وسرح السلطان وزيره فارس بن ميمون بن ودرار في عساكر بني مرين والجند، فأغذ السير إليهم وارتحل من تلمسان على أثره، ولما تراءى الجمعان صدق الفريقان المجاولة، وخاضوا النهر بالقراع.

ثم صدق بنو مرين الحملة وأجازوا النهر إليهم، فانكشفوا واتبعوا آثارهم واستلحموهم، واستباحوا معسكرهم واستاقوا أموالهم ودوابهم ونساءهم، وارتحلوا في أتباعهم، وكتب الوزير بالفتح إلى السلطان، ومر أبو ثابت بالجزائر طارقاً، وأجاز إلى قاصية الشرق، فاعترضتهم قبائل زواوة وأرجلوهم عن خيلهم، وانتهبوا أسلابهم، ومروا حفاة عراة، واحتل الوزير بالجزائر، واستولى عليها واقتضى بيعة السلطان منهم فآتوها، واحتل الوزير بالمدية وأوعز إلى أمير بجاية المولى أبي عبد الله محمد حافد مولانا الأمير أبي يحيى مع وليه ونزمار وخالصته يعقوب بن علي بالقبض على أبي ثابت وأشياعه فأذكوا العيون عليهم وقعدوا لهم بالمرصاد، وعثر بعض الجشم على أبي ثابت وأبي زيان ابن أخيه أبي سعيد ووزيرهم يحيى بن داود، فرفعوهم إلى الأمير ببجاية، فاعتقلهم وارتحل إلى لقاء السلطان بالمدية وبعثهم مع مقدمته، وجاء على أثرهم ونزل على السلطان بمعسكره من المدية خير نزل، بعد أن تلقاه بالمبرة والاحتفاء، وركب للقائه، ونزل عن فرسه للسلطان، فنزل السلطان براً به، وأودع أبا ثابت السجن.

وتوافت إليه وفود الدواودة بمكانه من المدية، فأكرم وفدهم وأسنى أعطياتهم من الخلع والحملان والذهب، وانقلبوا خير منقلب، ووافته بمكانه ذلك بيعة ابن مزني عامل الزاب ووفدهم، فأكرمهم ووصلهم.

وفرغ السلطان من شأن المغرب الأوسط، وبث العمال في نواحيه، وثقف أطرافه، وسما إلى ملك إفريقية كما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن تملك السلطان أبي عنان بجاية وانتقال صاحبها إلى المغرب

لما وصل المولى أبو عبد الله محمد ابن الأمير أبي زكريا يحيى صاحب بجاية إلى السلطان بمكانه من المدية في شعبان من سنته، وأقبل السلطان عليه، وبوأه كنف ترحيبه وكرامته، خلص الأمير به نجيًّا، وشكى إليه ما تلقاه من أهل عمله من الامتناع من الجباية والسعي في الفساد، وما يتبع ذلك من زبون الحامية واستبداد البطانة وكان السلطان متشوقاً لمثلها، فأشار عليه بالنزول عنها، يعوضه عنها ما شاء من بلاده، فسارع إلى قبول إشارته، ودس إليه مع حاجبه محمد بن أبي عمرو أن يستبد بذلك على رؤوس الملاء، ففعل، ونقم عليه بطانته ذلك، وفرّ بعضهم من معسكره، فلحق بإفريقية، ومنهم علي بن القائد محمد بن الحكم.

وأمره السلطان أن يكتب بخطه إلى عامله على البلد بالنزول عنها وتمكين عمال السلطان منها ففعل وعقد السلطان عليها لعمر بن علي الوطاسي من أولاد الوزير الذي ذكرنا خبر انتزائهم بتازوطا من قبل، ولما قضى السلطان حاجته من المغرب الأوسط واستولى على بجاية، انكفأ راجعاً إلى تلمسان لشهود الفطر بها، ودخلها في يوم مشهود، وحمل أبا ثابت ووزيره يحيى بن داود على جملين يخطران بهما في ذلك المحفل بين السماطين، فكانا عبرة لمن حضر وسيقا من الغد إلى مصارعهما، فقتلا قعصاً بالرماح، وأنزل السلطان المولى الأمير أبا عبد الله صاحب بجاية خير نزل، وفرض له في مجلسه تكرمة به إلى أن كان من توثب صنهاجة وأهل بجاية بعمر بن علي ما نحن ذاكروه إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن ثورة أهل بجاية ونهوض الحاجب إليها في العساكر

كان صنهاجة هؤلاء من أعقاب تكلاتة ملوك القلعة وبجاية، نزل أولوهم بوادي بجاية بين القبائل من برابرتها الكتاميين في مواطن بني وريكال منذ أول دولة الموحدين، وأقطعوهم على العسكرة معهم، ولما ضعفت جنود الموحدين وقل عددهم انفردوا بالعسكر مع السلطان، وصار لهم بذلك اعتزاز وزبون على الدولة.

وكان المولى الأمير أبو عبد الله هذا قد أصاب منهم لأول أمره، وقتل محمد بن تميم، من أكابر مشيختهم، وكان حاجبه فارح

مولى ابن سيد الناس عريفاً عليهم من عهد أبيه الأمير أبي زكريا، وكان مستبداً على المولى أبي عبد اللّه، فلما نزل عن إمارته للسلطان أبي عنان سخط ذلك ونقمه عليه، وأسرها في نفسه ولم يبدها له، وسرحه أميره مع عمر بن علي الوطاسي لنقل حرمه ومتاعه وماعون داره، فوصل إليها وشكى إليه الصنهاجيون مغبة أمرهم في ثقل الوطأة وسوء الملكة فأشكاهم ودعاهم إلى الثورة ببني مرين، والقيام بدعوة الموحدين للمولى أبي زيد صاحب قسنطينة، فأجابوه وتواعدوا بالفتك بعمر بن علي بمجلسه من القصبة.

وتولى كبرها منصور بن الحاج من مشيختهم، وباكره بداره على عادة الأمراء، ولما أكب عليه للثم أطرافه طعنه بخنجره، وفر إلى بيته جريحاً فولجوا عليه واستلحموه.

وثارت الغوغاء من أهل البلد أول ذي الحجة من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة.

وركب الحاجب فارح وهتف الهاتف بدعوة المولى أبي زيد، وطيروا بالخبر إليه واستدعوه، فتثاقل عن إجابتهم، وبعث مولى من المعلوجي للقيام بأمره.

وبلغ الخبر إلى السلطان فاتهم المولى أبا عبد اللّه بمداخلة حاجبه، فاعتقله بداره.

واعتقل وفداً من ملاء بجاية كان ببابه، وثابت آراء المشيخة من أهل بجاية، وتمشت رجالاتهم وأولوا الرأي والشورى منهم في، الفتك بصنهاجة والعلج، وداخلهم القائد هلال ابن سيد الناس من المعلوجي، وعلي بن محمد بن أليت حاجب الأمير أبي زكريا يحيى، ومحمد بن الحاجب أبي عبد اللّه بن سيد الناس وتواعدوا للفتك بفارح يوم وصول النائب من قبل صاحب قسنطينة، فجهروا بالنكير على الحاجب، ودعوه إلى المسجد ليؤامروه، ونذر أمرهم فاعتمدوا دار شيخ الفتيا أحمد بن إدريس فاقتحموا عليه الدار، وباشره مولاه محمد بن سيد الناس، فطعنه وأشواه، ورمى بشلوه في سقف الدار، وقطع رأسه، فبعثوا به إلى السلطان، وفر منصور بن الحاج وقومه صنهاجة من البلد، وكان بالمرسى أحمد بن سعيد القرمزني من حاشية السلطان، جاء في السفين لبعض حاجاته من تونس، ووافى مرسي بجاية يومئذ فأنزلوه واعصوصبوا عليه، وتنادوا بدعوة السلطان وطاعته، فأشار عليهم أحمد القرموني أن يبعثوا إلى قائد تدلس من مشيخة بني مرين يحياتن بن عمر بن عبد المؤمن الونكاسي، فاستدعوه ووصل إليهم في لُمّة من العسكر، وبعثوا بأخبارهم إلى السلطان وانتظروا.

فلما بلغ الخبر إلى السلطان أمر حاجبه محمد بن أبي عمرو بالنهوض إلى بجاية، فعسكر بساحة تلمسان.

وانتقى له السلطان من قومه وجنوده خمسة آلاف فارس أزاح عللهم، واستوفى أعطياتهم وسرحه فنهض من تلمسان بعد قضاء منسك الأضحى، وأغذ السير إلى بجاية، ولما نزل ببني حسن جمع له صنهاجة ثم خاموا عن اللقاء، ولحقوا بقسنطينة وأجازوا إلى تونس واختل الحاجب بمعسكرهم من خميس بتكلات، وخرج إليه المشيخة والوزراء، فتقبض على القائد هلال وأشخصه إلى السلطان ودخل البلد على التعبية، واحتل بقصبتها لمحرم فاتح أربع وخمسين وسبعمائة وسكن الناس وخلع على المشيخة، واختص علي بن أليت ومحمد بن سيد الناس، واستظهر بهم على أمره، وتقبض على جماعة من الغوغاء نقباء علي من تحت أيديهم ممن يتهم بالمداخلة في التوثب يناهزون مائتين، واعتقلهم وأركبهم السفين إلى المغرب، فودع الناس وسكنوا وتوافت وفود الدواودة من كل جهة، فأجزل صلاتهم واقتضى على الطاعة رهنهم.

ووصل عامل الزاب يوسف، وسد فروجه وارتحل إلى تلمسان أول جمادى لشهرين من مدخله وأغذ السير بمن معه من العرب والوفود، وكنت يومئذ في جملتهم، وقد خلع علي وحملني وأجزل صلتي، وضرب لي الفساطيط، فوفدت في ركابه، وقدم تلمسان لأول جمادى الآخرة، فجلس السلطان للوفد واعترض ما جنب له من الجياد والهدية، وكان يوماً مشهوداً.

ثم أسنى السلطان جوائز الوفد، واختص يوسف بن مزني ويعقوب بن علي بمزيد من البر والصلة، وخصوصيات من الكرامة، وائتمرهم في شأن إفريقية ومنازلة قسنطينة.

ورجع معهم الحاجب ابن أبي عمرو على كره منه لما نذكره من أخباره، وانصرفوا إلى مواطنهم لأول شعبان من سنة أربع وخمسين وسبعمائة وانقلبت معه بعد إسناء الجائزة والخلع والحملان من السلطان، والوعد الجميل بتجديد ما لي ولقومي ببلدنا من الأقطاع واللّه أعلم.

## الخبر عن الحاجب ابن أبي عمرو وما عقد له السلطان على ثغر بجاية وعلى منازلة قسنطينة ونهوضه لذلك

سلف هذا الرجل من أهل المهدية من أجناد العرب من بني تميم بإفريقية، وانتقل جده علي إلى تونس باستدعاء السلطان

المستنصر، وكان فقيهاً عارفاً بالفتيا والأحكام، وقلده القضاء بالحضرة واستعمله على كتابة علامته في الرسائل والأوامر الكبرى والصغرى، فاضطلع بذلك، وهلك على حالة من التجلة والمنصب، وقلد ابنه عبد الله من بعده العلامتين أيام أبي حفص عمر ابن الأمير أبي زكريا كما كان لأبيه، فاضطلع بذلك وكان أخوه أحمد بن علي مسمتاً وقوراً منتحلاً للعلم، ونشأ ابنه محمد وقرأ بتونس، وتفقه على مشيختها.

ولما التاثت أمورهم وتلاشت أحوالهم، خرج محمد بن أحمد بن علي مبتغياً للرزق والمعاش، وطوحت به الطوائح إلى بلد القل.

وكان منتحلاً للطلب والكتابة، فاستعمل شاهداً بمرسى القل أيام رياسة الحاجب ابن غمر، وكانت له صحبة مع حسن بن محمد السبتي المنتحل بنسب الشرف، وكانا رفيقين في مطارح اغترابهما، فسعى له في مرافقة في الشهادة، فأسعفا واتصلا بابن غمر فحمد مذاهبهما.

ولما نزع الشريف عبد الوهاب زعيم تدلس إلى طاعة الموحدين أيام التياث أبي حمو بخروج محمد بن يوسف عليه، واعتلال الدولة، ودخل في أمر ابن غمر وجملته، فبعث محمد بن أبي عمرو إلى تدلس، واستعمل حسن الشريف في القضاء، ومحمد بن عمرو في شهادة الديوان.

فلما برئت الدولة من مرضها، واستفحل أمر أبي حمو وتغلب على تدلس، وجاء رئيس الفتيا ابن الإمام لاقتضاء طاعتها، وإنفاذ أهلها على السلطان كانوا في الوفد، واستقروا بتلمسان يومئذ واستعملا معاً في خطة القضاء متعاقبين أيام بني عبد الواد وأيام السلطان أبي الحسن.

وتعصب على ابن أبي عمرو أيام قضائه جماعة من مشيخة البلد، وسعوا به إلى السلطان أبي الحسن، وتظلموا فأشكاهم على علم ببراءته، واختصه بتأديب ولده فارس هذا وتعليمه، فأفرغ وسعه في ذلك وربي ولده محمد هذا الحاجب مع السلطان أبي عنان مرقاً جليلاً وألقى عليه محبته حتى إذا خلص له الملك رفع رتبة محمد بن أبي عمرو هذا، ورقاه من منزلة إلى أخرى حتى إذا أوفى به على سائر المراتب، وجعل إليه العلامة والقيادة والحجابة والسفارة وديوان الجند والحساب والقهرمة وسائر ألقاب دولته، وخصوصيات داره، فانصرفت إليه الوجوه، ووقعت ببابه أشراف من الأعياص والقبائل والشرفاء والعلماء، وسرب إليه العمال أموال الجباية تزلفا، وطال أمره واستيلاؤه على السلطان ونفس عليه رجال الدولة ووزراؤها ما أتاه الله من الحظ، حتى إذا خلا لهم وجه السلطان منه عند نهوضه إلى بجاية، حامت أعراض السعاية على مكانه فقرطست وألقى السلطان أذنه إلى استماعها.

فلما رجع من بجاية، وكانت له الدالة على السلطان، وجد عليه في قبول الألاقي.

ولقيه مغاضباً فتنكر له السلطان، ثم تجنى بطلب الغيبة عن الدولة، أن يعقد له على بجاية متوهماً أن السلطان ضنين به، فبادر السلطان إلى إسعافه، وبدا له ما يحتسب من الإعراض عنه، ورجع إلى الرغبة في الإقالة فلم يسعف.

وعقد له على حرب قسنطينة وحكمه في المال والجيش، وارتحل في شعبان من سنة أربع وخمسين وسبعمائة واحتل بجاية آخرها وأشتى بها.

ونصب الموحدون تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المعتقل عندهم من لدن عهد المولى الفضل واعتقاله إياه، فنصبوه للأمر لتفريق كلمة بني مرين وأجمعوا له الآلة والفساطيط، وقام بأمره ميمون بن علي لمنافسته مع أخيه يعقوب، وسمع بخبره يعقوب، فأغذ السير إليه بحلله من بلاد الزاب، وفرق جمعهم وردهم على أعقابهم، وأحجزهم بالبلد.

ولما انصرم الشتاء وقضى منسك الأضحى، عسكر بساحة البلد، واعترض العساكر وأزاح عللهم، وفرق أعطياتهم، وارتحل إلى منازلة قسنطينة، واجتمع إليه الدواودة بحللهم، وجمع المولى أبو زيد صاحب قسنطينة من كان على دعوته من أحياء بونة وميمون بن علي بن أحمد وشيعته من الدواودة، وعقد عليهم لحاجبه نبيل وسرحه للقاء ابن أبي عمرو وعساكره، فأوقع بهم الحاجب لجمادى من سنة خمس وسبعمائة واكتسح أموالهم ونازل قسنطينة حتى تفادوا منه بتمكينه من تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المنصوب للأمر، فاقتادوه إليه وأشخصه إلى أخيه السلطان.

وأوفد المولى أبو زيد ابنه على السلطان أبي عنان، فتقبل وفادته وشكر مراجعته، وانكفأ الحاجب ابن أبي عمرو إلى بجاية وأقام بها إلى أن هلك في المحرم فاتح سنة ست وستين وسبعمائة فذهب حميد السيرة عند أهل البلد، وتفجعوا لهلكه، وبعث السلطان دوابه لارتحال عياله وولده، ونقل شلوه إلى مقبرة أبيه بتلمسان، وسرح ابنه أبا زيان في عساكر بني مرين لمواراته بها.

وعقد على بجاية لعبد الله بن علي بن سعيد وزيره، فنهض إليها في شهر ربيع من سنة ست وخمسين وسبعمائة واستقر بها وتقتل ما حمده الناس من مذاهب الحاجب وسيره فيها على ما نذكره، وجهز العساكر إلى حصار قسنطينة إلى أن كان من فتحها ما

نذكره بعد إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن خروج أبي الفضل ابن السلطان بجبل السكسيوي ومكر عامل درعة به ومهلكه

كان السلطان أبو عنان بعد مهلك أبيه لحق به في جملته أخواه أبو الفضل محمد وأبو سالم إبراهيم، وتدبر في ترشيحهما وحذر عليهما مغبته، فأشخصهما إلى الأندلس، واستقرا بها في إيالة أبي الحجاج ابن السلطان أبي الوليد ابن الرئيس أبي سعيد.

ثم ندم على ما أتاه من ذلك، فلما استولى على تلمسان والمغرب الأوسط، ورأى أن قد استفحل أمره واعتز بسلطانه، أوعز إلى أبي الحجاج أن يشخصهما إليه ليكون مقامهما لديه أحوط للكلمة من أن يعتمد على تفريقهما سماسرة الفتن.

وخشي أبو الحجاج عليهما غائلته فأبى من إسلامهما إليه، وأجاب الرسل بأنه لا يخفر ذمته وجوار المسلمين المجاهدين، فأحفظ السلطان كلمته، وأوعز إلى حاجبه محمد بن أبي عمرو بأن يخاطبه في ذلك بالتوبيخ واللائمة، فكتب له كتاباً أبدع فيه وقفني عليه الحاجب ببجاية أيام كوني معه، فقضيت العجب من فصوله وأغراضه، ولما قرأه أبو الحجاج دس إلى كبيرهما أبي الفضل باللحاق بالطاغية، وكانت بينهما ولاية ومخالصة منذ مهلك أبيه المنشة على جبل الفتح سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، فنزع إليه أبو الفضل وأجاره، وجهز له أسطولاً إلى مراسي المغرب، وأنزله بساحل السوس، فلحق بالسكسيوي عبد اللّه ودعا لنفسه.

وبلغ الخبر إلى السلطان بين يدي مقدم حاجبه ابن أبي عمرو من فتح بجاية سنة أربع وخمسين وسبعمائة فجهز عساكره إلى المغرب وعقد على حرب السكسيوي لوزيره فارس بن ميمون بن ودرار وسرحه إليه، فنهض من تلمسان لربيع سنة أربع وخمسين وسبعمائة وأغذ السير إلى السكسيوي ونزل بمختفه، وأحاط به، واختط مدينة لمعسكره وتجهيز كتائبه بسفح جبله، وسماها القاهرة.

واشتد الحصار على السكسيوي وراسل الوزير في الرجوع إلى الطاعة المعروفة، وأن ينتبذ العهد إلى أبي الفضل، ففارقه وتنقل في جبال المصامدة.

ودخل الوزير فارس إلى أرض السوس فدوخ أقطاره، ومهد أنحاءه، وسارت الألوية والجيوش في جهاته، ورتب المسالح في ثغوره وأمصاره مثل إيفري وفوريان وتارودانت، وثقف أطرافه وسد فروجه.

وسار أبو الفضل في جبال المصامدة إلى أن انتهى إلى صناكة، وألقى بنفسه على ابن حميدي منهم مما يلي بلاد درعة، فأجاره وقام بأمره.

ونازله عامل درعة يومئذ عبد اللّه بن مسلم الزردالي من مشيخة دولة بني عبد الواد، كان اصطنعه السلطان أبو الحسن منذ تغلبه عليهم، وفتحه لتلمسان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة فاستقر في دولتهم، ومن جملة صنائعهم، فأخذ بمخنق ابن حميدي وأرهبه بوصول العساكر والوزراء إليه، وداخله في التقبض على أبي الفضل، وأن يبذل له في ذلك ما أحب من المال، فأجاب ولاطف عبد اللّه بن مسلم الأمير أبا الفضل ووعده من نفسه الدخول في الأمر، وطلب لقاءه، فركب إليه أبو الفضل. ولما استمكن منه عبد اللّه بن مسلم تقبض عليه، ودفع لابن الحميدي ما اشترط له من المال، وأشخصه معتقلاً إلى أخيه السلطان أبي عنان سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأودعه السجن، وكتب بالفتح إلى القاصية، ثم قتله لليال من اعتقاله خنقاً بمحبسه.

وانقضى أمر الخوارج، وتمهدت الدولة إلى أن كان ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن انتقاض عيسى بن الحسن بجبل الفتح ومهلكه

كان عيسى بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق هذا من مشيخة بني مرين، وكان صاحب شوراهم لعهده وقد كنا قصصنا من أخبار أبيه الحسن عند ذكر دولة أبي الربيع.

وكان السلطان أبو الحسن قد عقد له على ثغور عمله بالأندلس وأنزله بجبل الفتح عندما أكمل بناءه وجعل إليه النظر في مسالح الثغور وتفريق العطاء على مسالحها، فطال عهد ولايته ورسخ فيها قدمه، وكان السلطان أبو الحسن يبعث عنه في الشورى متى عنت.

وحضره عند سفره إلى إفريقية وأشار عليه بالإقصار عنها، وأراه أن قبائل بني مرين لا تفي أعدادهم بمسالح الثغور إذا رتبت شرقا وغربا وعدوة البحر وأن إفريقية تحتاج من ذلك إلى أوفر الأعداد وأشد الشوكة لتغلب العرب عليها، وبعد عهدهم بالانقياد فأعرض السلطان عن نصيحته لما كان شره إلى تملكها، وصرفه إلى

مكان عمله بالثغور الأندلسية.

ولما كانت نكبة القيروان وانتزى الأبناء بفاس وتلمسان، أجاز البحر لحسم الداء ونزل بغساسة ثم انتقل إلى وطنه بتازى وجمع قومه بني عسكر، وألفى السلطان أبا عنان قد هزم عساكر ابن أخيه وأخذ بمخنقه، فأجلب عليه وبيته بمعسكره من ساحة البلد الجديد وعقد السلطان أبو عنان على حربه لصنيعته سعيد بن موسى العجيسي وأنزله بثغر بلاد بني عسكر على واد بوحلوا.

وتواقفا كذلك أياماً حتى تغلب السلطان أبو عنان على البلد الجديد، ثم راسل عيسى بن الحسن في الرجوع إلى طاعته وأبطأ عنه صريخ السلطان أبي الحسن بإفريقية فراجعه واشترط عليه، فتقبل وسار إليه فتلقاه السلطان وامتلأ سروراً بمقدمه وأنزله قصوره وجعل الشورى إليه في مجلسه واستمرت على ذلك حاله.

ولما تمكنت حال ابن أبي عمرو بعد مهلك السلطان أبي الحسن وانفرد بخلة السلطان ومناجاته وحجب عن الخاصة والبطانة أحفظه ذلك ولم يبدها واستأذن السلطان في الحج فأذن له وقضى فرضه ورجع إلى محله من بساط السلطان سنة ست وخمسين وسبعمائة ولقي ابن أبي عمرو ببجاية، وتطارح عليه في أن يصلح حاله عند سلطانه، فوعده في ذلك، ولما وفد على السلطان وجده قد استبد في الشورى، وتنكر للخاصة والجلساء، فاستأذنه في الرجوع إلى مجلسه من الثغر لإقامة رسم الجهاد فأذن له.

وأجاز البحر إلى جبل الفتح من سنته، وكان صاحب ديوان العطاء بالجبل يحيى الفرقاجي، وكان مستظهراً على العمال، وكان ابنه أبو يحيى قد برم بمكانه.

فلما وصل عيسى إلى الجبل اتبعه السلطان بأعطيات المسالح مع مسعود بن كندوز من صنائع دولته، فسرب الفرقاجي إلى الضرب على يده شأنه مع ابنه أيام مغيبه، وأنف عيسى من ذلك فتقبض عليه، وأودعه المطبق، ورد ابن كندوز على عقبيه، وأركبه السفين من ليلته إلى سبتة، وجاهر بالخلعان، وبلغ الخبر إلى السلطان أبي عنان فقلق لذلك، وقام في ركائبه وقعد، وأوعز بتجهيز الأساطيل، وظن أنه قد تدبر من الطاغية وابن الأحمر وبعث أحمد بن الخطيب قائد البحر بطنجة عيناً على شأنهم، فوصل إلى مرسى الجبل.

وكان عيسى بن الحسن لما جاهر بالخلعان تمشت رجالات الثغر وعرفاء الرجل من غمارة الغزاة الموطنين بالجبل، وتحدثوا في شأنه، وامتنعوا من الخروج على السلطان، وتآمروا في إسلامه برمته.

وخلا به سليمان بن داود بن أعراب العسكري، كان من خواصه وأهل شوراه، وكان عيسى قد مكن قومه عند السلطان واستعمله على رندة، فلما جاهر عيس بالخلعان، وركب له ظهر الغدر، خالفه سليمان هذا إلى طاعة السلطان، وأنفذ كتبه وطاعته، واشتبه عليه الأمر فندم إذ لم يكن بنى أمره على أساس من الرأي، فلما احتل أسطول أحمد بن الخطيب بمرسى الجبل، خرج إليه وناشده الله والعهد أن يبلغ السلطان طاعته، والبراءة مما صنع أهل الجبل، ونسبها إليهم.

فعند ذلك خشي غمارة على أنفسهم، فثاروا به، ولجأ إلى الحصن فاقتحموه عليه وشدوه وابنه وثاقاً، وألقوه في أسطول ابن الخطيب، وأنزله بسبتة وطير للسلطان بالخبر، فخلع عليه وأمر خاصته فخلعوا عليه.

وبعث عمر ابن وزيره عبد الله بن علي وعمر بن العجوز وقائد جند النصاري، فأحضروهما بدار السلطان يوم منى من سنة ست وسبعمائة وجلس لهما السلطان ووقفا بين يديه وتنصلا واعتذرا، فلم يقبل منهما وأودعما السجن وشد وثاقهما، حتى قضى منسك الأضحى.

ولما كان خاتم سنته أمر بهما فجنبا إلى مصارعهما وقتل عيسى قعصاً بالرماح، وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف، وأبى من مداواة قطعه، فلم يزل يتشحط في دمه إلى أن هلك لثانية قطعه، وأصبحا مثلا في الآخرين، وعقد على جبل الفتح وسائر ثغور الأندلس لسليمان بن داود إلى أن كان من الأمر ما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن نهوض السلطان إلى قسنطينة وفتحها ثم فتح تونس عقبها

لما هلك الحاجب محمد بن أبي عمرو، عقد السلطان على ثغور بجاية وما وراءها من بلاد إفريقية لوزيره عبد الله بن علي بن سعيد، وسرحه إليها وأطلق يده في الجباية والعطاء.

وكانت جبال ضواحي قسنطينة قد تملكها السلطان بما كانت الدواودة متغلبة عليها.

وكان عامة أهل ذلك الوطن قبائل سدويكش، وعقد السلطان عليهم لموسى بن إبراهيم بن عيسى، وأنزله بتاوريرت آخر عمل بجاية في أقاربه وولده وصنائعه.

ولما نزل ابن أبي عمرو بجاية وأخذ بمخنق قسنطينة، ثم ارتحل عنها على ما عقد من السلم مع المولى الأمير أبي زيد، أنزل موسى بن إبراهيم بميلة، فاستقر بها.

ولما ولي الوزير عبد اللّه بن علي أمر إفريقية، أوعز إليه السلطان بمنازلة قسنطينة، فنازلها سنة سبع وخمسين وسبعمائة وأخذ بمخنقها، ونصب المنجنيق عليها، واشتد الحصار بأهلها، وكادوا أن يلقوا باليد لولا ما بلغ المعسكر من الإرجاف بمهلك السلطان فأفرجوا عنها، ولحق المولى أبو زيد ببونة، وأسلم البلد إلى أخيه مولانا أمير المؤمنين أبي العباس أيده اللّه تعالى، عندما وصل إليه من إفريقية، كان بها مع العرب طالباً ملكهم بتونس، ومجلباً بهم على ابن تافراكين منذ نازلوا تونس سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة كما مر، فلما رجع الآن إلى قسنطينة مع خالد بن حمزة، داخل المولى أبا زيد في خروجه إلى حصار تونس، وإقامة مولانا أبي العباس بقسنطينة، فأجاب لذلك وخرج معه، ودخل مولانا أبو العباس إلى قسنطينة، فدعا لنفسه، وضبط قسنطينة وكان مدلاً ببأسه وإقدامه، وداخله بعض المنحرفين من بني مرين من أولاد يوسف رؤساء سدويكش في تبييت موسى بن إبراهيم بمعسكره من ميلة، فبيتوه وانتهبوا معسكره وقتلوا أولاده وخلصوا إلى تاوريرت، ثم إلى بجاية، ولحق بمولانا السلطان مفلولاً.

ونكر السلطان على وزيره عبد اللّه بن علي ما وقع بموسى بن إبراهيم، وأنه قصر في إمداده، فسرح شعيب بن ميمون وتقبض عليه، وأشخصه إلى السلطان معتقلاً، وعقد على بجاية مكانه ليحيى بن ميمون بن مصمود من صنائع دولته، وفي خلال ذلك راسل المولى أبو زيد الحاجب أبا عبد اللّه بن تافراكين المتغلب على عمه إبراهيم في النزول لهم عن بونة، والقدوم عليهم بتونس، فقبلوه وأحلوه محل ولي العهد، واستعملوا على بونة من صنائعهم، ولما بلغ خبر موسى بن إبراهيم إلى السلطان أيام التشريق من سنة سبع وخمسين وسبعمائة اعتزم على الحركة إلى إفريقية، واضطرب معسكره بساحة البلد الجديد، وبعث في الحشد إلى مراكش.

وأوعز إلى بني مرين بأخذ الأهبة للسفر، وجلس للعطاء والاعتراض من لدن وصول الخبر إليه إلى شهر ربيع من سنة ثمان وسبعمائة.

ثم ارتحل من فاس وسرح في مقدمته وزيره فارس بن ميمون في العساكر، وسار في الساقه على التعبية إلى أن احتل ببجاية، وتلوم لإزاحة العلل، ونازل الوزير قسنطينة.

ثم جاء السلطان على أثره ولما أطلت راياته، وماجت الأرض بعساكره، ذعر أهل البلد، وألقوا بأيديهم إلى الإذعان، وانفضوا من حول سلطانهم مهطعين إلى السلطان، وتميز صاحب البلد في خاصته إلى القصبة.

ووصل أخوه المولى الفضل يطلب الأمان، فبذله السلطان لهم وخرجوا، وأنزلهم بمعسكره أياماً، ثم بعث بالسلطان في الأسطول إلى سبتة فاعتقله بها إلى أن كان من أمره ما نذكره بعد.

وعقد على قسنطينة لمنصور بن الحاج مخلوف الياباني من مشيخة بني مرين وأهل الشورى منهم، وأنزله بالقصبة في شعبان من سنته، ووصل إليه بمعسكره من ساحة قسنطينة بيعة يحيى بن يملول صاحب توزر، وبيعة علي بن الخلف صاحب نفطة، ووفد ابن مكي فجدد طاعته.

ووصل إليه أولاد مهلهل أمراء الكعوب وأقتال بني أبي الليل يستحثونه لملك تونس، فسرح معهم العساكر وعقد عليها ليحيى بن رحو بن تاشفين، وبعث أسطوله في البحر مدداً لهم، وعقد عليه للرئيس محمد بن يوسف الأبكم، وساروا إلى تونس وأخرج الحاجب أبو محمد بن تافراكين سلطانه أبا إسحاق إبراهيم مولانا السلطان أبي يحيى مع أولاد أبي الليل، وجهز له العساكر لما أحس بقدوم عساكر السلطان.

ووصل الأسطول إلى مرسى تونس فقاتلهم يوماً أو بعض يوم، وركب الليل إلى المهدية فتحصن بها.

ودخل أولياء السلطان إلى تونس في رمضان من سنة ثمان وسبعمائة وأقاموا بها دعوته.

واحتل يحيى بن رحو بالقصبة، وأنفذ الأوامر، وكتبوا إلى السلطان بالفتح.

ونظر السلطان بعد ذلك في أحوال الوطن، وقبض أيدي العرب من رياح عن الأتاوة التي يسمونها الخفارة فارتابوا، وطالبهم بالرهن فأجمعوا على الخلاف، فأرهف لهم حده، وتبين يعقوب بن علي أميرهم مكره، فخرج معهم ولحقوا جميعاً بالزاب، وارتحل في أثرهم، وسار يوسف بن مزني عامل الزاب ينفض، الطريق أمامه حتى نزل بعسكرة.

ثم ارتحل إلى طولقة فتقبض على مقدمها عبد الرحمن بن أحمد بإشارة ابن مزني، وخرب حصون يعقوب بن علي، وأجفلوا إلى القفر أمامه، ورجع عنهم.

وحمل له ابن مزني جباية الزاب بعد أن وعد عامة معسكره بالقرى من الحنطة والأدم واللحمان والعلوفة لثلاث ليال نفذت في ذلك، وكافأه السلطان على صنيعه، فخلع عليه وعلى ولده

وأسنى جوائزهم ورجع إلى قسنطينة، واعتزم على الرحلة إلى تونس.

وضاق ذرع العساكر بشأن النفقات والأبعاد في المذاهب وارتكاب الخطر في دخول إفريقية، فتمشت رجالاتهم في الانفضاض عن السلطان.

وداخلوا الوزير فارس بن ميمون فوافقهم عليه وأذن المشيخة والنقباء لمن تحت أيديهم من القبائل في اللحاق بالمغرب حتى تفردوا، ونمي الخبر إلى السلطان أنهم تآمروا في قتله.

ونصب إدريس بن عثمان بن أبي العلاء للأمر، فأسرها في نفسه ولم يبدها لهم.

ورأى قلة العساكر وعلم بانفضاضهم، فكر راجعاً إلى المغرب بعد أن ارتحل عن قسنطينة مرحلتين إلى المشرق، وأغذ السير إلى فاس، واحتل بها غرة ذي الحجة من سنته.

وتقبض يوم دخوله على وزيره فارس بن ميمون، اتهمه بمداخلة بني مرين في شأنه، وقتله رابع أيام التشريق قعصا بالرماح، وتقبض على مشيخة بني مرين فاستلحمهم وأودع منهم السجن، وبلغ إلى الجهات خبر رجوعه من قسنطينة إلى المغرب فارتحل أبو محمد بن تافراكين من المهدية إلى تونس، ولما أطل عليها ثار شيعته بالبلد على من كان بها من عساكر السلطان، وخلصوا إلى السفين، فنجوا إلى المغرب، وجاء على أثرهم يحيى بن رحو بمن معه من العساكر كان معه أولاد مهلهل، بناحية الجريد لاقتضاء جبايتهم، واجتمعوا بباب السلطان، وأرجأ حركته إلى اليوم القابل، فكان ما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر إلى إفريقية

لما رجع السلطان من إفريقية ولم يستتم فتحها، بقي في نفسه منها شيء، وخشي على ضواحي قسنطينة من يعقوب بن علي ومن معه من الدواودة المخالفين، فأهمه شأنهم، واستدعى سليمان بن داود من مكانه بثغور الأندلس، وعقد له على وزارته، وسرحه في العساكر إلى إفريقية، فارتحل إليها في ربيع من سنة تسع وخمسين وسبعمائة وكان يعقوب بن علي لما كشف وجهه في الخلاف، أقام السلطان مكانه أخاه ميمون بن علي منازعه، وقدمه على أولاد محمد من الدواودة، وأحله بمكانه من رياسة البدو والضواحي، ونزع إليه عن أخيه يعقوب الكثرة من قومه، وتمسك بطاعة السلطان طوائف من أولاد سباع بن يحيى وكبيرهم يومئذ عثمان بن يوسف بن سليمان، فانحاشوا جميعاً للوزير ونزلوا على معسكره بحللهم.

وارتحل السلطان في أثره حتى احتل بتلمسان فأقام بها لمشارفة أحواله منها، واحتل الوزير سليمان بوطن قسنطينة.

وأوعز السلطان إلى عامل الزاب يوسف بن مزني بأن تكون يده معه، وأن يؤامره في أحوال الدواودة لرسوخه في معرفتها، فارتحل إليه من بسكرة، ونازلوا جبل أوراس واقتضوا جبايته ومغارمه، وشردوا المخالفين من الدواودة عن العيث في الوطن، فتم غرضهم من ذلك.

وانتهى الوزير وعساكر السلطان إلى أول أوطان إفريقية من آخر مجالات رياح، وانكفأ راجعاً إلى المغرب.

ووافى السلطان بتلمسان، ووصلت معه وفود العرب الذين أبلوا في الخدمة، فوصلهم السلطان وخلع عليهم وحملهم، وفرض لهم العطاء بالزاب وكتب لهم به، وانقلبوا إلى أهلهم، ووفد على أثرهم أحمد بن يوسف بن مزني، أوفده أبوه بهدية السلطان من الخيل والرقيق والدرق فتقبلها السلطان وأكرم وفادته وأنزله، واستصحبه إلى فاس ليريه أحوال كرامته، ويستبلغ في الاحتفاء به، واحتل بدار ملكه منتصف ذي القعدة من سنة تسع وخمسين وسبعمائة والله أعلم.

## الخبر عن مهلك السلطان أبي عنان ونصب السعيد للأمر باستبداد الوزير الحسن بن عمر في ذلك

لما وصل السلطان إلى دار ملكه بفاس، احتل بها بين يدي العيد الأكبر حتى إذا قضى الصلاة من يوم الأضحى أدركه المرض، وأعجله طائف الوجع عن الجلوس يوم العيد على العادة، فدخل إلى قصره ولزم فراشه، واشتد به وجعه، وأطاف به النساء يمرضنه.

وكان ابنه أبو زيان ولي عهده، وكان وزيره موسى بن عيسى العقولي من صنائع دولتهم وأبناء وزرائهم، قد عقد له السلطان على وزارته واستوصاه به، فتعجل الأمر، ودخل رؤوس بني مرين في الاغتياش إلى أميرهم والفتك بالوزير الحسن بن عمر وداخله في ذلك عمر بن ميمون لعداوة بينهما وبين الوزير فخشيهم الحسن بن عمر على نفسه.

وفاوض عليه أهل المجلس بذات صدره، وكانت نفرتهم عن ولي العهد مستحكمة لما بلوا من سوء دخلته وشر ملكته، فاتفقوا على تحويل الأمر عنه.

ثم نمي لهم أن السلطان مشرف على الهلكة لا محالة، وأنه موقع بهم من قبل مهلكه، فأجمعوا أمرهم على الفتك به والبيعة لأخيه السعيد طفلاً خماسياً، وباكروا دار السلطان وتقبضوا على وزيره موسى بن عيسى وعمر بن ميمون فقتلوهما وأجلسوا السعيد للبيعة.

وأوعز وزيره مسعود بن رحو بن ماساي بالتقبض على أبي زيان من نواحي القصر، فدخل إليه وتلطف في إخراجه من بين الحرم، وقاده إلى أخيه فبايعه وتله إلى بعض حجر القصر، فأتلف فيها مهجته.

واستقل الحسن بن عمر بالأمر يوم الأربعاء الرابع والعشرين لذي الحجة من سنة تسع وخمسين وسبعمائة والسلطان أثناء ذلك على فراشه يجود بنفسه.

وارتقب الناس دفنه يوم الخميس والجمعة بعده، فلم يدفن فارتابوا، وفشا الكلام وارتاب الجماعة، فأدخل الوزير -زعموا- إليه بمكانه من بيته من غطه حتى أتلفه.

ودفن يوم السبت، وحجب الحسن بن عمر الولد السعيد المنصوب للأمر، وأغلق عليه بابه، وتفرد بالأمر والنهي دونه.

ولحق عبد الرحمن ابن السلطان أبي عنان بجبل كاي يوم بيعة أخيه، وكان أسن منه وإنما آثروه لمكان ابن عمه مسعود بن ماساي من وزارته، فبعثوا إليه من لاطفه واستنزله على الأمان، وجاء به إلى أخيه فاعتقله الحسن بالقصبة من فاس.

وبعث عن أبناء السلطان الأصاغر الأمراء بالثغور: فجاء المعتصم من سجلماسة، وامتنع المعتمد بمراكش، وكان بها كفالة عامر بن محمد الهنتاتي استوصاه به السلطان وجعله هنالك لنظره، فمنعه من الوصول، وخرج به من مراكش إلى معقله من جبل هنتاتة، وجهز الوزير العساكر لمحاربته، ولم يزل هنالك إلى أن استنزله عمه السلطان أبو سالم عند استيلائه على ملك المغرب، كما نذكره إن شاء الله تعالى والله أعلم.

## الخبر عن تجهيز العساكر إلى مراكش ونهوض الوزير سليمان بن داود لمحاربة عامر بن محمد بن علي

كان عامر بن محمد بن علي شيخ هنتاتة من قبائل المصامدة، وكان السلطان يعقوب قد استعمل أباه محمد بن علي على جبايتهم، والسلطان أبو سعيد استعمل عمه موسى بن علي وربي عامر هذا في كفالة الدولة، وسار في جملة السلطان إلى إفريقية، وولاه السلطان أحكام الشرطة بتونس.

ولما ركب البحر إلى المغرب أركب حرمه وحظاياه في السفين، وجعلهم إلى نظر عامر بن محمد.

وأجازوا البحر إلى الأندلس فنزلوا المرية وبلغهم غرق الأسطول بالسلطان أبي الحسن وعساكره، فأقام بهم بمكانه من المرية، وبعث السلطان أبو عنان عنه، فلم يجب داعيه وفاء ببيعة أبيه، حتى إذا هلك السلطان أبو الحسن بدارهم بالجبل، ورعى لهم السلطان أبو عنان إجارتهم لأبيه، حين لفظته البلاد وتحاماه الناس، أجمع أمره على الوفادة عليه، فوفد بمن معه من الحرم.

وأكرم السلطان أبو عنان وفادته وأحسن نزله، ثم عقد له على جباية المصامدة سنة أربع وخمسين وسبعمائة وبعثه لها من تلمسان، فاضطلع بهذه الولاية وأحسن الغناء فيها، والكفاية عليها، حتى كان السلطان أبو عنان يقول: وددت لو أصبت رجلاً يكفيني ناحية المشرق من سلطاني كما كفاني عامر بن محمد ناحية الغرب، واتورع، ونافسه الوزراء في مقامه ذلك عند السلطان ورتبته.

وانفرد الحسن بن عامر آخر الأمر بوزارة السلطان، واشتدت منافستهم وانتهت إلى العداوة والسعاية.

وكان السلطان بين يدي مهلكه ولى أبناءه الأصاغر على أعمال ملكه، فعقد لابنه محمد المعتمد على مراكش، واستوزر له، وجعله إلى نظر عامر واستوصاه به.

فلما هلك السلطان وانتقل الحسن بن عمر بالأمر ونص السعيد للملك، استقدم الأبناء من الجهات، فبعث عن المعتمد بمراكش فأبى عليه عامر من الوفادة عليهم، وصعد به إلى معقله من جبل هنتاتة، وبلغ الحسن بن عمر خبره، فجهز إليه العساكر وأزاح عللهم، وعقد على حربه للوزير سليمان بن داود مساهمة في القيام بالأمر، وسرحه في المحرم سنة ستين وسبعمائة، فأخذ

السير إلى مراكش واستولى عليها، وصمد إلى الجبل فأحاط به، وضيق على عامر وطاول منازلته.

وأشرف على اقتحام معقله إلى أن بلغه خبر افتراق بني مرين، وخروج منصور بن سليمان من أعياص الملك على الدولة، وأنه منازل للبلد الجديد، فانفض المعسكر من حوله وتسابقوا إلى منصور بن سليمان، فلحق به الوزير سليمان بن داود وتنفس المخنق عن عامر، إلى أن استولى السلطان أبو سالم على ملك المغرب في شعبان من سنة ستين وسبعمائة واستقدم عامر والمعتمد ابن أخيه من مكانهم بالجبل، فقدم عليه وأسلمه إليه كما نذكر إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن ظهور أبي حمو بنواحي تلمسان وتجهيز العساكر لمدافعته، ثم تغلبه عليها وما تخلل ذلك من الأحداث

كان أبناء عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن هؤلاء أربعة كما ذكرناه في أخبارهم، وكان يوسف كبيرهم وكان سكوناً منتحلاً لطرق الخير لا يريد علواً في الأرض، ولما هلك أخوه عثمان بتلمسان، عقد له على تنس، وكان ابنه موسى متقبلاً مذهبه في السكون والدعة، ومجانبة أهل الشر، ولما تغلب السلطان أبو عنان عليهم سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وفر أبو ثابت إلى قاصية الشرق، واهتبلتهم قبائل زواوة وأرجلوهم عن خيلهم سعوا على أقدامهم، وانتبذ أبو ثابت وأبو زيان ابن أخيه أبي سعيد وموسى ابن أخيه يوسف ووزيرهم يحيى بن داود ناحية عن قومهم، وسلكوا غير طريقهم، وتقبض على أبي ثابت ويحيى بن داود محمد بن عثمان، وخلص موسى إلى تونس فنزل على الحاجب أبي محمد بن تافراكين وسلطانه خير نزل، وأجاره مع فل من قومه خلصوا إليهم وأسنوا جرايتهم.

وبعث السلطان أبو عنان فيهم إلى ابن تافراكين فأبى من إسلامهم وجاهر بإجارتهم على السلطان.

ولما استولت عساكر السلطان على تونس، وأجفل عنها سلطانها أبو إسحاق إبراهيم ابن مولانا السلطان أبي يحيى، خرج موسى بن يوسف هذا في جملته، ولما رجع السلطان إلى المغرب صمد المولى أبو إسحاق إبراهيم ابن مولانا السلطان أبي يحيى، وابن أخيه المولى أبو زيد صاحب قسنطينة مع يعقوب بن علي وقومه من الدواودة إلى منازلة قسنطيتة وارتجاعها، وسار في جملتهم موسى بن يوسف هذا فيمن كان عندهم من زناتة قومه وكان بنو عامر من زغبة خارجين على السلطان أبي عنان منذ غلبه بنو عبد الواد على تلمسان وكانت رياستهم إلى صغير بن عامر بن إبراهيم، فلحق بإفريقية في قومه ونزلوا على يعقوب بن علي، وجاوروه بمحللهم وظعنهم، فلما أفرجوا عن قسنطينة بعد امتناعها، واعتزم صغير على الرحلة بقومه إلى وطنهم من صحراء المغرب الأوسط، دعوا موسى ين يوسف هذا إلى الرحلة معهم لينصبوه للأمر، ويجلبوا به على تلمسان، فخلى الموحدون سبيله، وأعانوه بما اقتدروا عليه لوقتهم، وعلى حال سفرهم من آلة وفسطاط وارتحل معهم بني عامر، وارتحل مع صولة بن يعقوب بن علي وزيان بن عثمان بن سباع من أمراء الدواودة، ودغار بن عيسى في حلله من بني سعيد إحدى بطون رياح وأغذ السير إلى المغرب للعيث في نواحيه.

وجمع لهم أقتالهم من سويد أولياء السلطان والدولة، والتقوا بقبلة تلمسان، فانهزمت سويد وهلك عثمان بن كبيرهم ونزمار، وكان مهلك السلطان في خلال ذلك.

وكان السلطان حين استعمل الأبناء على الجهات، عقد لمحمد المهدي من أولاده على تلمسان.

ولما اتصل الخبر بوفاة السلطان بالعرب، أغذوا السير إلى تلمسان، وملكوا ضواحيها، وجهز الحسن بن عمر إليها عسكراً عقد عليه وعلى الحامية الذين بها لسعيد بن موسى العجيسي من صنائع السلطان، وسرحه إليها، وسار في جملته أحمد بن مزني فاصلاً إلى عمله بعد أن وصله وخلع عليه وحمله، وسار سعيد بن موسى في العساكر إلى تلمسان، فاحتل بها في صفر من سنة ستين وسبعمائة وزحف إليهم جموع بني عامر وسلطانهم أبو موسى بن يوسف، فغلبوهم على الضاحية وأحجزوهم بالبلد.

ثم نازلوهم الحرب أياما، واقتحموها عليهم لثمان خلون من ربيع، واستباحوا من كان بها من العسكر، وامتلأت أيديهم من أسلابهم ونهابهم.

وخلص سعيد بن موسى بابن السلطان إلى حلة صغير بن عامر فأجاره ومن جاء على أثره من قومه، وأوفد معهم رجالات من بني عامر ينفضون الطريق أمامه إلى أن أبلغوه مأمنه من دار ملكهم، واستولى أبو حمو على ملك تلمسان، واستأثر بالهدية التي ألفى بمودعها، كان السلطان انتقاها وبعث بها إلى صاحب برشلونة بطرة بن ألقنط وبعث إليه بها بفرس أدهم من مقرباته بمركب ولجام ذهبيين ثقيلين.

فاتخذ أبو حمو ذلك الفرس لركوبه، وصرف الهدية في مصارفه ووجوه مذاهبه، واللّه غالب على أمره.

## الخبر عن نهوض الوزير مسعود بن ماساي إلى تلمسان وتغلبه عليها ثم انتقاضه ونصبه منصور بن سليمان للأمر

لما بلغ الوزير الحسن ين عمر خبر تلمسان واستيلاء أبي حمو عليها، جمع مشيخة بني مرين وأمرهم بالنهوض إليها، فأبوا عليه من النهوض بنفسه، وأشاروا بتجهيز العساكر ووعدوه بمسيرهم كافة، ففتح ديوان العطاء وفرق الأموال وأسنى الصلات وأزاح العلل، وعسكر بساحة البلد الجديد.

ثم عقد عليهم لمسعود بن رحو بن ماساي وحمل معه المال وأعطاه الآلة وسار في الألوية والعساكر.

وكان في جملته منصور بن سليمان بن منصور بن أبي مالك بن يعقوب بن عبد الحق، وكان الناس يرجون بأن سلطان المغرب صائر إليه بعد مهلك أبي عنان، وشاع ذلك على ألسنة الناس وذاع وتحدث به السمر والندمان، وخشي منصور على نفسه لذلك، فجاء إلى الوزير وشكا إليه ذلك، فانتهره بأن لا يختلج بفكره مثل هذا الوسواس انتهاراً خلا من وجه السياسة، فازدجر واقتصر.

ولقد شهدت هذا الموطن، ورحمت ذلة انكساره وخضوعه في موقفه.

ورحل الوزير مسعود في التعبية وأفرج أبو حمو عن تلمسان، ودخلها مسعود في ربيع الثاني واستولى عليها.

وخرج أبو حمو إلى الصحراء، وقد اجتمعت إليه جموع العرب من زغبة والمعقل.

ثم خالفوا بني مرين إلى المغرب واحتلوا بأنكاد بجللهم وظواعنهم، وجهز مسعود بن رحو إليهم عسكراً من جنوده انتقى فيه مشيخة من بني مرين وأمرائهم، وعقد عليهم لعامر ابن عمه عبو بن ماساي، وسرحهم فزحفوا إليه بساحة وجدة، وصدقهم العرب الحملة، فانكشفوا واستبيح معسكرهم، واستلبت مشيختهم، وأرجلوا عن خيلهم، ودخلوا إلى وجدة عراة.

وبلغ الخبر إلى بني مرين بتلمسان، وكان في قلوبهم مرض من استبداد الوزير عليهم وحجزه لسلطانهم، فكانوا يتربصون بالدولة.

فما بلغ الخبر وجاش الناس لها جيضة الحمر، خلص بعضهم نجيًا بساحة البلد، واتفقوا على البيعة ليعيش بن علي بن أبي زيان ابن السلطان أبي يعقوب فبايعوه.

وانتهى الخبر إلى الوزير مسعود بن رحو، وكان متحيناً السلطان منصور بن سليمان فاستدعاه وأكرهه على البيعة، وبايعه معه الرئيس الأكبر من بني الأحمر، وقائد جند النصارى القمدوز، وتسايل إليه الناس، وتسامع الملأ من بني مرين بالخبر، فبادروا إليه من كل جانب.

وذهب يعيش بن أبي زيان لوجهه، فركب البحر وخلص إلى الأندلس، وانعقد الأمر لمنصور بن سليمان.

واجتمع بنو مرين على كلمته، وارتحل بهم من تلمسان يريد المغرب.

واعترضتهم جموع العرب في طريقهم فأوقعوا بهم، وامتلأت أيديهم من أسلابهم وظعنهم.

وأغذوا السير إلى المغرب، واحتلوا بسبوا في منتصف جمادى الآخرة، وبلغ الخبر إلى الحسن بن عمر فاضطرب معسكره بساحة البلد، وأخرج السلطان في الآلة والتعبية إلى أن أنزله بفسطاطه.

ولما غشيهم الليل انفضوا عنه ونزع الملأ إلى السلطان منصور بن سليمان، فأوقد الشموع وأذكى النيران حول الفسطاط، وجمع الموالي والجند وأركب السلطان ودخل إلى قصره، وانحجز بالبلد الجديد، وأصبح منصور بن سليمان فارتحل في التعبية حتى نزل بكدية العرائس في الثاني والعشرين لجمادى، واضطرب معسكره بها، وغدا عليها بالقتال وشد عليها الحملات، وامتنعت ليومها، ثم جمع الأيدي على اتخاذ الآلات للحصار.

واجتمعت إليه وفود الأمصار بالمغرب للبيعة، ولحقت به كتائب بني مرين التي كانت مجمرة بمراكش لحصار عامر مع الوزير سليمان بن داود فاستوزره، وأطلق عبد اللّه بن علي وزير السلطان أبي عنان من معتقله فاستوزره أيضاً. وأوعز بإطلاق مولانا أبي العباس صاحب قسنطينة من معتقله بسبتة، فخلص منه خلوص الإبريز بعد السبك.

وأمر منصور بن سليمان بتسريح السجون، فخرج من كان بها من دعار بجاية وقسنطينة، وكانوا معتقلين من لدن استحواذ السلطان أبي عنان على بلادهم.

وانطلقوا إلى مواطنهم، وأقام على البلد الجديد يغاديها

بالقتال ويراوحها ونزع عنه إلى الوزير الحسن بن عمر طائفة من بني مرين، ولحق آخرون ببلادهم، وانتقضوا عليه ينتظرون مآل أمره.

ولبث على هذه الحال إلى غرة شعبان، فكان من قدوم السلطان أبي سالم لملك سلفه بالمغرب، واستيلائه عليه، ما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن نزول المولى أبي سالم بجبال غمارة واستيلائه على ملك المغرب ومقتل منصور بن سليمان

كان السلطان أبو سالم بعد مهلك أبيه واستقراره بالأندلس، وخروج أبي الفضل بالسوس لطلب الأمر، ثم ظفر السلطان أبي عنان به ومهلكه كما ذكرنا، قد تورع وسكن وساله السلطان.

ثم هلك سلطان الأندلس أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة يوم الفطر بمصلى العيد طعنه أسود مدسوس كان ينسب إلى أخيه محمد من بعض إماء قصرهم.

ونصبوا للأمر ابنه محمداً وأحجبه مولاه رضوان، واستبد عليه، وكان للسلطان أبي عنان اعتزاز كما ذكرناه، وكان يؤمل ملك الأندلس.

وأوعز إليهم عندما طرقه من طائف المرض سنة سبع وخمسين وسبعمائة أن يبعثوا إليه طبيب دارهم إبراهيم بن زرزر الذمي، وامتنع من ذلك اليهودي، واعتذروا عذره فنكر لهم السلطان قبله، ولما وصل إلى فاس من فتح قسنطينة وإفريقية وتقبض على وزيره والمشيخة من قبله، تجنياً عليهم إذ لم يبادر السلطان بنفسه وحاجبه للتهنئة.

وأظلم الجو بينهم، واعتزم على النهوض إليهم وكانوا منحاشين بالجملة إلى الطاغية بطرة بن أدفونش صاحب قشتالة، منذ مهلك أبيه أهنشة على جبل الفتح سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ثم استبد رضوان على الدولة بعد مهلك أبي الحجاج، فكانت له صاغية إليهم، ظاهرها النظر للمسلمين بمسالة عدوهم، وكان السلطان أبو عنان يعتد ذلك عليهم، وعلم أنه لا بد أن يمدهم بأساطيله ويدافعوه عن الإجازة إليهم.

وكان بين الطاغية بطرة وبين قمص برشلونة فتنة هلك فيها أهل ملتهم، فصرف السلطان قصده إلى قمص برشلونة وخاطبه في اتصال اليد على أدفونش، واجتماع أسطول المسلمين وأسطول القمص بالزقاق، وضربوا بذلك الموعد وأتحفه السلطان بهدية سنية من متاع المغرب وماعونه، ومركب ذهبي صنيع، ومقرب من جياده وأنفذها إليه، فبلغت تلمسان، وهلكت قبل وصولها إلى محلها، ولما هلك السلطان أبو عنان أمل أخوه المولى أبو سالم ملك أخيه، وطمع في مظاهرة أهل الأندلس له على ذلك لما كان بينهم وبين أخيه، واستدعاه أشياع من أهل المغرب، ووصل البعض منهم إليه بمكانه من غرناطة، وطلب الإذن من رضوان في الإجازة، فأبى عليه، فأحفظه ذلك.

ونزع إلى ملك قشتالة متطارحاً بنفسه عليه أن يجهز له الأسطول للإجازة إلى المغرب، فاشترط عليه وتقبل شرطه.

وأجازه في أسطوله إلى مراكش، فامتنع عامر من قبوله لما كان فيه من التضييق والحصار بحصة سليمان بن داود كما ذكرناه، فانكفأ راجعاً على عقبه.

فلها حاذى طنجة وبلاد غمارة وألقى بنفسه إليهم، ونزل بالصفيحة من بلادهم، واشتملت عليه قبائلهم، وتسايلوا إليه من كل حدب وبايعوه على الموت، وملك سبتة وطنجة، وبها يومئذ السلطان أبو العباس بن أبي حفص صاحب قسنطينة لحق بها بعد الخروج من اعتقاله بسبتة كما ذكرناه، فاختصه المولى أبو سالم بالصحابة والخلة، وألفه في اغترابه ذلك، إلى أن استولى على ملكه، وألقى بطنجة الحسن بن يوسف الورتاجي، وكاتب ديوان الجند أبا الحسن بن علي بن السعود، والشريف أبا القاسم التلمساني، كان منصور بن سليمان ارتاب بهم واتهمهم بمداخلة الحسن بن عمر بمكانه من البلد الجديد، فصرفهم من معسكره.

إلى الأندلس، فوافوا المولى أبا سالم عند استيلائه على طنجة، فساروا في إيالته، واستوزر الحسن بن يوسف، واستكتب لعلامته أبا الحسن علي بن السعود، واختص الشريف بالمجالسة والمراكبة.

ثم قام أهل الثغور الأندلسية بدعوته، وأجاز يحيى بن عمر صاحب جبل الفتح إليه بمن كان معه من المعسكر، وطالت حصاة المولى أبي سالم واتسع معسكره، وبلغ خبره إلى الثائر على البلد الجديد منصور بن سليمان، فجهز عسكراً لدفاعه وعقد عليه لأخويه عيسى وطلحة وأنزلهم قصر كتامة، وقاتلوه فهزموه، واعتصم بالجبل وبادر الحسن بن عمر من وراء الجدران فبعث إليه بطاعته، ووعده بالتمكن من دار ملكه.

وداخل بعض أشياع المولى أبي سالم مسعود بن رحو بن ماساي وزير منصور في النزوع إلى السلطان، وكان قد ارتاب بمنصور وابنه علي، فنزغ وانفض الناس من حول منصور، وتخاذل

أشياعه من بني مرين، ولحق ببادس من سواحل المغرب.

ومشى أهل المعسكر بأجمعهم في ساقاتهم ومواكبهم على التعبية، فلحقوا بالسلطان أبي سالم واستغذُوه إلى دار ملكه، فأغذ السير وخلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد عن الأمر، وأسلمه إلى عمه وخرج إليه فبايعه.

ودخل السلطان إلى البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة ستين وسبعمائة واستولى على ملك المغرب، وتوافت وفود النواحي بالبيعات، وعقد للحسن بن عمر على مراكش، وجهزه إليها بالعساكر ريبة بمكانه.

واستوزر مسعود بن رحو بن ماساي والحسن بن يوسف الورتاجني، واصطفى من خواصه خطيب أبيه الفقيه أبا عبد اللّه محمد بن أحمد بن مرزوق، وجعل إلى مؤلف هذا الكتاب توقيعه وكتابة سره.

وكنت نزعت إليه من معسكر منصور بن سليمان بكدية العرائس لما رأيت من اختلال أحواله، ومصير الأمر إلى السلطان، فأقبل علي وأنزلني بمحل البنوه واستخلصني لكتابته.

واستوسق أمره بالمغرب وتقبض شيعة السلطان ببياديس على منصور بن سليمان وابنه علي وقادوهم مصفدين إلى سدته، وأحضرهم ووبخهم، وجنبوا إلى مصارعهم، فقتلوا قعصاً بالرماح آخر شعبان من سنته.

وجمع الأبناء والقرابة المرشحين من ولد أبيه وعمه، وأشخصهم إلى رندة من ثغورهم بالأندلس، ووكل بهم من يحرسهم، ونزع محمد بن أبي أخيه أبي عبد الرحمن منهم إلى غرناطة، ثم لحق منها بالطاغية، واستقر لديه حتى كان من تملكه المغرب ما نقصه، وهلك الباقون غرقاً في البحر بإيعاز السلطان بذلك بعد مدة من سلطانه، أركبهم السفين إلى المشرق، ثم غرقهم، وخلص الملك من الخوارج والمنازعين، واستوسق له الأمر، واللّه غالب على أمره.

واحتفل السلطان في كرامة مولانا السلطان أبي العباس، وشاد بيره وأوعز باتخاذ دار عامر بن فتح اللّه وزير أبيه لنزله، ومهد له المجلس لضيق أريكته، ووعده بالمظاهرة على ملكه إلى أن بعثه من تلمسان عند استيلائه عليها، كما نذكر إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن خلع ابن الأحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان

لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة ونصب ابنه محمد للأمر، واستبد عليه رضوان مولى أبيه، وكان قد رشح ابنه الأصغر إسماعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته.

فلما عدلوا بالأمر عنه حجبوه ببعض قصورهم، وكان له صهر من ابن عمه محمد بن إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد في شقيقه فكان يدعوه سرًّا إلى القيام بأمره متى أمكنته فرصة في الدولة، فخرج السلطان إلى بعض منتزهاته برياضه، فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين من رمضان من سنة ستين وسبعمائة في أوشاب، جمعهم من الطغام لثورته.

وعمد إلى دار الحاجب رضوان فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرمه وبناته، وقربوا إلى إسماعيل فرسه فركبه فأدخلوه القصر وأعلنوا بيعته، وقرعوا طبولهم بسور الحمراء، وفر السلطان من مكانه بمتنزهه بوادي آش وغدا الخاصة والعامة على إسماعيل؛ فبايعوه واستبدّ عليه هذا الرئيس ابن عمه. ثم قتله لأشهر من بيعته، واستقل بسلطان الأندلس ولما لحق أبو عبد اللّه بوادي آش بعد مقتل حاجبه رضوان، واتصل الخبر بالسلطان المولى أبي سالم، امتعض لمهلك رضوان، وخلع السلطان رعيًا لما سلف له في جوارهم، وأزعج لحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقدامه، فوصل إلى الأندلس وعقد مع أهل الدولة على إجازة المخلوع من وادي آش إلى المغرب، وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد اللّه بن الخطيب، كانوا اعتقلوه لأول أمره لما كان رديفا للحاجب رضوان وركنا لدولة المخلوع.

فأوصى المولى أبو سالم إليهم بإطلاقه فأطلقوه ولحق الرسول أبو القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادي آش للإجازة إلى المغرب وأجاز لذي القعدة من سنته.

وقدم على السلطان بفاس وأجل قدومه، وركب للقائه، ودخل به إلى مجلس ملكه وقد احتفل بزيته، وغص بالمشيخة والعلية ووقف وزيره ابن الخطيب فأنشد السلطان قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه، ويستحثه لمظاهرته على أمره.

واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة ورحمة، ونص القصيدة:

سلا هل لديها من مخبرة ذكر وهل أعشب الوادي ونم به الزهر
وهل باكر الوسمي داراً على اللوا عفت آيها إلا التوهم والذكر

بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى ... بأكنافها والعيش فينان مخضر
وجوي الذي ربى جناحي وكر ... فها أنا ذا مالي جناح ولا وكر
نبت بي لا عن جفوة وملالة ... ولا نسخ الوصل الهني بها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعها ... ولذاتها دأباً تزور وتزور
فمن لي بنيل القرب منها ودوننا ... مُدىً طال حتى يومه عندنا شهر
و لله عيناً من رآنا وللأسى ... ضرام له في كل جانحة جمر
وقد بددت در الدموع يد النوى ... وللبين أشجان تضيق لها الصدر
بكينا على النهر السرور عشية ... فعاد أجاجاً بعدنا ذلك النهر
أقول لأظعاني وقد غالها السرى ... وآنسها الحادي وأوحشها الزجر
رويدك بعد العسر يسر فأبشري ... بإنجاز وعد اللّه قد ذهب العسر
و لله فينا سر غيب وربما أتى النفع ... من حال يكون بها الضر
وإن تجبن الأيام لم يجبن النهى ... وإن تخذل الأقوام لم يخذل الصبر
وإن عركت مني الخطوب بجرياً ... نقاقاً تساوي عنده الحلو والمر
فقد عجمت عوداً صليباً على النوى ... وعزماً كما تمضي المهندة البتر
إذا أنت بالبيضاء قد زرت منزلي ... فلا اللحم حل ما حييت ولا الظهر
زجرنا بإبراهيم ملء همومنا ... فلما رأينا وجهه صدق الزجر
بمنتخب من آل يعقوب كلما ... دجا الخطب لم يكذب لعزمته فخر
تناقلت الركبان طيب حديثه ... فلما رأته صدق الخبر الخُبر
ندى لو حواه البحر لذ مذاقة ... ولم يتعقب مده أبداً جزر
وبأس غدا يرتاع من خوفه الردى ... وترفل في أذياله البتكة البكر
أطاعته حتى العصم في قنن الربا ... وهشت إلى تأميله الأنجم الزهر
قصدناك يا مولى الملوك على النوى ... لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الأيام عن غلوائها ... وقد رابنا منها التعسف والكبر
وعدنا بذاك المجد فانصرف الردى ... ولذنا بذاك العز فانهزم الذعر
ولما أتينا البحر يرهب موجه ... ذكرنا بذاك الغمر فاحتقر البحر
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها ... فإيمانة لغو وعرفانه نكر
ووصفك يهدي المدح قصد صوابه ... إذا ضل في أوصاف من دونك الشعر
دعتك قلوب المسلمين وأخلصت ... وقد طاب منها السر لله والجهر
ومدت إلى اللّه الأكف ضراعة ... فقال لهن اللّه قد قضي الأمر
وألبسها النعمى ببيعتك التي ... لها الطائر الميمون والمحتد الحر
فأصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكا ... وقد كان مما نابه ليس يفتر
وأمنت بالسلم البلاد وأهلها ... فلا ضيمة تعدو ولا روعة تعرو
وقد كان مولانا أبوك مصرحاً ... بأنك في أبنائه الولد البر
وكنت حقيقاً بالخلافة بعده ... على الفور لكن كل شيء له قدر
فأوحشت من دار الخلافة هالة ... أقامت زماناً لا يلوح بها البدر
ورد عليك اللّه حقك إذ قضى ... بأن تشمل النعمى ويسدل الستر
وقاد إليك الملك رفقاً بخلقه ... وقد عدموا ركن الأمانة واضطروا
وزادك بالتمحيص عزاً ورفعة ... وأجراً ولولا السبك ما عرف التبر

وأنت الذي تدعى إذا دهم الردى ... وأنت الذي ترجى إذا أخلف القطر
وأنت إذا جار الزمان بحكمه ... لك النقض والإبرام والنهي والأمر
وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه ... كسير ومن عليك يلتمس الجبر
غريب يرجى منك ما أنت أهله ... فإن كنت تبغي الفخر قد جاءك الفخر
فعد يا أمير المسلمين لبيعة ... موثقة قد حل عقدتها الغدر
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا ... بآل مرين جاءه العز والنصر
وخذ يا إمام الحق للحق ثاره ... ففي ضمن ما تأتي به العز والأجر
وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم ... بحق فما زيد يرجى ولا عمرو
فإن قيل مال مالك الدثر وافر ... وإن قيل جيش عندك العسكر المجر
يكف بك العادي ويحيا بك الهدى ... ويبني بك الإسلام ما هدم الكفر
أعده إلى أوطانه عنك ثانيا ... وقلده نعماك التي ما لها حصر
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها ... فقد صدهم عنه التغلب والقهر
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة ... تحاولها يمناك ما بعدها خسر
مرامك سهل لا يؤودك كفله ... سوى أنه عرض ما إن له في العلى حظر
وما العمر إلا زينة مستعارة ... ترد ولكن الثناء هو العمر
ومن باع ما يفنى بباق مخلد ... فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر
ومن دون ما يبقيه يا مالك العلا ... جياد المذاكي والمجلة الغر
وراد وشقر واضحات شياتها ... فأجسامها تبر وأرجلها در
وشهب إذا ما ضمرت يوم غارة ... مطهمة غارت بها الأنجم الزهر
وأسد رجال من مرين أعزة ... عمائمها بيض وأسالها سمر
عليهم من الماذي كل مفاضة ... تدافع في أعطافها اللجج الخضر
هم القوم إن هبوا الكشف ملمة ... فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعر
إذا سئلوا أعطوا، وإن نوزعوا سطوا ... وإن وعدوا أوفوا وإن عاهدوا برو
وإن سمعوا العوراء وفروا بأنفس ... حرام على هماتها في الوغى الفرُّ
وإن مدحوا اهتزوا ارتياحاً كأنهم ... نشاوى تمشت في معاطفهم خمر
وتبسم ما بين الوشيج ثغورهم ... وما بين قضب الدوح يبتسم الزهر
أمولاي غاضت فكرتي وتبلّدت ... طباعي، فلا طبع يعين ولا فكر
ولولا حنان منك داركتني به ... وأحييتني لم يبق عين ولا إثر
فأوجدت مني فائتاً أي فائت ... وانشرت ميتاً ضم أشلاءه قبر
بدأت بفضل لم أكن لعظيمه ... بأهل فجلّ اللطف وانشرح الصدر
وطوقتني النعمى المضاعفة التي ... يقل عليها مني الحمد والشكر
وأنت بتميم الصنائع كافل ... إلى أن يعود العز والجاه والوقر
جزاك الذي أسنى مقامك رحمة ... تفك بها العاني وينعش مضطر
إذا نحن أثنينا عليك بمدحة ... فهيهات يحصى الرمل أو يحصر القطر
ولكننا نأتي بما نستطيعه ... ومن بذل المجهود حق له العذر

ثم انفضّ المجلس وانصرف ابن الأحمر إلى نزله، وقد فرشت له القصور وقربت الجياد بالمراكب المذهبة، وبعث إليه بالكسى الفاخرة، ورتبت الجرايات له ولمواليه من المعلوجي وبطانته من

الصنائع، والمحفظ عليه رسم سلطانه في الموكب والرجل، ولم يفقد من ألقاب ملكه إلا الآلة أدباً مع السلطان، واستقر في جملته إلى أن كان من لحاقه بالأندلس، وارتجاع ملكه سنة ثلاث وستين وسبعمائة ما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن انتقاض الحسن بن عمر وخروجه بتادلا وتغلب السلطان عليه ومهلكه

لما فصل الوزير الحسن بن عمر إلى مراكش واستقر بها، تأثل له بها سلطان ورياسة، نفسها عليه الوزراء بمجلس السلطان وسعوا في تنكر السلطان له، حتى أظلم الجو بينهما، وشعر الوزير بذلك فارتاب بمكانه، وخشي بادرة السلطان على نفسه، وخرج من مراكش في شهر صفر من سنة إحدى وستين وسبعمائة فلحق بتادلا منحرفاً عن الطاعة، مرتبكاً في أمره، وتلقاه بنو جابر من جشم، واعصوصبوا عليه وأجاروه.

وجهز السلطان عساكره إلى حربه، وعقد عليها لوزيره الحسن بن يوسف وسرحه إليه فاحتل بتادلا، ولحق الحسن بن عمر بالجبل، واعتصم به مع حسين بن علي الورديغي كبيرهم.

وأحاطت بهم العساكر وأخذوا بمخنقهم، وداخل الوزير بعض أهل الجبل من صناكة في الثورة بهم، وسرب إليهم المال فثاروا بهم، وانفض جمعهم، وتقبض على الحسن بن عمر، وقادوه برمته إلى عسكر السلطان فاعتقله الوزير، وانكفأ راجعاً إلى الحضرة.

وقدم به على السلطان في يوم مشهود، واستركب السلطان فيه العسكر وجلس ببرج الذهب مقعده من ساحة البلد لاعتراض عساكره.

وحمل الحسن بن عمر على جمل طائف به بين أهل ذلك المحشر، وقرب إلى المجلس فأومأ إلى تقبيل الأرض فوق جمله، وركب السلطان إلى قصره، وانفض الجميع وقد شهدوا عبرة من عبر الدنيا.

ودخل السلطان قصره واقتعد أريكته واستدعى خاصته وجلساءه، وأحضره فوبخه وقرر عليه مرتكبه، فتلوى بالمعاذير وفزع إلى الإنكار.

وحضرت يومئذ هذا المجلس فيمن حضره من العلية والخاصة، فكان مقاماً تسيل فيه العيون رحمة وعبرة.

ثم أمر به السلطان فسحب على وجهه، ونتفت لحيته وضرب بالعصا، وتل إلى محبسه، وقتل لليال من اعتقاله قعصاً بالرماح بساحة البلد، وصلب شلوه بسور البلد عند باب المحروق، وأصبح مثلاً في الآخرين.

## الخبر عن وفد السودان وهديتهم وإغرابهم فيها بالزرافة

كان السلطان أبو الحسن لما أهدى إلى ملك السودان منسا سليمان بن منسا موسى هديته المذكورة في خبره، اعتمل في مكافأته وجمع لهاداته من طرف أرضه وغرائب بلاده، وهلك السلطان أبو الحسن خلال ذلك، ووصلت الهدية إلى أقصى تخومهم من والاتن هلك منسا سليمان قبل وصولها.

واختلف أهل مالي وافترق ملكهم، وتواثب ملوكهم على الأمر وقتل بعضهم بعضاً، وشغلوا بالفتنة حتى قام فيهم منسا جاطة واستوسق له أمرهم ونظر في أعطاف ملكه، وأخبر بشأن الهدية وأخبر أنها بوالاتن فأمر بإنفاذها إلى ملك المغرب، وضم إليها الزرافة الحيوان الغريب الشكل، العظيم الهيكل، المختلف الشبه بالحيوانات.

وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا إلى فاس في صفر من سنة اثنتين وستين وسبعمائة وكان يوم وفادتهم يوماً مشهوداً جلس لهم السلطان ببرج الذهب مجلس العرض.

ونودي في الناس بالبروز إلى الصحراء، فبرزوا ينسلون من كل حدب حتى غص بهم الفضاء وركب بعضهم بعضاً في الازدحام على الزرافة إعجاباً بخلقتها وأنشد الشعراء في عرض المدح والتهنئة، ووصف الحال.

وحضر الوفد بين يدي السلطان وأدوا رسالاتهم بتأكيد الود والمخالصة، والعذر عن إبطاء الهدية بما كان من اختلاف أهل مالي وتواثبهم على الأمر، وتعظيم سلطانهم وما صاروا إليه.

والترجمان يترجم عنهم وهم يصدقونه بالنزع في أوتار قسيهم عادة معروفة لهم.

وحيوا السلطان يحثون التراب على رؤوسهم على سنة ملوك العجم.

ثم ركب السلطان وانفض ذلك المجلس وقد طار به الذكر.

واستقر ذلك الوفد في إيالة السلطان وتحت جرايته، وهلك السلطان قبل انصرافهم، فوصلهم القائم بالأمر من بعده، وانصرفوا إلى مراكش وأجازوا منها إلى ذوي حسان عرب السوس

من المعقل المتصلين ببلادهم.

ولحقوا من هنالك بسلطانهم، والأمر لله سبحانه.

## الخبر عن حركة السلطان إلى تلمسان واستيلائه عليها وإيثار أبي زيان حافد أبي تاشفين بملكها وما كان مع ذلك من صرف أمراء الموحدين إلى بلادهم

لما استقل السلطان بملك المغرب سنة ستين وسبعمائة كما ذكرناه، وكان العامل على درعة عبد الله بن مسلم الزردالي من أخلاف بني عبد الواد وشيعة آل زيان، اصطنعه السلطان أبو الحسن عند تغلبه على تلمسان.

واستعمله ابنه أبو عنان بعد ذلك على بلاد درعة كما ذكرناه.

وتولى المكر بأبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن حين خروجه عل أخيه السلطان أبي عنان بجبل ابن حميدي فارتاب عند استقلال المولى أبي سالم بالأمر، وخشي بادرته لما نابهم من حقد عليه بسبب أخيه أبي الفضل، لما بينهما من لحمة الاغتراب، فداخل بطانة له من عرب المعقل، واحتمل ذخائره وأمواله وأهله وقطع القفر إلى تلمسان، ولحق بالسلطان أبي حمو آخر سنة ستين وسبعمائة فنزل منه خير نزل، وعقد له لحين وصوله على وزارته، وبإهابه ويمكانه، وفوض إليه في التدبير والحل والعقد، فشمر هو عن ساعده في الخدمة، وجأجأ بعرب المعقل من مواطنهم رغبة في ولايته وإيثاراً لمكانه من الدولة، ورهبة من السلطان بالمغرب لما كانوا ارتكبوه من موافقة بني مرين مرة بعد أخرى، فاستقروا بتلسمان وانحاشوا جميعاً إلى بني عبد الواد، وبعث السلطان إلى أبي حمو في شأن عاملهم عبد الله بن مسلم، فلم يرجع له جواباً عنه، وحظر عليه ولاية المعقل أهل وطنه، فلج في شأنهم فأجمع السلطان أمره عل النهوض إليه.

واضطرب معسكره بساحة البلد وفتح ديوان العطاء ونادى في الناس بالنفير إلى تلمسان، وأزاح العلل.

وبعث الحاشدين من وزرائه إلى مراكش فتوافت حشود الجهات ببابه، وفصل من فاس في جمادى من سنة إحدى وستين وسبعمائة وجمع أبو حمو من في إيالته وعلى التشيع لدولته من زناتة والعرب من بني عامر والمعقل كافة، ما عدا العمارنة، كان أميرهم الزبير بن طلحة متحيزاً إلى السلطان، وأجفلوا عن تلمسان وخرجوا إلى الصحراء.

ودخل السلطان إلى تلمسان ثالث رجب، وخالفه أبو حمو وأشياعه إلى المغرب، فنزلوا كرسيف بلد ونزمار بن عريف، وخربوه واكتسحوا ما وجدوا فيه حنقاً على ونزمار وقومه بولاية بني مرين.

وتخطوا إلى وطاط، فعاثوا في نواحيه، وانقلبوا إلى أنكاد، وبلغ السلطان خبرهم فتلافى أمر المغرب.

وعقد على تلمسان لحافد من حفدة السلطان أبي تاشفين، كان ربي في حجرهم وتحت كفالة نعمتهم، وهو أبو زيان محمد بن عثمان، وشهرته بالفتى، وأنزله بالقصر القديم من تلمسان وعسكر عليه زناتة الشرق كلهم، واستوزر له ابن عمته عمر بن محمد بن إبراهيم بن مكن ومن أبناء وزرائهم سعيد بن موسى بن علي، وأعطاه عشرة أحمال من المال دنانير ودراهم، ودفع إليه الآلة.

وذكر حينئذ لمولانا السلطان أبي العباس سوابقه وإيلافه في المنزل الخشن، فنزل له عن محل إمارته قسنطينة.

وصرف أيضاً المولى أبا عبد الله صاحب بجاية لاسترجاع بلده بجاية، فعقد لهما بذلك وحملهما، وخلع عليهما وأعطاهما حملين من المال.

وكانت بجاية لذلك العهد قد تغلب عليها عمهم المولى أبو إسحاق إبراهيم صاحب تونس، فكتب إلى عاملهم على قسنطينة منصور بن الحاج خلوف أن ينزل عن بلده لمولانا السلطان أبي العباس، ويمكنه منها، وودع هؤلاء الأمراء وانكفأ راجعاً إلى حضرته لسد ثغور المغرب، وحسم داء العدو، فدخل فاس في شعبان من سنته.

ولم يلبث أن رجع أبو زيان على أثره بعد أن أجفل عن تلمسان ولحق بونشريش.

وتغلب عليه أبو حمو وفض جموعه، فلحق بالسلطان واستقل أبو حمو بملك تلمسان، وبعث في السلم إلى السلطان فعقد له من ذلك ما رضيه كما ذكرناه.

## الخبر عن مهلك السلطان أبي سالم واستيلاء حمو بن عبد اللّه على ملك المغرب ونصبه للملوك واحداً بعد آخر إلى أن هلك

كان السلطان قد غلب على هواه الخطيب أبو عبد اللّه بن مرزوق وكان من خبره أن سلفه من أهل رباط الشيخ أبي مدين كان جده قائماً على خدمة قبره ومسجده واتصل القيام على هذا الرباط في عقبه، وكان جده الثالث محمد معروفاً بالولاية، ولما مات دفنه يغمراسن بالقصر القديم ليجاوره بجدثه تبركاً به، وكان ابنه أحمد أبو محمد هذا قد ارتحل إلى المشرق، وجاور الحرمين إلى أن هلك ورُبي محمد ابنه بالمشرق ما بين الحجاز ومصر.

وقفل إلى المغرب بعد أن شدا شيئا في الطلب وتفقه على أولاد الإمام، ولما ابتنى السلطان أبو الحسن مسجد العباد ولاه الخطابة به، وسمعه يخطب على المنبر وقد أحسن في ذكره والدعاء له، فحلي بعينه واستخلصه لنفسه وأحله محل القرب من مجلسه، وجعله خطيباً حيث يصلي من مساجد المغرب، وسفر عنه إلى الملوك، ولما كانت نكبة القيروان خلص إلى المغرب واستقر برباط العباد محل سلفه، بعد أحوال أضربنا عن ذكرها اختصاراً.

ولما خلص السلطان إلى الجزائر داخله أبو سعيد صاحب تلمسان في السفارة عنه إلى السلطان أبي الحسن وإصلاح بينهما فسار لذلك ونقمه أبو ثابت وبنو عبد الواد ونكروه على سلطانهم، وسرحوا صغير بن عامر في اتباعه، فتقبض عليه وأودعه المطبق.

ثم أشخصوه بعد حين إلى الأندلس فاتصل بأبي الحجاج صاحب غرناطة، وولاه خطابته لما اشتهر به من إجادة الخطبة للملوك بزعمهم.

وألف السلطان أبا سالم في مثوى غربته من غرناطة، وشاركه عند أبي الحجاج في مهماته.

ولما نزل بجبال غمارة داخل بني مرين والوزراء في القيام بدعوته، وكان له في ذلك مقام محمود.

فرعى السلطان وسائله ومولاته القديمة والحادثة إلى مقامه عند أبيه، فلما استوثق له ملك المغرب اختصه بولايته وألقى عليه محبته وعنايته، وكان مؤامره ونجي خلوته والغالب على هواه، فانصرفت إليه الوجوه وخضعت له الرقاب ووطئ عتبته الأشراف والوزراء، وعكف على بابه القواد والأمراء وصار زمام الدولة بيده.

وكان يتجافى عن ذلك أكثر أوقاته حذراً من المغبة، ويزجر من يتعرض له في الشكاية ويردهم إلى أصحاب المراتب والخطط بباب السلطان، وهم يعلمون أنه قد ضرب على أيديهم، فتقموا ذلك وسخطوا الدولة من أجله.

ومرضت قلوب أهل الحل والعقد من تقدمه. ونفس عليه الوزراء ما تعيّن له عند السلطان من الحظ، فتربصوا بالدولة وشمل هذا الداء الخاصة والعامة.

وكان عمر بن عبد اللّه بن علي لما هلك أبوه الوزير عبد اللّه بن علي في جمادى سنة ستين وسبعمائة عند استيلاء السلطان علي ملكه، تجلت شفاه الدولة إلى تراثه، وكان مثرياً فاستجار مهم بابن مرزوق، وساهمه من تراث أبيه بعد أن حملوا السلطان على النيل منه، والإهانة به، فأجاره منهم.

ورفع عند السلطان رتبته وحمله على الإصهار إليه في أخته، وقلده السلطان أمانة البلد الجديد دار ملكه متى عنت له الرحلة عنها وأصهر عمر إلى وزير الدولة مسعود بن ماسي تسكيناً لغربه واستخلاصاً لمودته، وسفر عن السلطان إلى صاحب تلمسان في شعبان من سنة اثنتين وستين وسبعمائة ونمي عنه أنه داخل صاحب تلمسان في بعض المكر فهم بنكبته وقتله، ودافع عنه ابن مرزوق وخلص من عقابه، وطوى من ذلك على النكث وتربص الدولة.

وأعيد إلى مكانه من الأمانة عل دار الملك أول ذي القعدة مرجعه من تلمسان لما كان السلطان قد تحول عنها إلى القصبة بفاس، واختط إيواناً فخماً لجلوسه بها، لضيق قصوره متعنياً الأبردين.

فلما استولى عمر على دار الملك حدثته نفسه بالتوثب وسول له ذلك ما اطلع عليه من مرض القلوب والنكير على الدولة، بمكمان ابن مرزوق من السلطان فداخل قائد الجند النصارى غريسة بن انطون وتعدوا لذلك ليلة الثلاثاء لسبع عشر من ذي القعدة سنة اثنتين وستين وسبعمائة وخلصوا إلى تاشفين الموسوس ابن السلطان أبي الحسن بمكانه من البلد الجديد، فخلعوا عليه وألبسوه شارة الملك، وقربوا له مركبة وأخرجوه إلى أريكة السلطان فأقعدوه عليها.

وأكرهوا شيخ الحامية والناشبة محمد بن الزرقاء على البيعة له، وجهروا بالخلعان وقرعوا الطبول ودخلوا إلى مودع المال،

فأفاضوا العطاء من غير تقدير ولا حسبان، وماج أهل البلد الجديد من الجند بعضهم في بعض، واختطفوا ما وصلوا إليهم من العطاء، وانتهبوا ما كان بالمخازن الخارجية من السلع والعدة وأضرموا النار في بيوتها ستراً عل ما ضاع منها، وأصبح السلطان بمكانه من القصبة، فركب واجتمع إليه من حضر من الأولياء والقبائل، وغدا على البلد الجديد وطاف بها يروم فيها منفذاً، فاستصعبت واضطرب معسكره بكدية العرائس لحصارها، ونادى في الناس بالاجتماع إليه.

ونزل عند قائلة الهاجرة بفسطاطه فتسايل الناس عنه إلى البلد الجديد فوجاً بعد فوج يمرأى منه إلى أن سار إليها أهل مجلسه وخاصته، فطلب النجاة بنفسه وركب في لمة من الفرسان مع وزرائه: مسعود بن رحو بن سليمان بن داود ومقدم الموالي والجند ببابه سليمان بن ونصار، وأذن لابن مرزوق في الدخول إلى داره، ومضى على وجهه.

ولما غشيهم الليل انفضوا عنه، ورجع الوزيران إلى دار الملك فتقبض عليهما عمر بن عبد الله ومساهمه غرسية بن أنطول واعتقلاهما متفرقين، وأشخص علي بن مهدي بن يرزيجن في طلب السلطان، فعثر عليه نائماً في بعض المجاشر بوادي ورغة،وقد نزع عنه لباسه اختفاء بشخصه، وتوارى على العيون بمكانه، فتقبض عليه وحمله على بغل، وطير الخبر إلى عمر بن عبد الله فأزعج لتلقيه شعيب بن ميمون بن داود،وفتح الله بن عامر بن فتح الله، وأمرهما بقتله وإنفاذ رأسه، فلقياه بخندق القصب وراء كدية العرائس، وأمروا بعض جنود النصارى أن يتولى ذبحه وحمل رأسه في مخلاة، فوضعه بين يدي الوزير والمشيخة.

واستقل عمر بالأمر ونصب الموسوس تاشفين يموه به على الناس، وجرت الأمور إلى غاياتها ولكل أجل كتاب.

## الخبر عن الفتكة بابن أنطون قائد العسكر من النصارى ثم خروج يحيى بن رحو وبني مرين عن الطاعة

لما تقبض عمر بن عبد الله على الوزير، جعل معتقل سلمان بن داود بدار غرسية قائد النصارى ومعتقل ابن ماسي بداره صيانة عن الامتهان لمكان صهره.

ولما كان يؤمل منه من الاستظهار على أمره بعصابته من الأبناء والأخوة والقرابة وكان غرسية بن أنطون صديقاً لسليمان بن ونصار فلما رجع عن السلطان ليلة انقضاضهم نزل عليه وكان يعاقره الخمر فبثه شجوه وتفاوضا في اغتيال عمرو وإقامة معتقله سليمان بن داود في الوزارة لما هو عليه من السن ورسوخ القدم في الأمر، ونمي إلى عمر الخبر.

فارتاب وكان خلواً من العصابة ففزع إلى قائد الموكب السلطاني من الرجل الأندلسيين يومئذ إبراهيم البطروحي، فبثه أمره وبايعه على الاستماتة دونه.

ثم استقل عصابتهم ففزع إلى يحيى بن رحو شيخ بني مرين وصاحب شوراهم فشكا إليه، فأشكاه ووعده الفتك بابن أنطول وأصحابه.

وانبرم عقد ابن أنطول وسليمان بن ونصار على شأنهم وغدوا إلى القصر.

وأدخل ابن أنطول طائفة من النصارى للاستظهار بهم ولما توافت بنو مرين بمجلس السلطان على عادتهم وطعموا دعا عمر بن عبد الله القائد ابن أنطول بين يدي يحيى بن رحو وقد أحضر البطروحي رجل الأندلسيين فسأله تحويل سليمان بن داود من داره إلى السجن فأبى وضن به عن الإهانة حتى ينال مثلها من ابن ماسي صاحبه فأمر عمر بن عبد الله بالتقبض عليه، فكشر في وجوه الرجال واخترط سكينه للمدافعة فتواثبت بنو مرين وقتلوه لحينه، واستلحموا من وجدوا بالدار من جند النصارى بعد جولة، وفروا إلى معسكرهم ويعرف بالملاح جوار البلد الجديد.

وأرجف الغوغاء بالمدينة أن ابن أنطول غدر بالوزير فقتل جند النصارى حيث وجدوا من سكك المدينة،وتزاحفوا إلى الملاح لاستلحام من به من الجند، وركب بنو مرين لحماية جندهم من معرة الغوغاء.

وانتهب يومئذ الكثير من أموالهم وأمتعتهم وقتل النصارى كثيرا من الجان كانوا يعاقرون الخمر بالملاح.

واستبد عمر بالدار واعتقل سليمان بن ونصار إلى الليل، وبعث من قتله بمحبسه.

وحول سليمان بن داود إلى بعض الدور بدار الملك واعتقله بها، واستولى على أمره ورجع في الشورى إلى يحيى بن رحو، واعصوصب بنو مرين عليه، واعتز على الوزراء والدولة، وكان عدواً الخاصة السلطان أبي سالم حريصاً على قتلهم، وكان عمر يريد استبقاءهم لما أمله في ابن ماساي، فاختلفت أهواؤهما وتبين ليحيى بن رحو والمشيخة صاغيته إلى ابن ماساي فخشنت صدورهم عليه ودبروا في شأنه.

وخاطب هو عامر بن محمد في اتصال اليد واقتسام ملك المغرب، وبعث إليه بأبي الفضل ابن السلطان أبي سالم، اعتده عنده وليجة لخلاصه من ربقة الحصار الذي هم به مشيخة بني مرين.

وكان أبو الفضل هذا بالقصبة تحت الرقبة والإرصاد، فتفقد من مكانه، وأغلظ المشيخة في العتب لعمر على ذلك، فلم يستعتب، ونبذ إليهم العهد وامتنع بالبلد الجديد، ومنعهم من الدخول إليه فاعصوصبوا على كبيرهم يحيى بن رحو وعسكروا بباب الفتوح، وجاؤوا بعبد الحليم ابن السلطان أبي علي وكان من خبرهم معه ما نذكره.

وأطلق عمر بن عبد اللّه مسعود بن ماساي من محبسه وسرحه إلى مراكش، وواعدوه في الاجلاب عليهم أن حاصروه كما نذكره.

## الخبر عن وصول عبد الحليم ابن السلطان أبي علي من تلمسان وحصار البلد الجديد

كان السلطان أبو الحسن لما قتل أخاه الأمير أبا علي وقضى الحق الذي له في ذمته عمل بالحق الذي عليه في ولده وحرمه، فكفلهم وأغذاهم نعمته، وساواهم بولده في كافة شؤونهم، وأنكح ابنته تاحضريت العزيزة عليه عليّاً منهم المكنى بأبي يفلوسن ونزع عنه وهو بالقيروان أيام النكبة ولحق بالعرب.

وأجلب معهم على السلطان بالقيروان وتونس، ثم انصرف من إفريقية ولحق بتلمسان ونزل على سلطانها أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن فبؤاه كرامته.

ثم شرع في الإجازة إلى الأندلس، وبعث فيه السلطان أبو عنان قبل فصوله، فأشخصوه إليه فاعتقله ثم أحضره ووبخه على مرتكبه مع السلطان أبي الحسن وجحده حقه.

ثم قتله لليلتين من شهور إحدى وخمسين وسبعمائة، ولما هلك السلطان أبو الحسن ولحقت جملته من الخاصة والأبناء بالسلطان أبي عنان، وأشخص إخوته إلى الأندلس، وأشخص معهم ولد الأمير أبي علي هؤلاء: عبد الحليم وعبد المؤمن والمنصور والناصر وسعيد ابن أخيهم أبي زيان، فاستقروا بالأندلس في جوار ابن الأحمر.

ثم طلب أبو عنان إشخاصهم بعد، كما طلب إشخاص أخيه، فأجارهم ابن الأحمر جميعاً وامتنع من إسلامهم إليه، وكان من المغاضبة لذلك ما قدمناه.

ولما اعتقل السلطان أبو سالم الأبناء المرشحين برندة، كما قدمناه، نزع منهم عبد الرحمن بن علي بن أبي يفلوسن إلى غرناطة فلحق بأعمامه.

وكان السلطان أبو سالم بمكانهم مستريباً بشأنهم حتى لقد قتل محمد بن أبي يفلوسن ابن أخته تاحضريت وهو في حجرها وحجره، استرابة بما نمي عنه.

ولما أجاز أبو عبد اللّه المخلوع ابن أبي الحجاج، إلى المغرب ونزل عليه وصار إلى إيالته، ورأى أن قد ملك أمره في هؤلاء المرشحين بغرناطة، وراسل الرئيس محمد بن إسماعيل عند توثبه على الأمر واستلحامه أبناء السلطان أبي الحجاج، فراسله في اعتقالهم على أن يمسك المخلوع عن التهامه ويقبض عنانه عن الهوى عليه فاعتقلهم ثم فسد ما بين الرئيس والطاغية، وزحف إليهم والتهم كثيراً من حصون المسلمين.

وبعث إلى السلطان أبي سالم في أن يخلي سبيل المخلوع إليه، فامتنع وفاء للرئيس.

ثم دافع الطاغية عن ثغوره بإسعاف طلبه، فجهز المخلوع وملأ حقائبه صلات وأعطاه الآلة، وأوعز إلى أسطوله بسبتة فجهز وبعث علال بن محمد ثقة إليه فأركبه الأسطول وركب معه إلى الطاغية.

وخلص الخبر إلى الرئيس بمكانه من سلطان غرناطة، وكان أبو حمو صاحب تلمسان يراسله في أولاد أبي علي، وأن يجهزهم إليه ليجدهم زبوناً على السلطان أبي سالم، فبادر لحينه وأطلقهم من مكان اعتقالهم، وأركب عبد الحليم وعبد المؤمن وعبد الرحمن ابن أخيهما على أبي يفلوسن في الأسطول، وأجازهم إلى هنين بين يدي مهلك السلطان أبي سالم، فنزلوا من صاحب تلمسان بأعز جوار، ونصب عبد الحليم منهم لملك المغرب.

وكان محمد السبيع بن موسى بن إبراهيم نزع عن عمر ولحق بتلمسان، فتوافى معهم وأخبرهم بمهلك السلطان وبايع له وأغراه بالرحلة إلى المغرب ثم تتابعت رسل بني مرين بمثلها، فسرحه أبو حمو وأعطاه الآلة، واستوزر له محمد السبيع وارتحل معه يغذان السير.

ولقيه بطريقه محمد بن زكدان من أولاد علي من شيوخ بني ونكاسن أهل دبدو ثغر المغرب منذ دخول بني مرين إليه، فبايعه وحمل قومه على طاعته، وأغذ السير وكان يحيى بن رحو والمشيخة لما نبذ عمر بن عبد اللّه إليهم العهد، وعسكروا بباب الفتوح،

أوفدوا مشيخة منهم على تلمسان لاستقدام السلطان عبد الحليم، فوافوه بتازى ورجعوا معه، وتلقته جماعة بني مرين بسبو، ونزلوا على البلد الجديد يوم السبت سابع محرم من سنة ثلاث وستين وسبعمائة وأضربوا معسكرهم بكدية العرائس، وغادوا البلد القتال وراوحوها سبعة أيام، وبيعات الأمصار توافيهم والحشود تسايل إليهم ثم إن عمر بن عبد اللّه برز من السبت القابل في مقدمة السلطان أبي عمر بمن معه من الجند المسلمين والنصارى، رامحة وناشبة، ووكل السلطان من جاذبه في الساقة على التعبية المحكمة.

وناشبهم الحرب فدلفوا إليه فاستطردهم ليتمكن الناشبة من عقرهم من الأسوار حتى فشت فيهم الجراحات.

ثم صمم نحوهم وانفرج القلب وانفضت الجموع وزحف السلطان في الساقة فانذعروا في الجهات.

وافترق بنو مرين إلى مواطنهم ولحق يحيى بن رحو بمراكش مع مبارك بن إبراهيم شيخ الخلط، ولحق عبد الحليم وإخوته بتازى بعد أن شهد لهم أهل المقام بصدق الجلاد وحسن البلاء في ذلك المجال وصابر عمر بن عبد اللّه أمره ينتظر قدوم محمد بن أبي عبد الرحمن كما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن قدوم محمد ابن الأمير أبي عبد الرحمن وبيعته بالبلد الجديد في كفالة عمر بن عبد اللّه

لما نبذ عمر إلى بني مرين عهدهم واعصوصبوا عليه، ونكروا ما جاء به من البيعة لأبي عمر مع فقدانه العقل الذي هو شرط الخلافة شرعاً وعادة، ونقموه عليه، اتهم نفسه في نظره، وفزع إلى التماس المرشحين، فوقع نظره على حافد السلطان أبي الحسن محمد ابن الأمير أبي عبد الرحمن النازع لأول دولة السلطان أبي سالم من رندة إلى الطاغية.

وكان قد نزل منه بخير مثوى، فبعث إليه مولاه عتيقاً الخصي، ثم تلاه بعثمان بن الياسمين، ثم تلاهما بالرئيس الأبكم من بني الأحمر في كل ذلك يستحث قدومه، وخاطب المخلوع ابن الأحمر وهو في جوار الطاغية كما قدمناه وقريب عهد بجوارهم، فخاطبه في استحثاثه واستخلاصه من يد الطاغية.

وكان المخلوع يرتاد لنفسه نزولاً من ثغور المسلمين لما كان فسد بينه وبين الطاغية ورام النزوع عن إيالته فاشترط على الوزير عمر النزول له عن رندة فتقبل شرطه، وبعث إليه الكتاب بالنزول عنها بعد أن وضع الملأ عليه خطوطهم من بني مرين والخاصة والشرفاء، فسار ابن الأحمر إلى الطاغية.

وسأل منه تسريح محمد هذا إلى ملكه، وأن قبيله دعوه إلى ذلك فسرحه بعد أن شرط عليه، وكتب الكتاب بقبوله وفصل من إشبيلية في شهر المحرم فاتح ثلاث وستين وسبعمائة ونزل بسبتة وبها سعيد بن عثمان من قرابة عمر بن عبد اللّه وأرصده لقدومه فطير بالخبر إليه فخلع أبا عمر من الملك، وأنزله بداره مع حرمه.

وبعث إلى السلطان أبي زيان محمد بالبيعة والآلة والفساطيط ثم جهز عسكراً للقائه فتلقوه بطنجة.

وأغذ السير إلى الحضرة فنزل منتصف شهر صفر بكدية العرائس.

واضطرب معسكره بها، وتلقاه الوزير يومئذ وبايعه وأخرج فسطاطه، فاضطر به بمعسكره وتلوم السلطان هنالك ثلاثاً ثم دخل في الرابع إلى قصره واقتعد أريكته وتودع ملكه وعمر مستبد عليه لا يكل إليه أمراً ولا نهياً واستطال عند ذلك المنازعون أولاد أبي علي كما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

## الخبر عن تجهيز السلطان عبد الحليم وإخوته إلى سجلماسة بعد الواقعة عليهم بمكناسة

لما سمع عبد الحليم بقدوم محمد بن أبي عبد الرحمن من سبتة إلى فاس وهو بمكانه من تازى، سرح أخاه عبد المؤمن وعبد الرحمن ابن أخيه إلى اعتراضه، فانتهوا إلى مكناسة وخاموا عن لقائه، فلما دخل إلى البلد الجديد أجلبوا بالغارة على النواحي وكثر العيث.

وأجمع الوزير عمر على الخروج إليهم بالعساكر، فبرز في التعبية والآلة، وبات بوادي النجاء.

ثم أصبح على تعبية وأغذ السير إلى مكناسة، فزحف إليه عبد المؤمن وابن أخيه عبد الرحمن في جموعهم فجاولهم القتال ساعة، ثم صمد إليهم فدفعهم عن مكناسة.

وانكشفوا فلحقوا بأخيهم السلطان عبد الحليم بتازى، ونزل الوزير عمر بساحة مكناسة، وأوفد بالفتح على السلطان، وكنت وافده إليه يومئذ، فعمت البشرى واتصل السرور، وتهنأ السلطان ملكه وتودع من يومئذ سلطانه.